شرح رسالة

روح القدس في محاسبة النفس

من كلام الشيخ الأكبر

محي الدين ابن العربي

جمع وتأليف

محمود محمود الغراب

الطبعة الثانية

شرح رسالة

روح القدس في محاسبة النفس

من كلام الشيخ الأكبر

محي الدين ابن العربي

الطبعة الثانية

جمع وتأليف

محمود محمود الغراب

الطبعة الثانية
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

مطبعة نضر
١٠٠٠ (ن)

الإهداء

إلى محي الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي

إلى طالبي طريق الله تعالى

إلى الباحثين عن الحق والحقيقة

إلى سالكي طريق الآخرة

إلى أعداء الصوفيـــة والتصوف ، لعل الله أن ينير بصائرهم ويهديهم إلى الحق ليعرفوه

إلى كل من أراد أن يعرف أين هو من الرجال

أقدّم هذه التحفة الرائعة والثمرة اليانعة

أبو عبد الله

إذا نهيت النفس عن هواهـــا كانت لهـــا جناتـــه مأواهـــا

بهـــا حبـــاه الله إذ حباهـــا وكانْ في فردوسه مثواهـــا

أقسمت بالشمس التي أجراها قسماً وبالبـــدر إذا تلاهـــا

وليـــله المظـــلم إذ يغشاهـــا وبالنهـــار حـــين ما جلاهـــا

وحكمـــة الله التي أخفاهـــا عـــن العيون حين ما أبداهـــا

وبالسموات ومـــن بناهـــا وفوق أرض فرشه علاهـــا

لتبلغن اليـــوم منتهاهـــا حتى تراهـــا بلغت مناهـــا

حين رأت ما قدمت يداهـــا من كل خير منـــه قد أتاهـــا

بأطعمـــةْ قد بلغت إناهـــا ما كان أحلاهـــا وما أشهاهـــا

محي الدين ابن العربي

المقـــدّمـة

بســـم الله الرحمن الرحيم

وبـــه نستعين

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان ، واختص هذه الأمة المحمدية من جنس الإنسان ، وعدد درجاتها في الجنان ، ووعدها بالنظر إلى وجه الرحمن ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ، من قبل خلق أبينا المنعوت بالناسي ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وإمام المتقين ، سيد ولد آدم أجمعين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ، لقد أنهيت السلسلة الأولى من الكتب التسعة التي أصدرتها مدخلاً لقراءة كتب الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي بكتابي الخيال والرؤيا والمبشرات ، وقد أرسلت هذه الكتب جميعها إلى سبع جامعات سعودية ، وبالأخص كتابي « شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية » أرسلت بكتاب الملحق الثقافي بسفارة المملكة العربية السعودية بدمشق تحت رقم ٦٨٥/١/٣٦ بتاريخ ١٩٨٢/٣/٢٥ وذلك للدراسة والنقد،كما أرسل هذان الكتابان إلى الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس علماء المملكة لإبداء اية ملاحظة عليهما ، وقد مضى على إرسال هذه الكتب إلى الجامعات السعودية السبعة أكثر من ثلاث سنوات ، ولم يصدر أي تعليق او نقد علمي عليهـا ، ثم أصدرت في عام ١٩٨٥ أول كتاب من السلسلة الثانية عن الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي وهو « شرح فصوص الحكم » تناولت في هذا الكتاب بالشرح والتحقيق العلمي ما جاء

في كتاب ((فصوص الحكم)) مبيناً ما يصح نسبته إلى الشيخ مما دس عليه فيه ، وذلك لأن هذا الكتاب يعتبر في الجامعات العربية والإسلامية والأجنبية من الكتب التي يعتمد عليها العلماء عند الترجمة عن فلسفة الشيخ ابن العربي ، ولم يحقق أحد ما في هذا الكتاب من صحيح أو سقيم ، بل أخذ قضية مسلمة بانه للشيخ ، وبعد تحقيقه يتضح للقارىء انه قد حوى مسائل عديدة تخالف وتناقض ما ذهب إليه الشيخ في كتبه الأخرى الثابتة صحة نسبتها إليه ، وكان في هذا الإصدار رد قاطع على الإمام ابن تيمية وكل من سار على نهجه ودربه أو قلده ، منتقداً للشيخ ابن العربي ومستشهداً بما جاء في ((فصوص الحكم)) دون ان يعلم أو يميز ما دس فيه على الشيخ ، فكان في كتابي ((شرح فصوص الحكم)) و ((الرد على ابن تيمية)) التبرئة القاطعة للشيخ ابن العربي من كل ما نسب إليه زوراً وبهتاناً ، وفيهما حجة الشيخ الدامغة على كل من ناواه او عاداه عن قصد او جهل .

وقد اخترت كتاب ((رسالة روح القدس في محاسبة النفس)) ليكون الكتاب الثاني في هذه السلسلة الثانية ، وهو من أجمل وامتع الكتب السهلة ، التي كتبها الشيخ لينتفع بها عامة الناس ، ولكل من أراد سلوك طريق الآخرة ، بهمة عالية ، وإرادة سامية ، لبلوغ أقصى الغايات ، واللحوق بالرجال في اعلى الدرجات ، اخترت هذا الكتاب وعملت على شرح أكثر ما فيه من نقط غامضة ، وزيادة في التراجم ، لينتفع القارىء بما قد يغيب عنه من فهم مقصود الشيخ ، معتمداً في ذلك على كلام الشيخ نفسه في كتبه الاخرى ، ولتقر اعين محبي الصوفية والتصوف ، واتباع المشايخ الأولياء ، السادة الحنفاء ، اهل الكرامات والعلامات ، ويعلمون انهم على الطريق الحق ، والمنهج الصدق ، لا يضرهم من خالفهم ، ولا يزلزلهم من عاندهم ، فلهم في رسول الله ﷺ أسوة ، وفي اصحابه واوليائه قدوة ، واخترت هذا الكتاب ليقرأه كل من عادى الصوفية والتصوف ، عسى أن يرده العلم عن الجهل ، والحق عن الباطل ، إن كان من أهل السعادة، طالباً معرفة الحق، مستمعاً لأحسن القول، متبرئاً من أهل العناد والجحد، فيعلم أن الفرق بين الصوفي والمتصوف ، كالفرق بين الكحل والمتكحل ، وأن الفرق بين

مشايخ الصوفية وبين من تزيى بزيهم ، كالفرق بين علماء الحق وعلماء السوء في كل زمان ، ويعلم أن الصوفية هم الرجال الذين يزاحمون الصحابة رضوان الله عليهم في صحبتهم لرسول الله ﷺ ، وأنهم العاملون على اللحاق بهم ، فإن كانت الصحابة قد فازت على الأمة بالعيان ، فقد خلّفت بعدها رجالاً يزاحمونهم في الإيمان والإحسان ، قال رسول الله ﷺ : ((واشوقاه إلى أحبابي)) قالت الصحابة : ((ألسنا أحبابك يا رسول الله ؟)) قال : بل أنتم أصحابي ، قالوا : ومن أحبابك يا رسول الله ؟ قال : أناس يأتون بعدي يؤمنون بي ولم يروني ـ الحديث ـ عمل هؤلاء الرجال على الإيمان الصرف ، وما وصل إليهم من الخبر الصدق ، ليلحقوا بالركب الأول ، فصدقوا في الأعمال ، وراقبوا النيات ، وحاسبوا أنفسهم على الأنفاس ، فزال عنهم الالتباس ، وارتقوا من علم اليقين إلى عين اليقين ، ومنه إلى حق اليقين ، فاجتمعوا بسيدهم وحبيبهم مشاهدة عيان ، في حضرة إحسان ، فأخذوا عنه مشافهة ، ورأوه مكافحة ، وكان لهم من الأذواق ما تشهد به الحقيقة ، كما أن مسلكهم تؤيده الشريعة ، وما أنكر عليهم من أنكر ، إلا لجهله أو سوء ظنه ، لأنه لا يجد من نفسه ما امتازوا به عنه ، وهو يظن أنه قد حاز جميع المقامات ، وأن حاله أسنى الحالات ، فلم يبق ذوق يزعمه إلا وله فيه مشرب ، ولا لأحد بعد غايته مطلب ، فاغتر واغر ، وجحد وكفر ، وما آمن بأولياء الله إلا أهل الفطر السليمة ، والعقائد الصحيحة ، فإن أرواحهم قد تعارفت ، وقلوبهم قد تآلفت ، والمرء مع من أحب .

أما عن تحقيق كتاب ((روح القدس في محاسبة النفس)) وقد ذكر ((في مناصحة النفس)) فإنه لم يرد ذكر اسم هذا الكتاب في أي من مؤلفات الشيخ على كثرتها ، مع أنه من أقدم الكتب والرسائل التي ألفها ، حيث ذكر أنه كتبه بمكة عام ٦٠٠ هـ ، وتوجد نسخة خطية في مكتبة جامعة استنامبول تحت رقم ٧٩/أ/١ ـ ١٠٣ ، تحمل تاريخ عام ٦٠٠ هـ ، وعليها تسع سماعات ، المسمع فيها كلها الشيخ رضي الله عنه ، ولكن هذه النسخة ليست بخط يد الشيخ المؤلف ، ولولا ورود ذكر اسم كتاب ((الدرة الفاخرة في ذكري من انتفعت به في طريق الآخرة)) في رسالة روح القدس ، وإحالة

الشيخ القارىء عليها ، لكان القطع بأنهما كتاب واحد أمراً يسيراً ، لأن موضوعهما واحد ، وتاريخهما واحد ، وقد ورد اسم كتاب ((الدرة الفاخرة)) في كل من الفتوحات المكية وفي إجازة الشيخ إلى الملك المظفر ، ولم يرد ذكر لرسالة روح القدس كما سبق أن أشرنا إليه ، أما عن أسلوب الكتاب وموضوعيته ، فلاشك أنه للشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي سواء كان هو نفس كتاب ((الدرة الفاخرة)) أم غيره ، ويؤيده ما جاء في كتبه الأخرى وخاصة الفتوحات المكية ، ويندر أن تجد خلافاً لما جاء فيها .

والله أسأل أن ينفعني وينفعكم بما جاء في هذه الرسالة ، وأن يوفقنا لسلوك طريق النجاة ، وأن يلحقنا بسيد السادات في أعلى الدرجات ، وأن يجزي كاتبها خير الجزاء ، وأن يجعله من أخص السعداء .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

دمشق
الاحد ٢٧ صفر ١٤٠٦
١٠ تشرين الثاني ١٩٨٥

محمود محمود الغراب
دمشق ـ ص.ب ٣٣٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، من العبد الضعيف الناصح الشفيق المأمور بالنصح لإخوانه ، والمشدّد عليه في ذلك دون أهل زمانه[1] ، محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي ــ وفقه الله تعالى ــ إلى وليه في الله تعالى ، وأخيه الركن الوثيق ، أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي ــ نزيل تونس ــ أبقاه الله محفوظاً وبعين الصون الإلهي والحماية ملحوظاً ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته :

أما بعد فإنني أحمد إليك الله ، الذي لا إله إلا هو ، وأصلي على نبيه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ؛ أما بعد يا أخي فإن النصح أولى ما تعامل به رفيقان ، وتسامر به صديقان ، وقلما دامت اليوم صحبة إلا على مداهنة ، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال : ما ترك الحق لعمر من صديق ، وقال أويس القرني رضي الله عنه لرجل من مراد : يا أخا مراد إن الموت وذكره لم يتركا لمؤمن فرحاً ، وإن علم المؤمن بحقوق الله تعالى لم يترك في ماله فضة ولا ذهبا ، وإن قيامه لله بالحق لم يترك له صديقاً ، روينا هذا عن أويس رضي الله عنه من حديث مخلد بن جعفر عن محمد ابن جرير عن محمد بن حميد عن زافر بن سليمان عن شريك بن جابر عن الشعبي عن رجل من مراد عن أويس رضي الله عنه ؛ وكل إنسان يقبل النصح من غيره لا من

---

(1) **رؤية الحق في المنام**

يقول الشيخ رضي الله عنه « إني رأيت الحق في النوم مرتين وهو يقول لي : انصح عبادي » وقد ورد في الخبر ان رسول الله ﷺ راى الحق في النوم ، كما روي أن الإمام احمد بن حنبل راى الحق مائة مرة ، فسأله في المرة المائة « بماذا يتقرب إليك المتقربون » فقال له : بكلامي يا أحمد ، فسأله الإمام « بفهم أو بغير فهم ؟ » فقال تعالى له : بفهم وبغير فهم .

نفسه إلا من وفقه الله تعالى فحينئذ يلتذ بسماع معايب النفس ، لا سيما إذا أرسلتها ـــ يا أخي في مجالسك ـــ مطلقة من غير تعيين تقر لك بأن هذا هو الحق ، فإذا قلت لها إياكِ عنيت بهذا الكلام والمؤمن مرآة أخيه وقد رأيت فيكِ ما أوجب علي أن أقول لك فيه شمخت النفس وقالت: سبحان الله إنما أنا مرآة، نفسك رأيت في ،ومثلي من يقال له هذا ؟ لأن النفس عمياء عن عيوبها بصيرة بعيوب غيرها ، فأدى نصحك لها في أمر واحد إلى ارتكاب محظورات كثيرة من الكذب والنفاق ، وقلّ يا وليي أن تجد اليوم للناصح من صديق ولقد قلت في ذلك شعراً :

لما لزمت البحث والتحقيقا ... لم يتركا لي في الأنام صديقا

ولعمر الله ما كذبت ولا قلت إلا ما وجدت ، ويعلم وليي ـــ أبقاه الله تعالى ـــ أني ما عاشرته أيام إقامتي عنده إلا بالمناصحة[1] حتى ذكر لي يوماً على العشاء وقال

---

(١) النصيحة

عليك بالنصيحة على الإطلاق فإنها الدين ، خرج مسلم في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : الدين النصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم .

والذي اقول به إن النصيحة تعم ، إذ هي عين الدين ، وهي صفة الناصح ، فتسري منفعتها في جميع العالم كله من الناصح الذي يستبرىء لدينه ويطلب معالي الأمور ، فيرى حيوانا قد أضر به العطش وقد حاد ذلك الحيوان عن طريق الماء ، فيتعين عليه أن يرده إلى طريق الماء ويسقيه إن قدر على ذلك ، فهذا من النصيحة الدينية ، وكذلك لو رأى من ليس على ملة الإسلام يفعل فعلا من سفساف الأخلاق تعين على الناصح أن يرده عن ذلك مهما قدر إلى مكارم الأخلاق ، وإن لم يقدر ، عليه ان يبين له عيب ذلك ، فربما انتفع بتلك النصيحة ذلك الشخص بما له في ذلك من الثناء الحسن ، وينتفع بتلك النصيحة من اندفع عنه ضرر هذا الذي اراد أن يضره وإن لم يكن مسلما ذلك المدفوع عنه ، فيتعين على صاحب الدين نصح عباد الله مطلقا ، ولهذا يتعين على السلطان أن يدعو عدوه الكافر إلى الإسلام قبل قتاله ، فإن اجاب وإلا دعاه إلى الجزية إن كان من أهل الكتاب ، فإن أجاب إلى الصلح بما شرط عليه قبل منه ، يقول الله « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » فيبقي على المسلمين إن كانت المنفعة للمسلمين في ذلك ، فإن أبوا إلا القتال قاتلهم وأمر المسلمين بقتالهم ، على أن تكون

لي مواجهة : إنك كثير الانتقاد ، واحتج علي بمسألة إبراهيم بن أدهم ، ثم استشهد بقول القائل :

وعين الرضا عن كل عيب كليـلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

فأعربت له ــ وفقه الله ــ أن ذلك مقام من أحبك لنفسه ، وأما من أحبك لك فلا سبيل ، ولما كان حب الله إيانا لنا لا لنفسه نبهنا على معايبنا ، وأظهر لنا نقائصنا ، ودلنا على مكارم الأخلاق ومحامد الأفعال ، وأوضح لنا مناهجها ، ورفع لنا معارجها ، ولما أحببناه لأنفسنا ولم تتمكن في الحقيقة أن نحبه له ــ تعالى عن ذلك ــ رضينا بما يصدر منه مما لا يوافق أغراضنا وتمجه أنفسنا وتكرهه طباعنا ، والسعيد هو الذي رضي بذلك منه تعالى ومن سواه يضجر ويسخط ، فنسأل الله تعالى العفو والعافية في ذلك لنا وللمسلمين .

وقد فزت يا أخي ــ جعلني الله وإياك من الفائزين في زمانك هذا ــ بخلال لم أقدر أن أراها من غيرك ، منها معرفتك بمرتبة العلم وأهله ، وعدم تعريجك على الكرامات والأحوال ، ومنها انقيادك للحق وتواضعك له ونزولك إليه عند من وجدته

كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، إلا أنه من التزم النصح قل أولياؤه ، فإن الغالب على الناس اتباع الأهواء ، ولذلك يقول رسول الله ﷺ « ما ترك الحق لعمر من صـديق » وكذلك قال أويس القرني « قولك الحق لم يترك لك صديقا » ولنـا في ذلك :

لمـا لـزمت النصـح والتحقيقـا لم يتركـا لي في الوجود صديقا

ويحتاج الناصح إلى علم كثير من علم الشريعة ، لأنه العلم العام الذي يعم جميع أحوال الناس . وعلم زمانه ومكانه ، وما ثم إلا الحال والزمان والمكان ، وبقي للناصح علم الترجيح إذا تقابلت هذه الأمور ، فيكون ما يصلح الزمان يفسد الحال او المكان ، وكذلك كل واحد منهما . فينظر في الترجيح فيفعل بحسب ما يترجح عنده ، وذلك على قدر إيمانه . مثال ذلك أن يعلم أن الزمان قد أعطى بحاله في أمرين هما صالحان في حق شخص . وضاق الزمان عن فعلهما معا ، فيعدل إلى اولاهما فيشـير به على المستشير . وكذلك إذا عرف من حال شخص المخالفة واللجاج وانه إذا دله على امر فيه مصلحته يفعل بخلافه . فمن النصيحة أن لا ينصحه ، بل يشير عليه بخلاف ذلك

سواء كان ممن تلحظه العيون أم لا يؤبه له ؛ ولم تلحظ منزلتك الدنيوية من تعظيم الناس لك وتقبيلهم يدك وإتيان السلاطين إلى بابك وهذا غاية الإنصاف ، ثبتك الله وإيانا . ومنها قولك فيما لا تعلم لا أعلم وفيما تعلم أحب أن أسمعه من غيري ، فقد حزت ــ والله يا ولي ــ هذه الخصال التي تتطاير دونها رقاب الرجال ، والمقام الذي لا تغيره الأحوال ، ولا تزيده حسناً ووضاءة رواتب الأعمال ؛ ثم بحثك الذي لم أره من غيرك في معرفة الأنام والزمان ، واعتقادك أنــه من فروض الأعيان من أعجب ما سمعته الآذان ، وتسامرت به الخلان ، وسارت به الركبان ، ثم ما وهبك الله من الصولة والقوة على الفقهاء بدلائل المكارم والفتوة الجارية مع براهين النبوة .

وأما أهل زمانك اليوم يا ولي ، فكما قال الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي رحمه الله : ضعف ظاهر ودعوى عريضة ، فأول ما وصلتُ إلى هذه البلاد سألت عن أهل هذه الطريقة المثلى عسى أن أجد منهم نفحة الرفيق الأعلى ؛ فحُملتُ إلى جماعة قد جمعتهم خانقاه عالية البناء واسعة الفناء فنظرت إلى مغزاهم المطلوب ومنحاهم المرغوب ؛ تنظيف مرقعاتهم بل مشهراتهم وترجيل لحاهم ، غير أنهم يدعون

إذا علم ان الأمر محصور بين ان يفعل ذلك او هذا الذي فيه المصلحة ، وشأنه المخالفة واللجاج فيشير عليه بما لا ينبغي ، فيخالفه فيفعل ما ينبغي ، والأولى عندي تركه ، ولقد جرى لي مع أشخاص اظهرنا لهم أن في فعلهم ذلك الخير ــ الذي نريده منهم ــ نكايتنا ، وهم يريدون نكايتنا ، فأشرنا عليهم أن لا يفعلوا ذلك ولهم في فعله الخير العظيم لهم ؛ فلم يفعلوا وفعلوا ما نهيتهم عنه أن يفعلوه ، فهذه نصيحة خفية لا يشعر بها كل احد ؛ وهذا يسمى علم السياسة ، فإنه يسوس بذلك النفوس الجموحة الشاردة عن طريق مصالحها ، فلذلك إن الناصح في دين الله يحتاج إلى علم كثير وعقل وفكر صحيح ورؤية حسنة واعتدال مزاج وتؤده ، وإن لم تكن فيه هذه الخصال كان الخطأ اسرع إليه من الإصابة ، وما في مكارم الأخلاق أدق ولا اخفى ولا اعظم من النصيحة ، ولنا فيه جزء سميناه كتاب النصائح ذكرنا فيــه ما لا يعول عليه وما يعول عليه . ولكن اكثره فيما لا يعول عليه مما يعول الناس عليه ولكن لا يعلمون .

ف ح ٤/٤٧٠ ، ٤٧٢

أن أهل المغرب أهل حقيقة لا طريقة وهم أهل طريقة لا حقيقة ، وكفى بهذا الكلام فساداً ، إذ لا وصول إلى حقيقة إلا بعد تحصيل الطريقة(1) .

وقد قال الإمام المقدم والصدر المبرز أبو سليمان الداراني رحمه الله : وإنما حرموا الوصول ــ وهو الحقيقة ــ بتضييعهم الأصول ، وهي الطريقة ، وقد شهدوا على أنفسهم بفراغهم من الحقيقة فهي شهادتهم بعينها أنهم على غير الطريقة ، وشهادتهم لنا أنَّا على الحقيقة شهادة منهم لنا بتحصيل الطريقة ، وهاتان جهالتان منهم وهم لا يشعرون . فالزمان يا ولي اليوم شديد ، شيطانه مريد ، وجباره عنيد ، علماء سوء يطلبون ما يأكلون ، وأمراء جور يحكمون بما لا يعلمون ، وصوفية صوف بأغراض الدنيا موسخون وموسومون ، عظمت الدنيـا في قلوبهم فلا يرون فوقها مطلباً ، وصغر الحق في أنفسهم فأعجلوا عنــه هرباً ، حافلوا على السجادات والمشهرات والعكاكز ، وأظهروا السبحات المزينة كالعجائز ، طغام ، أطفال ، صبيان الأحلام ،

---

(1) الطريق والطريقة ، والشريعة والحقيقة

الطريق هي مراسم الحق المشروعة التي لا رخصة فيها ، من عزائم ورخص في أماكنها ، فإن الرخص في أماكنها لا يأتيها إلا ذو عزيمة ، فإن كثيراً من أهل الطريق لا يقول بالرخص ، وهو غلط ، فإنــه يفوته محبة الله في إتيانها ، فلا يكون لــه ذوق فيها ، ولا طريق لنا إلى الله إلا ما شرعه ، فمن قال بأن ثم طريقاً إلى الله خلاف ما شرع فقوله زور ، فلا يقتدى بشيخ لا ادب له وإن كان صادقا في حاله .

لا تقتدي بالذي زالت شريعتــه عنــه ولو جــاء بالانبــا عن الله

فالمطرق الشارع والطريق المطرقة الشريعة ، فمن سافر في هذه الطريق وصل إلى الحقيقة ، وما ثم حقيقة تخالف شريعة ، لأن الشريعة من جملة الحقائق ، فهي حقيقة لكن تسمى شريعة ، وهي حق كلها ، فعين الشريعة عين الحقيقة ، والشريعة حق ، ولكل حق حقيقة ، فحق الشريعة وجود عينها ، وحقيقتها ما تنزل في الشهود منزلة عينها في باطن الامر ، فتكون في الباطن كما هي في الظاهر من غير مزيد ، ولكن تخيل من لا يعرف،أن الشريعة تخالف الحقيقة وهيهات لما تخيلوه ، بل الحقيقة عــين الشريعة : فإن الشريعة جسم وروح ، فجسمها علم الأحكام وروحها الحقيقة ، فما ثم إلا شرع ، وثم موطن يجمع فيه بين الشريعة التي هي علم الأحكام بالدنيــا وبين

لا علم عن الحرام يردعهم ، ولا زهد عن الرغبة في الدنيا يصدهم : اتخذوا ظاهر الدين شركا للحطام ؛ ولازموا الخوانق والرباطات رغبـة فيما يأتي إليها من حلال أو حرام ، وسعوا أردانهم ، وسمنوا أبدانهم ، فوالله ما أراهم إلا كما حدثني غير واحد ، منهم أبو الوليد بن العربي وأبو عبد الله بن عيسون وأحمد الشاهد عـن القاضي أبي بـكر بن العربي المعافري قال : حدثني أبو المطهر سعد بن عبـد الله الأصبهاني قال : حدثنا أحمد بن أحمد الأصبهاني قال : حدثنا أحمد بن عبد الله ثنا محمد بن أحمد بن علي قال : ثنا أحمد بن الهيثم قال : ثنا مسلم بن إبراهيم قال : ثنا بشر بن مطر بن حكيم بن دينار القطيعي قال : سمعت عمرو بن دينار وكيل آل الزبير يحدث عن مالك بن دينار قال : حدثني شيخ من الأنصار يحدث عن سالم مولى

الحقيقة التي هي علم الآخرة وأحكام الحق بها ، فلما راى القوم انهم عاملون بالشريعة خصوصا وعموما ، وراوا ان الحقيقة لا يعلمها إلا الخصوص ، فرقوا بين الشريعـة والحقيقة ، فجعلوا الشريعة لما ظهر من أحكام الحقيقة ، وجعلوا الحقيقة لما بطن من احكامها ، لما كان الشارع الذي هو الحق قد تسمى بالظاهر والباطن ، وهذان الاسمان له حقيقة ، فالشريعة لب العقل ، والحقيقة لب الشريعة ، فهي كالدهن في اللب الذي يحفظـه القشر ، فاللب يحفظ الدهن ، والقشر يحفظ اللب ، كذلك العـقل يحفظ الشريعة ، والشريعة تحفظ الحقيقة ، فمن ادعى شرعا بغير عقل لم تصح دعواه ، فإن الله ما كلف مجنونا ولا صبيا ولا من خرف من الكبر ، ومن ادعى حقيقة من غير شريعة فدعواه لا تصح .

ما نال من جعل الشريعة جانبا   شيئـا ولو بلـغ السمـاء مناره

فعلم الشريعة علم محجة وطريق ، ولابد له من سالك والسلوك تعب ، وغاية طريق الشريعة السعادة الحسية ، وليست الحقيقة غايتها في العموم ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ آمراً « وقل رب زدني علما » يريد من العلم به ، من حيث ما له تعالى من الوجوه في كل مخلوق ومبدع ، وهو علم الحقيقة ، فما طلب الزيادة من علم الشريعة ، فإن من الناس من ينال الحقيقة في أول قدم يضعه في طريق الشريعة ، لأن وجه الحق في كل قدم ، وما كل أحد يكشف له وجه الحق في كل قدم ، والشريعة هي المحكوم بها في المكلفين والحقيقة الحكم بذلك المحكوم به ، والشريعة تنقطع والحقيقة لها الدوام . فإنها باقية بالبقاء الإلهي ، والشريعة باقيـة بالإبقاء الإلهي ، والإبقاء يرتفـع والبقاء

أبي حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : ليجاءن بأقوام يوم القيامة معهم من الحسنات مثل جبال تهامة ، حتى إذا جيء بهم ، جعل الله أعمالهم هباء ، ثم قذفهم في النـــار ، فقال سالم : يا رسول الله بأبي أنت وأمي حد لنا هؤلاء القوم حتى نعرفهم فوالذي بعثك بالحق إني أتخوف أن أكون منهم ، قال : يا سالم أما إنهـم كانوا يصومون ويصلون ، وفي حديث آخر ، وكانوا يأخذون وهناً من الليل ، ولكنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام ــ وفي رواية من طريق آخر شيء من الدنيا ــ وثبوا عليه فأدحض الله عز وجل أعمالهم ، فقال مالك بن دينار : هذا والله النفاق ، فأخذ المعلى بن زياد بلحيته فقال : صدقت (يا أبا الخير) والله يا وليي لو رأيتهم في صلاتهم ينقرونها ، وفي صفوفهم لا يقيمونها ، يجعل أحدهم بينه وبين صاحبه في الصف قدر ما يدخل

لا يرتفع ، والشريعة طرق الله تعالى ، قال تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » وهي الطرق ، والحقيقة عين واحدة وهي غاية لهذه الطرق ، وهو قوله « وإليه يرجع الأمر كله » فالحقيقة كل شرع يطلبها، إذ هي باطن كل شرع، والشرائع صورها الظاهرة في عالم الشهادة ، فظاهر الشريعة ستر على حقيقة حكم التوحيد بنسبة كل شيء إلى الله ، فالطهارة في الشريعة متعلقها في الباطن أن يصحبها التوحيد بأن تراها حكم الله في خلقه ، لا حكم مخلوق مثل السياسات الحكمية ، فالشرع حكم الله لا حكم العقل كما يراه بعضهم ، فطهارة الشريعة رؤيتها من الله الواحد الحق ، والعبد محصور في قبضة الاقتدار ، مملوك في يد من بيده ملكوت كل شيء ، وهو الواحد القهار ، يتصرف بالحقيقة تحت قيد الشريعة .

علم الطريقـــة لا ينـــال براحـــة ... ومقـــايس فاجهـــد لعلـــك تظفـــر
عزت عـــلوم القـــوم عن إدراك من ... لا يعتريـــه صبابـــة وتحير
وتخشـــع وتفجـــع وتشـــرع ... بتشـــرع لله لا يتغـــير
هـــذا مقـــام القـــوم في أحوالهم ... ليسوا كمـــن قال الشريعة مزجر
ثم ادعـــى أن الحقيقـــة خـــالفت ... ما الشـــرع جـــاء به ولكن تستر
تبـــأ لهـــا من قالـــة من جاحـــد ... ويل لـــه يـــوم الجحيـــم يسعـــر

ف ح ٣٤٧/١ ــ ح ١٣٣/٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٨٣ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣
ح ١٥١/٣ ــ ح ٤١٩/٤
كتاب التراجم ــ كتاب الكتب

فيــه ألف شيطان ثم إذا جئت أن تسد ذلك الخلل تراهم قد قطبوا وجوههم ، فإن غفلت ووطئت سجادة أحدهم لكمك لكمة حيث جاءت منك وقد يكون فيها حتفك ، وهذه وأشباهها هي الطريقة التي أهل زمانك عليها ، ويرحم الله أبا القاسم القشيري حيث أدرك من تحلى بحلية القوم في ظاهره ، وتعرى عنهم في باطنه فأنشد فيه :

امــا الخيــام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

هذا الذي قد اشترك معهم في الزي الظاهر ، وأما اليوم فلا خيام ولا نساء بإجماع من القوم ، وإن الموت الأخضر عندهم طرح الرقاع بعضها على بعض وذلك شعارهم رضي الله عنهم[1] ، فقام هؤلاء فقالوا إنما لنا لبس مرقعة خاصة ولم يلحظوا ما أريد بهــا ، فتأنقوا في الثياب المطرحة ، والأعلام المشهرة ، وخاطوها على وزن معلوم ، وترتيب منظوم ، تساوي مالاً عظيماً وأفسدوا عليها ثياباً وسموها مرقعة . فرحم الله سيد هذه الطائفة أبا القاسم الجنيد حيث أنشد لما رأى فساد الحال :

اهــل التصــوف قــد مضوا ... صــار التصــوف مخرقــة
صــار التصــوف ركــوة ... سجــادة ومدلقــــه
صــار التصــوف صيحــة ... وتواجــــدا ومطبقــــة
كذبتــك نفســـك ليس ذي ... سنن الطـــريق الملحقــــه

---

(١) الموتات الأربع عند أهل طريق الله

اعلم ان لأهل الله اربع موتات ، موت ابيض وهو الجوع جوع العــادة ، وموت احمر وهو مخالفة النفس في هواها ، وموت اخضر وهو لباس المرقعات لا المشهرات ، وهو طرح الرقاع في اللباس بعضها على بعض ، كان لعمر بن الخطاب ثوب يلبسه فيه ثلاث عشرة رقعة إحداهن قطعة جلد وهو امير المؤمنين ، وموت اسود وهو تحمل اذى الخلق بل مطلق الأذى ، وإنما سمينا لبس المرقعات موتا اخضر لأن حالته حالة الأرض في اختلاف النبات فيه والأزهار ، فأشبه اختلاف الرقاع ، وأما الموت الأسود لاحتمال الأذى فإن في ذلك غم النفس ، والغم ظلمة النفس ، والظلمة تشبه في الألوان السواد . والموت الأبيض الذي هو الجوع فإن الجوع من الصبر واللون الأبيض مناسب للضياء . فإنه ﷺ قال « والصبر ضياء » .

والله ما أعلم أهل الطريق كذا ، وما كان الطريق إلا بالقعود في مرابض الكلاب مجاهدة ، وتحمل الأذى وكفه رياضة ، والرحمة والشفقة والعطف على الفقراء والمساكين والمسلمين كافة تحقيقاً ومعرفة ، أين هم من صفة أهل الله ؟ كما نعتهم شيخ الطائفة العالية رضي الله عنهم على ما حدثنا أبو محمد بن يحيى قال : ثنا أبو بكر بن أبي منصور ح[1] وحدثنا أبو الفضل أحمد قال : ثنا أحمد بن عبد الله قال : ثنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن مقسم قال : ثنا عباس بن يوسف الشكلي قال : حدثني محمد بن عبد الملك قال : قال عبد الباري قلت لذي النون المصري رحمه الله : صف لي الأبدال ، قال : إنك تسألني عن دياجي الظلم (لأكشف لك عنها) ؟ يا عبد الباري هم قوم ذكروا الله بقلوبهم تعظيماً لربهم لمعرفتهم بجلاله ، فهم حجج الله تعالى على خلقه ، ألبسهم النور الساطع من محبته ، ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته ، أقامهم مقام الأبطال لإرادته ، وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته ، وطهّر أبدانهم بمراقبته ، وطيّبهم بطيب أهل معاملته ، وكساهم حللا من نسج مودته ، ووضع على رؤوسهم تيجان مسرته ، ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب فهي معلقة بمواصلته ، فهممهم إليه سائرة ، وأعينهم بالغيب إليه ناظرة ، قد أقامهم على باب النظر من قربه ، وأجلسهم على كراسي أطباء أهل معرفته ، ثم قال عز وجل لهم : إن أتاكم عليل من فقدي فداووه ، أو مريض من فرقي فعالجوه ، أو خائف مني فأمنوه ، أو آمن مني فحذروه ، أو راغب في مواصلتي فمنوه ، أو راحل نحوي فزودوه ، أو جبان في متاجرتي فشجعوه ، أو آيس من فضلي فعِدوه ، أو راج لإحساني فبشروه ، أو حسن الظن بي فباسطوه ، أو محب لي فواطئوه[2] ، أو معظم لقدري فعظموه ، أو مسيء بعد إحسان فعاتبوه ، أو مسترشد نحوي فأرشدوه ، إلى آخر القصة على حسب ما ذكرناه في كتاب البغية لنا مستوفى ؛ فهذه أحوال العارفين يا ولي وهكذا تكون عمارة القلوب .

---

(١) (ح) يعني تحويل السند أو رواية أخرى (٢) وافقوه .

وأما أهل زمانك فوالله لو اطلعت عليهم لرأيت إن نظرت إلى وجوههم عيوناً جامدة ، متحركة غير هامدة ، وإن نظرت إلى نفوسهم رأيت نفوساً سامدة[1] ، وإن نظرت إلى قلوبهم رأيت قلوباً لاهيـــة ، من العمارة العلوية والقدسية خالية ، على عروشها خاوية ، آجاماً لأسود ضارية ، ومرابض لذئاب عاوية ، فسل الله تعالى عند رؤيتهم العافية[2] ، أين هم يا وليي من قوم وصفهم أبو الفيض رحمه الله تعالى حيث قال : إن لله لصفوة من خلقه وإن لله لخيرة ، قيل له : يا أبا الفيض ما علامتهم ؟ قال : إذا خلع العبد الراحة وأعطي المجهود في الطاعة وأحب سقوط المنزلة ثم قال :

---

(١) متكبرة .

(٢) **الشيخ يصف أهل زمانه**

هذا زمان قد ذهب شبابه وخلق إهابه ، بصره حديد وشيطانه مريد ، وقرينه عنيد وجباره عتيد ، حطت فيه اقدار الأحرار وطمس فيه وميض الانوار ، وانفطرت فيه سماء الأسرار ، وجهلت مقادير الأعيان ، وحجبت القلوب بمشاهدة الأكوان ، جهلت مقادير الشيوخ اهل المشاهد والرسوخ ، واستنزلت الفاظهم جهلا وكان لها شموخ ، جعلني الله ممن أحيا رسمها وعلاّ منصبها واسمها بمنه

قــد تــاه غلماننــا علينـا ... فمــا لنــا في الوجــود قــدر
أذنابنــا صــيرت رؤوســاً ... مــا لــي علــى مــا أراه صبــر
قــد أوذي الله مثــل هــذا ... فالوقت حــلو وقتــاً ومــر
هــذا هــو الدهــر يا خليـلي ... فمــن يقاسيــه فهو دهــر

فالمسخ في القلوب اليوم كثير ، وكان في بني إسرائيل ظاهراً حين جعلهم الله قردة وخنازير ، والمدّعون الذين يفترون على الله الكذب في زماننا كثير ، وإرداف النعم مع المخالفة موجود اليوم كثير في المنتمين إلى طريق الله ، وهو أمر عام ، وأما بقاء الحال مع سوء الأدب فهو في أصحاب الهمم وهم قليلون ، على انا رأينا منهم جماعة بالمغرب وبهذه البلاد ، وهو أنهم يسيئون الأدب مع الحق بالخروج عن مراسمه مع بقاء الحالة المؤثرة في العالم عليهم ، مكراً من الله ، فيتخيلون أنهم لو لم يكونوا على حق في ذلك لتغير عليهم الحال ، نعوذ بالله من مكره الخفي ، وأصحاب الدعاوى في هذه الطريقــة كالمنافقين في المسلمين ، فإنهم شاركوهم في الصورة الظاهرة وبانوا بالبواطن .

ف ح ٢/٣٠٢ ، ٥٣٠ ، ٥٥٣ ، ٦٠٢ — ح ٣/٣٢٨

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليلها أن تهجع
فهموا عن الملك الكريم كلامه فهماً تذل له الرقاب وتخضع

فقال له بعض من كان في مجلسه : من هؤلاء القوم يا أبا الفيض رحمك الله ؟ قال : ويحك هؤلاء قوم جعلوا الركب لجباههم وساداً ، والتراب لجنوبهم مهاداً ، هؤلاء قوم خالط القرآن لحومهم ودماءهم فعزلهم عن الأزواج وحركهم بالإدلاج[1]، فوضعوه على أفئدتهم فانسرحت ، وضموه إلى صدورهم فانشرحت ، وتصدعت هممهم به فكلدحت، فجعلوه لظلمتهم سراجاً ، ولسبيلهم منهاجاً ، ولحجتهم إفلاجاً[2]، يفرح الناس وهم يحزنون ، وينام الناس ويسهرون ، ويفطر الناس ويصومون ، ويأمن الناس ويخافون ، فهم خائفون حذرون وجلون مشفقون مشمرون ، يبادرون من الفوت ويستعدون للموت ، إلى آخر القصة كما حدثنا أبو الحسن علي بن موسى سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله قال : ثنا سعد بن عبد الله قال : ثنا أحمد بن أحمد قال : ثنا أحمد بن عبد الله قال : ثنا أبي قال : ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة قال : ثنا أبو عثمان الخياط عن أبي الفيض ذي النون بن إبراهيم المصري وهو ــ كما علمت يا ولي ــ من ساداتنا ، فهذا وصفه لأولياء الله وبهذا حلاهم وهكذا شاهدهم ورآهم ، ولقد لقيت بهذه البلاد من يلبس سراويل الفتيان ، ولا يستحي في ذلك من الرحمن ، لا يعرف شروط السنن والفرائض ، ولا يصلح أن يكون خديماً في المراحض ، ومع هذا يا وليي ، فهم والله الصدف الذي يخفي رفيع الدرر ، والسياج على الروضة اليانعة ذات الزهر ، يدخل بينهم الصادق والصديق فيجهل ، والعارف المتمكن فيترك ويهمل ، فإنه يحمل ما هم عليه لاشتراكهم في المسكن ، وما بينه وبينهم معاملة في شيء ، ولقد وقع بيدي منهم بمصر في الخانقاه بالقاهرة كهل يقرب أن يكون رجيلا لا بأس به ، ففرحت به لما لم أجد غيره واجتمعت مع شيخ يدعى فيهم شيخ الشيوخ بأربيل[3] هكذا قال لي بنفسه ورأيته يعطي النصف من نفسه للمتكلم معه رضي الله عنه ، فزعم أن ليس لله في الغرب من يعرف

---

(١) بآناء الليل وأطرافه . (٢) ظفراً وفوزاً .

(٣) اربل من اعمال الموصل بالعراق .

الطريق إلى الله ولا يتعرفه ، فأراد وليك أن لا يشافهه بخطاب ولا يتعرض إليه ، ثم رأيت ذلك قاصمة الظهر وقارعة الدهر ، فأبدينا له يسيراً مما وهبك الله من الأسرار ، ثم أعقبناه ببعض أحوال سيدنا أبي مدين خلاصة الأبرار ، فبقي مبهوتاً بما سمع وقال : ما تخلت أن يكون مثل هذا في بلاد المغرب ، ثم ألقى عليه بعض أصحابنا مسألة من الحقائق الإلهية المتوجهة على إيجاد جهنم(١) ، فوالله ما زاد على أن قال : لا أدري شيئاً ، وأنصف من نفسه واعترف بنقصه ، وهدأت شقاشقه ، وطفئت بوارقه ، فقلت له : هذا حالك معي وأنا أنقص حظاً وأحقر قدراً من أن أذكر فيهم أو أنسب إليهم ، فكيف بك لو لاحظت الكبراء والسادة النبلاء الكائنين بالمغرب الغرباء ؟ فسلم واستسلم ، وحمدت الله على ما ألهم وعلّم .

---

(١) خلق جهنم

اختص بوجود جهنم التنزل الرحماني الإلهي ، فخلقها الله تعالى من تجلي قوله في حديث مسلم « جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني » وهذا أعظم نزول نزله الحق إلى عباده في اللطف بهم ، فمن هذه الحقيقة خلقت جهنم ، أعاذنا الله وإياكم منها ، فلذلك تجبرت على الجبابرة وقصمت المتكبرين ، وجميع ما يخلق فيها من الآلام التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب الإلهي ، ولا يكون ذلك إلا عند دخول الخلق فيها من الجن والإنس متى دخلوها ، وأما إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فيها في نفسها ولا في نفس ملائكتها ، بل هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله منغمسون ملتذون يسبحون لا يفترون ، فمن لا معرفة له ممن يدعي الطريق، ويريد أن يأخذ الأمر بالتمثيل والقوة والمناسبة في الصفات يقول : إن جهنم مخلوقة من القهر الإلهي وإن الاسم القاهر هو ربها والمتجلي لها ، ولو كان الأمر كما قاله لشغلها ذلك بنفسها عما وجدت له من التسلط على الجبابرة ، ولم يتمكن لها أن تقول : هل من مزيد ، ولا أن تقول : أكل بعضي بعضا ، فنزول الحق برحمته إليها التي وسعت كل شيء وجنانه ، وسّع لها المجال في الدعوى والتسلط على من تجبر على من أحسن إليها هذا الإحسان ، وجميع ما تفعله بالكفار من باب شكر المنعم حيث أنعم عليها ، فما تعرف منه سبحانه إلا النعمة المطلقة التي لا يشوبها ما يقابلها ، فالناس غالطون في شأن خلقها . ـــ ح ٢٩٧/١ ، ٣٠٠ .

وأما أهل السماع والوجد في هــذه البلاد فقد اتخذوا دينهــم لعباً ولهواً ، لا تسمع إلا من يقول لك ، رأيت الحق ، وقال لي ، وفعل وصنع ، ثم تطالبه بحقيقة يمنحها أو إسراء استفاده في شطحه(١) ، فلا تجد إلا لذة نفسانية ، وشهوة شيطانية ، يصرخ على لسانه الشيطان فيصعق ، مادام ذلك المغرور الآخر بشعره ينهق ، فلا أشبههم إلا براعي غنم ينعق بغنمه ، فتقبل وتدبر لنعيقه ، ولا تدري فيماذا ولا لماذا ؛ فواجب على كل محقق في هذا الزمان ينظر ويقتدي به المريد الضعيف أن لا يقول بالسماع أصلاً ، ويقطعه قولاً فصلاً ، وقد أوضحنا مقامه لأهل هذه البلاد وما يتطرق إليه الفساد ، واحتجوا علينا بأحوال من سمع من الشيوخ في الرساله وغيرها ، فأوضحنا مبهمها ، وأعربنا معجمها ، فأقروا بنقصه في مراتب الوجود ، فمنهم من عدل عنه ومنهم من قام فيه على معرفته بنقصه ، وليعلم وليي ــ وفقه الله تعالى ــ أني لما قرأت بالحرم الشريف المكي على الناس ما ذكرته لك في حق المنتسبين إلى الصوفية وذم أحوالهم ثقل ذلك على شخص فقال : ما دعاه إلى هذا ؟ والإعراض عن هذا كان أحسن ، وما أشبه هذا الكلام ، فزاد عندي اعتراضه تقوية أن هذا هو الحق لكونه ثقل عليه ، ولقد عمي هذا القائل عن الأصول التي استندت إليها في فعلي هذا ، هو يسلمها ، وقد قرعت سمعه غير مرة ، ولم يعب عليها بل استحسن ذلك ، فلما وقع ذلك الذم في أهل زمانه ، رأى أن ذلك فضول لكونه في ذلك الزمان ، فخاف أن

---

(١) إسراء الأولياء

الأولياء لهم إسراءات روحانية برزخية ، يشاهدون فيها معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال ، يعطون العلم بما تتضمنه تلك الصور من المعاني ، ولهم الإسراء في الأرض وفي الهواء غير أنهم ليست لهم قدم محسوسة في السماء ، وبهذا زاد على الجماعة رسول الله ﷺ بإسراء الجسم واختراق السموات والأفلاك حساً ، وقطع لمسافات حقيقية محسوسة ، وذلك كله لورثته معنى لا حساً من السموات فما فوقها ، وإسراءات الأولياء معارج أرواح ورؤية قلب وصور برزخيات ومعان متجسدات ، ولهذا قيل : كل غيبة لا تعطي علماً لا يعول عليها .

ف ح ٣٤٢/٣ .

يتطرق إليه الذم في نفسه ؛ فحزن ولو أنصف لبحث عن نفسه ، وأما الأصول التي استندت إليها في ذلك فكثيرة جداً ، روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه يوم فتح مكة في القرن الفاضل لما فتقد عقد من عنق بعض أهله تأوه وقال : ارتفعت الأمانة اليوم من بين الناس ؛ وحكم بتلك النازلة الواحدة على الزمان ، ذكر في السير في غزوة فتح مكة ، والأصل الآخر بينته عائشة رضي الله عنها لما نظرت إلى زمانها وأهله وما هم فيه من البخل والمذام تأوهت وقالت : يرحم الله لبيداً حيث يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

ثم قالت : كيف به لو أدرك زماننا ، فذمت زمانها وأهله ، وقد روينا عن غير واحد عن ابن القشيري وعن الغانمي كلاهما عن القشيري رحمه الله أنه قال في رسالته يذم أهل زمانه ، وقد سمعها هذا المعترض علي واستحسن ذلك منه ؛ ثم قال : لم يبق في زماننا من أهل هذه الطائفة إلا أثرهم :

أما الخيام فإنها كخيامهم وارى نساء الحي غير نسائها

حصلت الفترة في هذه الطريقة ، لا بل اندرست الطريقة بالحقيقة ، وذمهم بأشد الذم ، في أول الرسالة ، ولتداولها بين أيدي الناس أضربنا عن حكاية قوله ، وروينا عن أبي حامد وغيره عن أبي المغيث في كتاب أنيس المنقطعين له من حديث ابن المهلب قال : مررت بالساحل فرأيت شاباً قد احتفر لنفسه حفرة في الرمل ، فسألته فتأوه ، ثم قال يذم أهل زمانه : توعرت السبل ، وقلّ السالكون لها ، قد افترشوا الرخص ، وتمهدوا الزلل ، واعتلوا بزلل الماضين ، إلى مثل هذا الكلام ، ثم قام فمشى على الماء حتى غاب عني ، أرأيت قط هذا يتفق لمن تكلم فيما لا يعنيه ؟ وروينا عن غير واحد من حديث عبد الرحمن بن الحسن عن هارون عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قال : لما قدم أهل اليمن ــ زمان أبي بكر رضي الله عنه ــ وسمعوا القرآن جعلوا يبكون فقال أبو بكر رضي الله عنه : هكذا كنا ثم قست القلوب ، وثبت أيضاً تقريع النبي ﷺ لأصحابه المعذبين بمكة على إسلامهم ، ومنهم خباب رضي الله عنه وقاسى بلاءً شديداً من أجل إسلامه ، قال رضي الله عنه : شكونا إلى النبي ﷺ ما نلقاه من البلاء ، وقلنا ألا تدعو الله لنا ! ألا تستنصر لنا ! فجلس محمراً وجهه ،

ثم قال : والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيوضع المنشار على رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه عن دينه شيء ، أو يمشط بأمشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه شيء، يا أيها المعترض هذه الأصول التي استندت إليها في ذم أهل وقتي لا حشرني الله معهم ، ولا أماتني على حالهم ، هلا كنت ناصري في قولي هذا ، وتعرف أنه الحق ، وأن اليوم الحال على ما وصفناه ، وكنت تأتيني باكياً على نفسك ، وأنا أيضاً كذلك ، عسى الله يرحمنــا ، ألا رضيت لنفسك أن تكون منافقاً مداهناً وللمداهنين إماماً ؟ لا والله لا أرضى بهذه الحالة ، فتب إلى الله وارجع إليه فإنه يرجع إليك ، وتعال نقم مأتماً ومناحة عــلى التقصير في العمر اليسير ، وعلى الاشتغــال بالترهات والفرح بالخزعبلات ، بل أضل الأباطيل ، ونقول . والله إنه كل من ثقل عليه هذا الكلام فهو بتلك الصفة التي وصفنا ولهذا قلق ، ولو كان بريئاً منها سكن كما سكن عند ذكرنا ذم السراق والقطاع وأشباههم ، ولما كان له في هؤلاء مدخل فر إلى الاعتراض ليزداد من الله بعداً في رده الحق ، وليس اعتراضه علينا في هذا بأول دمع جرى على طلل ، فإنه لم يزل أبداً كل من تكلم في معايب النفس وأحوالها ، ويبدي نقائصها ، ويذم شأنها ــ على التعيين، وعلى غير التعيين في كل زمان ــ مذموماً في زمانه، لعدم موافقة أغراض النفوس ، فإذا انقرض زمانه ومات ، ونشأت طائفة أخرى بعده ، عند ذلك يعرف قدر ما جاء به ، ويقال : قال فلان رضي الله عنه هكذا كان الناس .

ثم أعرف وليي ــ أبقاه الله تعالى ــ بما طرأ بيني وبين نفسي ، رأيت نفسي في هذه البلاد مسجونة مقهورة ، فإني ــ كما يعلمه ولي ــ ممن يقول بوجودها ولا يصح عندي أبداً موتها عن صفاتها لمعرفتي بحقائقها ومكانها(1) ، ولما رأيت الله تعالى

---

(1) النفس

اعلم أن الصفات التي جُبل عليها الإنسان لا تتبدل ، فإنها ذاتية له في هــذه النشأة الدنيا والمزاج الخاص ، من الجبن والشح والحسد والحرص والنميمة والتكبر والغلظة وطلب القهر وامثال هذا ، فهي صفات لازمة لها في اصل خلقتها ، لا تنفك عنها ، حتى إن بعض اصحابنا قد جعلها عين ذاتها ، وإنها صفات نفسية لها ، ولما لم يتجه تبدلها بيّن الله لها مصارف صرفها إليها حكماً مشروعاً ، فإن صرفت إليها احكام

قد فتح إلى قلبي باب الحكمة ، وأجرى فيه بحارها ، وسبح سري في لجة ثبجها ، حتى إني والله لأنظر إلى معظم البحر إذا اشتدت عليه الرياح الزعازع فعلا مرجه وارتفع دويه ، ثم أنظر إلى تموج بحر المعارف والأسرار في صدري فأجد معظم ذلك البحر بما وصفناه من تلاطم الأمواج واشتداد الرياح ساكناً لا حراك به عند تموج بحر الحكم في صدري واصطفاقه ، لاسيما في مكة المشرفة ، فداخلني من ذلك رعب شديد وجزع عظيم وخوف متلف ، فعزمت على قطع الميعـاد وأن لا أقعد للناس ، فأمرت بالقعود والنصيحة للخلق قسراً وحتماً واجبـاً[1] ، فقعدت رفيع الكلام ، مصلت الحسام ، ثم أخلو بنفسي حيث مسكني ، فأزن المواهب بالحال التي أنا عليها وفيها ، فلا أجد بينهما نسباً يربط ولا سبباً يضبط ، فخفت والله يا ولي مكر لله بي واستدراجه إياي ، فخلوت بنفسي وقد داخلني من ذلك ما لا يعلمه إلا الله تعالى ،

هذه الصفات سعدت ونالت الدرجات ، فجبنت عن إتيان المحارم لما تتوقعه من المضرة ، وشحت بدينها ، وحسدت منفق المال وطالب العلم ، وحرصت على الخير ، وسعت بين الناس بإيصال الخير فنمت به ، وتكبرت بالله على من تكبر على أمر الله ، وأغلظت القول والفعل في المواطن التي تعلم أن ذلك في مرضاة الله ، وطلبت القهر على من ناوى الحق وقاواه ، فلم تزل هذه النفس عن صفاتها ، وصرفتها في المصارف التي يحمدها عليها ربها وملائكته ورسله ، فإن الخروج عن طبع النفس لا يصح ، ولما كان لا يصح بين الله لذلك الطبع مصارف ، فإن عين الشيء المزاجي ليس غير مزاجه ، فلو خرج الشيء عن طبعه لم يكن هو ، ولهذا قلنا إن طهارة النفس تتعلق بمصارف صفاتها لا من صفاتها ، فإن عين الحرص ما يتمكن زواله ، فالحرص بوجه تكون سعادة الحريص بالحرص ، وبوجه تكون شقاوة الحريص ، فلهذا قلنا بالمصرف لا بعين الصفة .

ف ح ١/٣٥٨ — ح ٢/٤٨٢ ، ٦٨٧

(١) امر الحق الشيخ بالنصيحة

الله سبحانه قد أمرني على لسان نبيه ﷺ بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، خطابا عاما، ثم خاطبني على الخصوص من غير واسطة غير مرة بمكة ودمشق، فقال لي « انصح عبادي » في مبشرة أريتها ، فتعين عليّ الأمر أكثر مما تعين على غيري، فإني رأيت وأنا بحرم مكة في المنام كأن القيامة قد قامت ، وكأني واقف بين يدي ربي

ولا أجد طريقاً أدخل منه لتمحيص نفسي ، وقد انسدت علي المسالك ، بفنون الحقائق الأول والمعارف ، إلى أن لطف الله بي برؤيا رأيتها وجدت بها الظفر على نفسي ، وإقامة الوزن عليها ، وذلك أني رأيت في منامي كأني أدخلت الجنه ، فما حصلت فيها ولم أكن رأيت ناراً ، ولا حشراً ولا حساباً ، ولا شيئاً من أهوال القيامة ، وجدت في نفسي راحة عظيمة لا يقدر قدرها وسرورها ، وحمدت الله تعالى كما ورد في القرآن عنهم ، فلما استيقظت علمت أن في حالي بعض اختلال ، وأن نفسي ادعت فوق حالها من جهة ما أعطاها الله من العلم ، ولو كانت متحققة بالحق تحققاً عقلياً مقدساً إلهياً يفنيها عنها ، لم تلتذ بدخول الجنة ولا عقلت الراحة ، ولشغلها التنزه في جلال الله عن

مطرقا خائفا من عتابه إياي من أجل تفريطي ، فكان يقول لي جل جلاله « يا عبدي لا تخف فإني لا اطلب منك عملا إلا ان تنصح عبادي ، فانصح عبادي » — وكنت أرشد الناس إلى الطريق القويم ، فلما رايت الداخل إلى الطريق عزيزاً تكاسلت وعزمت تلك الليلة ان اشتغل بنفسي واترك الخلق وما هم عليه ، فرايت هذه الرؤية ، فاصبحت وقعدت للناس ابين لهم الطريق الواضح والآفات القاطعة لكل صنف عنه ، من الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام ، فكل قام عليّ وسعى في هلاكي ، فنصر الله عليهم وعصم فضلا منه ورحمة .

فمن يرد يمتاز في أهله فليمش بالحال على إثري
فإنه الحق الذي قال لي انصح عبادي وامتثل أمري
بمكة في حالة تقتضي في وقتها القبض على العسر
وفي دمشق قال لي مثله في مرة اخرى على سر
فقلت يا رب اعني على ما قلت لي فقال بالنصر
فلم يزل في نصرتي قائما في كل حال دائم البشر
وقال لي تمم ما بدأتم به من الفتوحات على قدر
على لسان المصطفى احمد ولم ينب عني في العذر
فإن فيها سبباً مقلقاً يضيق من إيراده صدري
فقال لي لا تلتفت إنني مزيل ما تخشى من الضر
أيدك الله فكن آمناً ولا يكن قلبك في ذعر
فقمت بالعلم لهم مفصحاً مبيناً في السر والجهر
أورده من غير كيل له كأنما آخذ من بحر

النظر إلى راحتهـا ، والتفاتها إلى نجاتها من أهوال الوعيد ، فأرادت أن تقيم عليّ الحجة القاطعة من جهة تقسيم الحقائق الإنسانية ومراتبها ، فلم أسمع لهـا وقامت حجتي عليها وآذنتها بقصورها وعظيم دعواها في شيء هي دونه وحمدت الله الذي أظفرني بها ، فقلت لها : يا نفس وعزة من جبلك على المخالفة ، وجعلك محلاً لكل وصف مذموم ، لا أتركك على دعواك حتى أعرض أحوالك كلها على كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، فإن وافقت ذلك ولم أجد منك خللا سلمت لك فيما أردت أن تقيمي علي من سلطانك ــ والله تعالى يقول : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » وقال ابن مسعود رضي الله عنه : كن أنت المحدث إذا سمعته يقول « يا أيها الذين آمنوا » ــ وإن وجدتك دون ذلك وقامت الحجة عليك ، فأنا ألطف بـك وأرحمك بأن أمشي بك على أحوال أهل الصفة الذين تنتسبين إليهم ، وعلى أحوال الصفوة من الصحابة الأعلام فيهم ، فإن خرجت مع واحد منهم في حال ما ، فأنا أنزلك

فإني رأيت رب العزة في المنـام قبل ان يظهر عني شيء من الكلام وهو يقول : « يا عبدي انصح عبادي » فتكلمت حينئذ والفت في حقائق النصح اموراً كلية يعـم نفعها ، ويأخذ كل قابل قسطه منها ، ثم اظهرتها ولم اظهر اسمي عليها ، وقلت إنما المقصود انتفاع الناس سواء عرفوا المتكلم أو لم يعرف ، فلما انتشر ذلك ، نسب الكلام للغزالي رحمه الله وصار يلعنه الناس بسببها ، فلما بلغني ذلك قلت : الآن تعين إظهار اسمي عليها لأكون وقاية لرجل مسلم يظلم بسببي ، فأظهرت اسمي عليها بعد ذلك ، فاستقبلني الناس بسهام اغراضهم ، وظنوا فيّ الظنون وانا صابر عليهم ، داع لهم ، ناظر إلى مراد الحق سبحانه من ذلك كله ، فرايت الحق سبحانه بعد ذلك في المنام ، فقلت : إلهي وسيدي امرتني أن انصح عبادك فامتثلت ونصحت ورجوت نفعهم بذلك، وقد رأيت الضرر سبق إلى كثير منهم ، فسمعته سبحانه يقول : « وكذب به قومك وهو الحق ، قل لست عليكم بوكيل ، لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون » فاسترسلت على الأصل الذي امرت به ، وعلمت أن الله تعالى ينفع بذلك من يشاء ، ويصرف عن الانتفاع من يشاء ، هذا في حكم العموم ، وأمـا الخصوص فإن الله اسمعهم النصـح واعانهم على الترقي به وتمام الفتح .

ف ح ١/٣٣٤ ، ٦٥٨ ــ كتاب المبشرات ــ كتاب النجاة عن حجب الاشتباه ــ الديوان .

معه وأرضى عنك ، وإن لم أجد مشيت بك على تابعيهم على نحو ما فعلت بك مع الصحابة ، فإن قصرت عن أحوالهم ، مشيت بك على تابعي تابعيهم ، وتابعي تابعي تابعيهم ، فإما أن تقفي مع واحد منهم ، وإما أن تقصري عن شأوهم ، فالنار أولى بك ، وأجعل حكمتك ومعرفتك كدرهم زائف عند صيرفي ناقد .

فقالت لي : — وقالت بعض حق — أما النبي (عليه الصلاة والسلام) فلا أعرض حالي مع حاله أدباً معـه ، فإن فلك النبوة ليس لنا فيه قدم ، ولا تقوم لك به عليّ حجة ، فإنه البحر الذي يغترف منه الخاص والعام ، فإن شددت علي به رخصت أنا على نفسي به ، وتتعارض الحجج وكل سُنّة ، وأنا أسقط لك الدعوى مـن أول وهلة ، وأهجم على الرخص وأتخذها سُنّة كما وردت ، وأقنع بالنجاة من النار خاصة وأحرمك التنزل في المنازل العلا فيما بقي من عمرك ، وكذلك القرآن فإنه البحـر الأعظم الذي لا يدرك قعره ، إذ ليس له قعر فيدرك ولا ساحل فيبلغ ، بل فيه هلك الهالكون ، ونجا المفلحون ، قال تعالى : « يضل به كثيراً ويهـدي به كثيراً » تالله لو عرضت الملائكة والنبيون والمرسلون أجمعون أحوالهم على آية مـن القرآن — على حد ما يعلمه الله من أسرار ما أودع فيها من الغيوب — لبقي الكل إلى جانبها كلا شيء عندها ، لقد قيل في أول آية منه وهي قوله تعالى : «الذين يؤمنون بالغيب» يتيه العالم أسفله وأعلاه ، لا يعرف طريقه أبداً ، ولا يفي أحد بحقيقتها ، فإن في الغيب أموراً لو بدا منها لمحة بارق لأعلى عالم مشاهدة من العالم وأقواه إيماناً لتردد فيها واتهم إيمانه ، فهم جهلوا الأسماء ، فما ظنك بما تنطوي عليه المسميات من المعاني ، وذلك لعلو الأمر عن مراتب العقول ، وانفراد الحق بالخلق والإيجاد دون الخلق ، ولهذا قال الله تعالى : « ألا يعلم من خلق » ولما لم يكن لنا خلق ، لم يكن لنا علم ، فما أعطانا فمنة منه ، وعلمه لا يتناهى ، فليس بإنصاف منك أن تعرض حالي على كتاب الله الأقوى الأقهر ، ولكن حسبك من دون القرآن والنبوة مـن المؤمنين ، فخذ معي في مراتب الولاية وأنا المنقادة السميعة السهلة المطيعة ، أرجع معك عليّ باللائمة إن قصرت ، وأنصفك مـن نفسي إن أحصرت ، ولا تبقى في محل الغبن

والخسران ، فإنك أنا ، كما أنا أنت ، فلست غيري ولست غيرك ، وما لك عليّ حجة وقد أعطيت يد الانقياد في التمحيص والاختبار .

فتعجبت والله من نفس تنقاد لهذا المقدار ، فبلوت كلامها ، وما جاءت به ، فوجدتها قد انطوت على مكر وخداع ، وأمر هائل لا يستطاع ، وقد شابت الأرى بالشرى[1] ، وأبطنت الحرب في السلم ، فتعاميت عنها في ذلك ، وعملت كأني لم أشعر بخداعها المهلك ، وحررت نفسي معها في المناظرة ، ولم أتنق لها من أحوالهم إلا ما لم يخطر لها على بال ، ولا اتصفت به في حال ، وعدلت عن كل حال رأيت لها فيه بعض اشتراك ، ولو علمت أني أجد ولياً من أولياء الله تعالى لم يمتز عنها بحال البتة ، لم أناظرها بأحوالهم ، ولا أخذت في مناقضتها ابتداء في سهولة انقيادها ، وإظهار نصيحتها ، وتركتها بتعرضها لمعرفتي بنقصها وأنها تعجز عن ذلك .

فقلت لها : هات أخرجي أسنى ما تدعينه ، وأعلى ما تحتفظينه وتعينه[2] ، وأنا أعرض عليك أولاً حال **أهل الصفة** ، وما كانوا عليه مجملاً من غير تفصيلهم بأسمائهم رغبة في التخلص في أسرع حال ، فقالت : قل ، فلت لها : حدثنا محمد بن عيسون قال : ثنا أبو بكر بن عبد الله قال : ثنا سعيد قال : ثنا أبو الفضل قال : ثنا أحمد بن عبد الله قال : ثنا أبو بكر بن مالك قال : ثنا عبد الله بن حنبل قال : حدثني أبي قال : ثنا وكيع قال : ثنا بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب ، فمنهم من يبلغ ركبتيه ، ومنهم من هو أسفل من ذلك ، فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته ، قال بعض علمائنا : والله ما اجتمع لهم ثوبان ولا حضر لهم من الأطعمة لونان ، فاشدتك الله يا نفس هل كنت قط أفقر منك الآن في حرم الله تعالى فقالت : لا ، فقلت لها : الحمد لله ترين لك قميصاً وإزاراً وسراويل وجبة وعمامة ونعلا وبردة ، وخبزاً نقياً ولحماً طرياً وحلواء ، ويخدمك الرؤساء ويمتثل أمرك تقولين افعل فيفعل ، تقولين لا تفعل فلا يفعل ، أين أنت منهم ؟ (أي أهل الصفة) ماتوا والله بحوائجهم في

---

(١) الأرى هو العسل ، والشرى هو الحنظل .   (٢) تدركينه من وعى .

صدورهم لم يستطيعوا لها قضاء ، على ما رويناه من حديث سليمان بن أحمد عن هارون بن ملول عن أبي عبد الرحمن المقبري عن سعيد بن أبي أيوب عن معروف بن سويد الحزامي عن أبي عشانة المعافري عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ يقول فيهم : فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء ، أخبر بهذا عن الله عنهم ، بالله يا نفس حصلت في هذا المقام ؟ قالت : لا والله ، قلت لها : فلست منهم ، استحي من الله وارجعي على عقبك ، ولا تطاولي لقوم لست منهم في شيء ، فقالت : عليّ بغيرهم ، فليس لي هنا قدم .

قلت لها : فهذا **عمار بن ياسر** روينا من حديث أحمد بن جعفر بسنده عن عمار رضي الله عنه أنه قال وهو يسير على شط الفرات : اللهم لو أعلم أن الأرضى لك عني أن أتردى فأسقط فعلت ، ولو علمت أن الأرضى لك عني أن ألقي نفسي في هذا الماء فأغرق فيه فعلت ، ناشدتك الله يا نفس هل خطر لك هذا قط في رضى الله لا تبغي به بدلا ؟ قالت : لا والله ، فانتقل بي عن هذا .

قلت لها : نعم **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه روينا بالسند المتصل إليه أنه قال : ألا حبذا المكروهان الموت والفقر ، وايم الله إن هو إلا الغنى والفقر وما أبالي بأيهما ابتليت ، إن كان الغنى إن فيه للعطف ، وإن كان الفقر إن فيه للصبر ، ناشدتك الله يا نفس هل عاملت الله قط من عمرك بمعاملة أثمرت لك أن تقطعي على الله بمثل هذا ؟ وتأمني من الفتنة في الغنى والكفر في الفقر ؟ قالت : النصف ، أما القطع فلا ، انتقل بي عن هذا فقد أربى علي .

قلت لها : نعم هذا **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه روينا بالسند المتصل إليه أنه لما أسلم قال له النبي ﷺ : يا عمر استره ، قال رضي الله عنه : قلت والذي بعثك بالحق لأعلننه كما أعلنت الشرك ، ناشدتك الله يا نفس هل قمت لي قط في دين الله تعالى حامية عنه بأمر بمعروف تعيّن عليك أو نهي عن منكر في موطن دونه السيوف الحداد وعدم الناصر يغلب فيه على ظنك أنك نقتلين فيه ؟ قالت : لا والله ، وإنما قاربت هذا المقام ولكن بسياسة وطنت بها نفوس الأعداء ، بحيث إن غلب على ظني الأمن والعافية في دمي ، قلت لها : فارجعي ، قالت : نعم هات غيره .

قلت : هذا **أبو عبد الله ثوبان** مولى رسول الله ﷺ روينا عنه بالسند الصحيح أنه سمع النبي ﷺ يقول : من يتقبل لي واحدة تقبلت له الجنة ، قال : أنا يا رسول الله ، قال : لا تسأل أحداً شيئاً ، فكان رضي الله عنه ربما سقط السوط من يده وهو على بعيره فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه حتى ينزل إليه ويأخذه ، ناشدتك الله يا نفس هل أقدمت في مخاطباتك هذا الإقدام على أمر مجهول ؟ ثم لو أقدمت عليه . هل كنت تفي به هذا الوفاء ولا تجنحي إلى تأويل فيه لحصولك في مقام أنت فيه بحكم التخيير؟ قالت : كل ذلك لم يكن مني ، قلت لها : فلا مع الأحرار أنت ولا مع الموالي ، فصغرت وقالت : انتقل بي عن هذا .

قلت : نعم هذا **عثمان بن عفان** رضي الله عنه روينا بالسند الصحيح عن شرحبيل ابن مسلم أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخبز والزيت ، ناشدتك الله يا نفس هل فعلت هذا مع أصحابك قط ، آثرتيهم باللطيف واستأثرت بالخشن ؟ فقالت : لا والله ، بل كنت على أحد وجهين معهم : إن لم يكن عندي طعام غير ما جعلت بين أيديهم شاركتهم فيه ، وإن كان عندي أرق منه أكلت وحدي ، ذلك مثل الحلواء والخشكنان وغير ذلك ، وأقول هذا غذاء لبني ، وألبس على نفسي بهذه الترهات ، حتى لا أتنغص به عند أكله ، وأقول هؤلاء الإخوان في مقام التربية فينبغي أن لا أزرع حب الشهوات في قلوبهم بإطعامي لهم مثل هذا ، ومقامي لا يؤثر فيه مثل هذا الطعام فلا بأس بتناولي إياه ، فآكله على هذا الحال وقد عميت عن مطالبة الحق في موازنة المعاشرة ، وأدناها أن أشاركهم في شهوتهم لما أعرفه من تأثير الحقائق ، ولا شك أن عثمان رضي الله عنه ما فعل هذا في أوانه فنجد عنه مندوحة ، وإنما فعل هذا بعد التمليك ، قلت لها : بارك الله فيك يا نفس إذ أنصفتني ، قالت : الحق أحق أن يتبع هات غيره .

قلت لها : نعم ، هذا **علي بن أبي طالب** — كرم الله وجهه — باب مدينة العلم النبوي ، وصاحب الأسرار وإمامها ، روينا بالسند الصحيح عن ضرار بن ضمرة الكندي قال : أشهد بالله لقد رأيت علياً في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، يتمثل في محرابه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم[1] .

---

(١) أي اللديغ .

ويبكي بكاء الحزين ؛ فكأني أسمعه الآن وهو يقول : يا ربنا يا ربنا — يتضرع إليه — ثم يقول للدنيا : أبي تغررت ؟ أإلي تشوفت ؟ هيهات غري غيري ، قد بتتك ثلاثاً ، فعمرك قصير ؛ ومجلسك حقير ، وخطرك كثير ، أواه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق ؛ وروينا مــن حديث نوف البكالي قال : رأيت علي بن أبي طالب كرم الله وجهــه خرج فنظر إلى النجوم فقال : يا نوف أراقد أنت أم رامق ؟ قلت : بل رامق يا أمــير المؤمنين ، فقال : يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيــا الراغبين في الآخرة ، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً ، وترابها فراشاً ، وماءها طيباً ، والدعاء والقرآن دثاراً وشعاراً ، رفضوا الدنيــا على منهاج عيسى عليه السلام ، يا بحوراً تحتوي عليها هذه الألفاظ الرائقة البليغة ، ليس لها سواحل ، ناشدتك الله يا نفس ، هذا علي رضي الله عنه — على تمكنه فيما تدعيه من المقام والحال — قد علم المقام وعمله وأحكمه ؛ ووفى الحقائق حقها على أتم الوجوه ، ولم يجنح إلى تلويحات الأحوال كما فعلت أنت وأكثر العارفين في زمانك ، الذين انبسطوا بعد قبضهم ، وأنسوا بعد هيبتهم ، وجمعوا المال بعدما كانوا رموا به ، فرجعوا فرُجع عنهــم ، فتخيلوا أنهم في الحاصل ، وهم في الفائت ، انظري يا نفس تمكنه في المعارف وتبرزه في صدور المواقف ، وضربه بيده إلى صدره فيقول : إن ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة ، وهذا عمله في خلوته يخاطب دنياه بلسان مولاه ، توحيداً مكملاً ، وتمييزاً محققاً ، لم يخلط بين الحقائق ، ولا داخل الرقائق بعضها على بعض ، أحكم الحال والمقام ، وعلم أنها ليست بدار مقام ، فعاملها معاملة الراحل ، فعل الحكيم الحازم ، لم تحجبه مخاطبته لدنياه بلسان الهجر والقلا ، وتحسر على قلة الزاد وبعد الطريق ، وذكر الوحشة بعد تحصيل الأنس ، وتغبيطه الدارجين على منهاج من وجد شيئاً من غير شهوة ، فلم يعلق بقلبه كون ، ولم يحن إلى عين ، ولم يحجبه ذلك كله عن تحققه في المشاهدة ، بل ذلك تسكين على تمكين ، حيث أعطى الموطن حقه ، وأنصف ربه ونفسه ودنياه وآخرته ، فبقي حراً في وقته ، آتى كل ذي حق حقه في نفسه ، أنشدك الله يا نفس على معرفتك القاصية ، ومشاهدك الدانية ، هل صاحبت هــذا الحال

استصحاب هذا الإمام ؟ قالت : لا والله ، إنما هي بوارق تلمع ، وأهلة تطلع ، في أوقات دون أوقات ، والغالب الشتات ، بل فدعي ومن رأيت من المشيخة التصرف فيها والأخذ من طيباتها ، من جهة حقائق الإيجاد السلبي ، والاستخلاف الذي صح لي ، وهو نقص في الحكمة ، حيث لم أكن مثل علي رضي الله عنه بحكم الموطن ، والله ما لي شبه إلا بمن غاط في المسجد ، وصلى في المرحاض ، وهكذا كل من وسع على نفسه في الدنيا من عال ودون ، فالكل والله تافه ، وفي بيداء العماية تائه ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، لولا أني أريد أن أقف على أحوال هؤلاء السادة ، لطويت معك بساط المناظرة ، وعدلنا عن هذه المحاضرة ، فقد رماني والله هذا الإمام بداهيـــة ، ما أرى لهـــا ناهيـــة ، وقاصمة ما أرى لهـــا عاصمة ، وقد أسلمت لبرهان العلم ، واستسلمت لسلطان الحكم ، ومن مثل عليّ وهذا مقامه ، ومن يعادله وهذا كلامه ، لو لم ينبه لغفلتنا عن شرف منزلته إلا بسكوت الحصى في كفه ، لكان في ذلك تنبيهاً لكل قلب نبيه ، فيا سوء ما كنت فيه ، جزاك الله عني خيراً ، زدني زادك الله حكمة وإيماناً ، وحفظاً وبياناً .

قلت لها : نعم هـــذا الذي بشرت غير ما مرة أنك في مقامه ، حامل ألويتـــه وأعلامه[1] **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه ، روينا بالسند الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، خرج حين توفي رسول الله ﷺ وعمر رضي الله عنه يكلم الناس فقال : اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فقال : اجلس يا عمر ، فتشهد أبو بكر ثم قال : أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله عز وجل فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا قوله تعالى :

---

(١) مقام العبودة المحضة

لما شهدت لي جماعة أني على قدم ابي بكر الصديق من الصحابة ، علمت انه ليس إلا مقام العبودة المحضة ، لله الحمد والشكر على ذلك ، فإني ذقت هذا المقام من نفسي ذوقاً لا مزاج فيه ، أعرفه من نفسي .

ف ح ٣/٣٧٢

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » ـ الآية ـ فسكن جأشهم بالقرآن وهو لم يزل ساكن القلب مع الرحمن ، ناشدتك الله يا نفس : هل حصّلت بالسر الذي تدعي أنه قد حصل لك من الحق حالاً ومقاماً من تعظيم الله تعالى ما علمت به تعظيم من عظّمه الله من جهة تعظيم الله إياه ؟ ثم وفيته حقه في ذلك بكل شيء هالك إلا وجهه ؟ من غير أن تسقطي باستيلاء سلطان عظمة الله من قلبك عظمة خير العالمين إلى من دونه من أهل التعظيم مقاماً مستصحباً ؟ قالت : لا والله يا وليي ؛ إنما أنا بين فناء وبقاء ، وتلاش وانتعاش ، وإقبال وإدبار ، ووصول ورجوع ، وما كنت فهمت قط هذا من هذا الكلام الذي خرج من فم الصديق حتى نبهتني عليه ، ولا سمعته من أحد من أشياخنا ولا رأيته ، على أن لنا بحثاً وأسراراً في الصحابة وتعظيمهم ، ومكانتهم ما سُبقت إليها[1] ؛ وما رأيت أحداً ممن لقيته من أصحابنا عثر على ذلك ، إلا أنهم يجمجمون عليه ويحومون حوله ، ولم يجدوا لتحصيله منفذاً ، وإنما هو وهب إلهي ، لا يوصل إليه بعمل ، وهم يطلبونه بالاستعداد والمجاهدة ، ثم قالت لي : انتقل بي عن هذا المقام فقد قصم ظهري .

---

(١) الصحابة

أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، فازوا بالمقام العلي هنا، وفي دار السلام أعلى درجات القربة ، التحقق في الإيمان بالصحبة ، لا يبلغ أحدنا مدّ أحدهم ولا نصيفه ؛ ولا يصلح أن يكون وصيفه ، نحن الإخوان فلنا الأمان ، وهم الأصحاب فهم الأحباب ؛ فمن رأى الصحبة عين الاتباع من أهل الحقائق ، الحق اللاحق بالسابق ؛ فغاية السابق تعجيل الرؤية ، لحصول البغية ، ولكن ما لها بالسعادة استقلال فيما أعطاه الدليل وصححه السبيل ، وكم شخص رآه وشقي ، والذي تمناه بعدم اتباعه ما لقي ؛ فما أعطته رؤيته، وقد فاتته بغيته ، فما ثم إلا الاقتداء ، وما يسعدك إلا الاهتداء، فتعجيل النعيم للمصاحب ، فهو أقرب الأقارب .

واصحاب رسول الله ﷺ الظن بهم جميل رضي الله عن جميعهم ؛ ولا سبيل إلى تجريحهم ، وإن تكلم بعضهم في بعض ، فلهم ذلك ؛ وليس لنا الخوض فيما شجر بينهم ، فإنهم أهل علم واجتهاد ؛ وحديثو عهد بنبوة ؛ وهم مأجورون في كل ما صدر منهم عن اجتهاد سواء اخطؤوا أم اصابوا .

قلت لها : نعم هذا **سلمان الفارسي** — رضي الله عنه — دونك في النسب الطيني ، وإمامك في النسب الديني ، روينا بالسند المتصل عن رجل من أشجع قال : سمع الناس بالمدائن أن سلمان كان في المسجد ، فأتوه فجعلوا يثوبون إليه ، حتى اجتمع إليه نحو من الألف ، قال : فقام فجعل يقول : اجلسوا اجلسوا ، فلما جلسوا ، افتتح سورة يوسف عليه السلام يقرؤها ، قال : فجعلوا يتصدعون ويذهبون ، حتى بقي نحو مائة فغضب وقال : الزخرف من القول أردتم ؟ قرأت عليكم كتاب الله فذهبتم . ناشدتك الله يا نفس فهذا مجلس حق فاصدقيني ، هل سمعت قط كتاب الله يتلا فلم تهتزي ، فلما أنشد شعر اهتززت ، وجننت وأخذك الحال ؟ فقالت : والله ذلك ديني . دأبي أبدا ، وأزيدك ، والله ما هو أنحس من هذا مما أنا عليه أني أقرأ القرآن . ويدركني العياء ، وأقول لك ، والله لا أقدر على شيء ، وقد ضعفت ، وكلّ خاطري . فتجيبني إلى ذلك ، وتترك المصحف من يدك ، أو التلاوة من لسانك ، فما تلبث أن نبهتك على مقطوعة من كلامك ، أو كلام غيرك في أي فن كانت ، فتفتح فاك بها . وتنشدها ، وتترنم فيها ، وترتلها مترسلا على طريقة تستحسنها ، نشيطاً طيب النفس ، ما بك من كسل ولا عياء ، فلو كان الكسل والعياء حقيقة مني لاستصحبك : وإنما ثقل عليّ القرآن ، وكنت أجعلك في تلاوته تحدر ولا ترتل عسى تستريح ، وكذلك في أوراد العبادات التي يستحب التثبت فيها ، وذلك كله خديعة مني بك . أترى هكذا حالة المؤمن ؟ لا والله ، بل كلام الله تعالى للمؤمن ألذ وأشوق إلى سماعه من الظمآن للماء الزلال ، فإنا لله وإنا إليه راجعون على نقص الإيمان ، بل والله على ذهابه ، يا شؤم نفسي ! ويا حسرتي ! ويا أسفي ! كم مرة والله سمعت آية من كلام

فإذا جالست من تعرف انه يقع في الصحابة من الروافض ، فلا تتعرض ولا تعرض بذكر أحد من الصحابة التي تعلم أن جليسك يقع فيهم بشيء من الثناء عليهم ، فإن لجاجه يجعله يقع فيهم فتكون أنت قد عرضتهم بذكرك إياهم للوقوع فيهم .

ف ح ١/٥١٨ — ح ٤/٣٦٦ ، ٤٨٤

أما هذه الرسالة التي ذكرها الشيخ فلا يوجد منها اي نسخة في المكتبات العامة — راجع مؤلف عثمان يحيى رقم ٦٩٩

الله فثقلت عليّ ومججتها ، وكم والله رنـة شعر سمعتها فاستعذبتها ، أخاف والله يا وليي على نفسي وعلى من هو مثلي أن ينقل اسمه من ديوان المؤمنين إلى ديوان من قال فيهم الحق جل وعلا : « وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » وقد اتصفت بهذا ، يقول القوال زخرف القول وغروره فأهتـز وأقوم ، وأقول شاباش هذا والله حسن ، فأقسم بالله كاذباً ، ولا يزال الملعون من شيطان يرقصني ــ كما يفعل صاحب القرد بقرده ــ فإذا أخذ حاجته مني ، صفعني صفعة فأضجعني ، فيقوم مـن قل فلاحه مثلي ، فيغطيني برداء حتى يخلي سبيلي وأقوم وأهني ، وقد عزاني الملأ الأعلى في ديني وفيما مضى من عقلي ، فإذا كان آخر الليل أنام أنا والجماعة السوء مثلي ، وقد تعبنا من كثرة ما رقصنا ، فلا نلحق ننام إلا والصبح قد قام ، فنقوم نتوضأ أقل ما ينطلق عليه اسم الوضوء ، ثم نجيء إلى المسجد ، هذا إذا وفقت ، وإلا فالأغلب على من هذه حالته أن يصلي في داره بإنا أعطيناك الكوثر وسورة الفاتحة ، كيف ما كانت ، والقنوت ليس بواجب فأتركه ، وأنقرها مخففة جداً ، ثم أضطجع إلى وقت الضحى لأستريح ، هيهات والله ما كانت طريق الله هكذا ، وإن كنت موفقاً أكثر من غيري توضأت وخرجت إلى المسجد ، وإذا دخلت فيقال لي : قد صلىَ الناس فلا أجد لذلك حزناً ، ولا أكترث ، بل أقيم الصلاة وأصلي وأخرج وكأنه ما فاتني شيء ، لاهي القلب ، مسروراً وأقول بلسان الحال : قد حصل لي أجـر الجماعة بقصدي وأراحني الله من تطويل الإمام ، وإن أدركت الصلاة مع الإمام فأنا في تلك الصلاة على أحد وجهين ، إذا كنت مستريح القلب من كل شيء إما حاضر في ليلتي البارحة وحسنها ، وما كان أحسن ذلك القول وشعره ، وأقضي صلاتي كلها في هذا ، حتى لا أدري ما صلى الإمام ، ولا بما صلى ، وإنما رأيت الناس يفعلون شيئاً ففعلت مثلهم ، ركعوا فركعت ، وسجدوا فسجدت ، ووقفوا فوقفت ، وجلسوا فجلست ، أو يكون النوم قد أخذ مني ــ وهي الحالة الثانية ــ فأترقب عند ذلك فراغ الإمام ، وتثقل علي القراءة ، وأغتاب الإمام في نفسي وأمقته ، وأقول : ما أثقله قد افتتح

سورة الحشر أو الواقعة هلا كان قنع بالانفطار والفجر ـ والنبي ﷺ قد أمرنا بالتخفيف هذا خلاف السنة ـ ونحوقل ونهلل كل ذلك لغير الله تعالى ، آما تستحي يا نفس من الله تعالى ؟! وقد وقعت البارحة مسخرة للشيطان وملعبة له ، ورقبتك مصفعة ، وناصيتك بيده وأنت في هذا كله تلتذين ، ثم الداهية العظمى ، والطامة الكبرى ، والداء العضال ، والمصيبة الآزفة التي ليس لها من دون الله كاشفة ، أني أقول في تلك الحالة كلها : إني كنت مع الله ، وفي الله ، وبالله قمت ، وفي الله شطحت ، وإلى الله وصلت ، وقلت لله ، وقال لي الله ، ويعتب أولئك الأغمار الجهال مثله فيقول : لمَ لم تسألوني إذا رجعت من حالي ، ولو سئل لافتضح ، ولو فرضت أنه أجاب ، فقد يجيب الكاذب عما يسأل عنه مثل هذا ، ويؤيده الشيطان بخيالات ينصبها له ، ويبديها في سره فيعبر عنها ، قال الله تعالى : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » • فهذا ولي الشيطان ينطق بلسانه وهو مطيع له فانتظم في أهل الشرك ، فناهيك من مجلس يحوي أو يضم المشركين وأولياء الشياطين « إن وليَّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » أخبرني شيخي ـ وكان من أهل الكشف والوجود ـ عن رجل أعمى البصر من الصالحين ، حضر مبيتاً في سماع فقال الأعمى : هذا إبليس قد دخل على صورة معزى ، فرآه يشم الجماعة واحداً واحداً ، قال الشيخ وقعد الأعمى ينعت الجماعة الأول فالأول على التتابع كما هم عليه من الجلوس واللباس والصورة وهو يقول : ترى الملعون يمشي عليهم ناظراً إليهم حتى تراه قد ثبت عند واحد عليه عباءة حمراء وعمامة وإحرام التفتوا إليه قال : فالتفتنا ، فرأيناه يستجلب الحال ، فقال الأعمى : أرى الملعون قد وقف عند هذا الرجل ، ثم قال : تراه يريد أن ينطحه بقرنه ، قال : ثم غلبه فطعنه بقرنه ، فإذا ذلك الرجل قد صاح صيحة وغلب عليه الحال ، وقام يشطح ، فقام أهل المجلس لقيامه ، وهو بهذه المثابة ، ما أحسن قول الله عز وجل إذ يقول : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » ، فناهيك من خصلة لم يرضها لنبيه ، وقال : « إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » ، بارك الله فيك يا نفس أقررت بالحق ، وخضعت له ، فقالت : الحق

أحق أن يتبع ، صدق والله سلمان الفارسي رضي الله عنه ، ورضي الله عن أبي مدين حيث قال : لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد ، هذا مقام المريد فما ظنك بالعارف ، هل يعرج على كلام غير كلام سيده ؟

وكل من سمع من الشيوخ فهو على أحد أمرين ، إما قبل أن تحصل له مرتبة التمكين ، فالسماع عندنا عليه حرام في ذلك الوقت ، أو سمع بعد التمكين بشروطه المعروفة التي قد ذكرناها في غير هذا الموضع ، ويعلم من هذا أنه قد نزل من المقام إلى ما هو أسفل منه وأدنى، لحَظِّ نفسي، ولهذا قلنا في حق بعض من لقيناه من المشايخ ــ وكان يولع بالسماع وكان قبل ذلك لا يقول بــه ــ فسئلنا عنه فقلنا : الشيخ متمكن ، ومقام السماع نازل ، وحظه النفس ، فما هو الشيخ والله أعلم إلا نزل إلى السماع رحمة بنفسه دنيوية وجاد على السماع بذلك ليشرف به السماع، فإن السماع يشرف بالعارفين ، ولا يشرف به العارفون ، فصار نزوله إليه كنزول الحق لعباده هل من تائب فيغفر له ، فشرفنا بنزوله إلينا ، ولم يشرف هو بنا ، هذا إذا كان الشيخ عالياً ، ولكن يقع منه هذا نادراً ، إلا إن أراد الحق أن يبقيه فيه زماناً طويلاً فيعلم الشيخ ــ إن كان عارفاً متمكناً ــ أنه مطرود وأن رجوعه إلى السماع مستصحباً عقوبة من الله عز وجل له لذنب أتاه ولذلك عاقبه بالسماع فلا يجد حاله إلا فيه ، ويفقدها إذا فقده مكراً من الله واستدراجاً ، فيبكي على نفسه ، ويبحث على ما جنته نفسه ، فيجد ذنباً ضرورة لابد من ذلك ، والله يلبسنا وإياكم رداء العافية ، ويحلنا وإياكم المراتب السامية العالية ، ولا يجعلنا وإياكم ممن له إلى سماع السماع أذن واعية ، فيكون من أهل القلوب اللاهية[1] ، يا نفس أعرض عليك غير هذا ، قالت :

---

(١) السمــاع

قيل لسيدنا ابي السعود بن الشبلي البغدادي ما تقول في السماع فقال هو على المبتدىء حرام ، والمنتهي لا يحتاج إليه ، فقيل له : فلمن ؟ فقال : لقوم متوسطين أصحاب قلوب .

لا ينبغي ان ينشد في حق الله شعر قصد به قائله في أول وضعه غير الله ، نسيباً كان او مديحاً ، فإنه بمنزلة من يتوضأ بالنجاسة قربة إلى الله ، فإن القول في المحدث

نعم ، أحوال مثل هؤلاء هي الشفاء والدواء ، إذ ليس لنا سبيل إلى الله تعالى إلا على مدارجهم ، ولا ارتقاء إلا على معارجهم ، فبأحوالهم تتحقق وهي الموصلة إلى الحق .

قلت لها : نعم هذا أبو الدرداء رضي الله عنه ، روينا من حديث أحمد بن جعفر ابن حمدان قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه ، ثنا إسماعيل ، ثنا أيوب السختياني عن أبي قلابه قال : قال أبو الدرداء رضي الله عنه : إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً ، وإنك لا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب الله ، ثم ترجع إلى نفسك فتكون لها أشد مقتا منك للناس ، وكان أبو الدرداء رضي الله عنه من الذين أوتوا العلم،ناشدتك الله يا نفس هل كنت قط على ما أشار إليه أبو الدرداء؟

حدث بلا شك ، وقد نبه الله في كتابه على هذه المنزلة بقوله « وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه » وقوله « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق » وقال « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » والشعر في غير الله مما أهل لغير الله به ، فإن للنية أثراً في الأشياء ، والله يقول « وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » والإخلاص النية ، وهذا الشاعر ما نوى في شعره إلا التغزل في محبوبه والمديح فيمن ليس له بأهل لما شهد به فيه ، وكل ما كان قربة إلى الله شرعا فهو مما ذكر اسم الله عليه وأهلّ به لله ، وإن كان بلفظ التغزل وذكر الأماكن والبساتين والجوار ، وكان القصد بهذا كله ما يناسبها من الاعتبار في المعارف الإلهية والعلوم الربانية ، فلابأس ، وإن انكر ذلك المنكر فإن لنا أصلاً يرجع إليه فيه ، وهو أن الله تعالى يتجلى يوم القيامة لعباده في صورة ينكر فيها حتى يتعوذ منها ، فيقولون « نعوذ بالله منك لست بربنا » وهو يقول « أنا ربكم » وهو تعالى .

وقد ذم الله قوما اتخذوا دينهم لهوا ولعباً وهم في هذا الزمان اصحاب السماع اهل الدف والمزمار ، نعوذ بالله من الخذلان .

ما الدين بالدف والمزمار واللعب ... لكنما الدين بالقرآن والأدب

وقال :

إن التواجد لا حال فتحمده ... ولا مقام له حكم وسلطان
يزري بصاحبه في كل طائفة ... وما له في طريق القوم ميزان
بل ذمه القوم لما كان منقصة ... والنقص مافيه في التحقيق رجحان
وكل ما هو فيه من يقوم به ... فإنه كله زور وبهتان

قالت : كنت على بعضه لا كله ، قلت لها فقد نقصك من الفقه على قدر ما نقصك منه فقد ثبت جهلك ، قالت : صدقت ولكن اشرح لي قوله فإن فيه إجمالا ، قلت لها نعم سمعاً وطاعة ، أما قوله إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً ، تحت هذا الكلام بحور طامية ، وأسرار عالية ، عمادها الذي يُرجَع إليه معرفة القرآن ومنزله وتنزله ، وليس هذا المكتوب يحمله لما بني عليه من الاختصار ، فأما الوجوه يا نفس التي يكون بها فهيماً من رآها فهي كثيرة ، نذكر منها وجهين أو ثلاثة ، فمنها المسألة التي كنا فيها من سماع الشعر ، وذلك أن الإنسان له أحوال كثيرة ، يجمعها حالتان مسماتان بالقبض والبسط ، وإن شئت الخوف والرجاء ، وإن شئت الوحشة والأنس ، وإن شئت الهيبة والتأنس ، وغير ذلك ، فمتى اتصف الإنسان عارفاً كان ،

فأهل السماع والوجد بالأشعار التي أهلت لغير الله هم ابعد الخلق عن الحق ، فإنهم اكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، ولما كان الوجد يستدعي التنزيل جاء في الآية « وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » في مقابلة الوحي الحق فتفطن .

وأما السماع المتعارف وهو الغناء ، فمذهبنا فيه أن الرجل المتمكن من نفسه لا يستدعيه ، وإذا حضر لا يخرج بسببه ، وهو عندنا مباح على الإطلاق ، لأنه لم يثبت في تحريمه شيء عن رسول الله ﷺ ، وما أحسن قول الله عز وجل « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » فناهيك من خصلة لم يرضها لنبيه ، وقال « إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » فما ظنك بالعارف ، هل يعرج على كلام غير كلام سيده ؟ ، وكل من سمع من الشيوخ فهو على احد امرين ، إما قبل ان تحصل له مرتبة التمكين فالسماع عندنا عليه حرام في ذلك الوقت ، أو سمع بعد التمكين بشروطه المعروفة ، ويعلم من هذا انه قد نزل من المقام إلى ما هو اسفل منه وادنى ، لحَظِّ نفسي ، والله يلبسنا وإياكم رداء العافية ويحطنا وإياكم المراتب السامية العالية ، ولا يجعلنا وإياكم ممن له إلى سماع الغناء أذن واعية ، فيكون من أهل القلوب اللاهية .

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إني نذرت ان اضرب بين يديك بالدف ، فقال لها : إن كنت نذرت وإلا فلا ، هذا الحديث يدل على ان السماع وإن كان مباحا فالتنزيه عند الأكابر أولى .

ف ح ٢/٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٥٣٥ ـ ح ٣/٥٦٢ ـ ح ٤/٢٧٠

أو مريداً متمكناً ، أو متلوناً بحال من هذه الأحوال ، فإنه من المحال أن يتصف بها عبد من غير باعث ، ولا داع إليه إلا في وقت ما هو مقام ومفزع نص عليه الشيوخ ؛ وهو أن تجد قبضاً أو بسطاً ، وتجهل سببه فالمحققون يخافون من ذلك أن يمكر الله بهم فيه[1] ، فمتى اتصف الإنسان بشيء من هذه الأحوال ، فلينظر مَن داعيه إلى ذلك ؟ ومَن سلطانه ؟ فإن كانت آيــة من كتاب الله ، فإن حاله انبنى على أصــل صحيح ، وبيان ذلك أن النفس ليست بمحل للقرآن الكريم ، فإنه يثقل عليها بطبعها وحقيقتها ، وهنـــا تفصيل فإن القرآن يعـــم الحقائق كلها ، والنفس من جملتها ، فلابد أن يكون لها فيه نصيب، وما بقي إلا تعيين ذلك النصيب من غيره ، وكنا نذكره لولا المدعي يأخذه فتركناه لهذا السبب ، والشيطان أبعد من أن يكون له حال فيك ؛ فإن الشيطان ليس له منك من يأخذ منه إلا نفسك ، وهي قد أبت عن حمل القرآن لضعفها عنــه ، فمن المحال أن ينبعث عن القرآن حال من الأحوال من الشيطان ، أو النفس البتة ، وتعرف عند ذلك أن الحال في العقل والعقل في الروح لا في النفس ، وأن الروح صاحب الملك ، وأن الملك صاحب العــلم والفراسة والإلهام واليمنى والآخرة والذكر والحق واليقين ، فلابد أن تكون في حالك الذي قام بك من القرآن صاحب علم أو شيء مما ذكرناه لك ، فلهذا أشار الجنيد رضي الله عنه بقوله : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، ولهذا قال الله تعالى : « إن في ذلك لآيات لأولي الألباب ،

---

(١) القبض المجهول

العارف يجد قبضا أو بسطا في حال من الأحوال لا يعرف سببه ، وهو أمر خطير عند اهل الطريق ، فيعلم ان ذلك لغفلة منه عن مراقبة قلبه في وارداته ، وقلــة نفوذ بصيرته في مناسبة حاله مع الأمر الذي أورثه تلك الصفة ، فيتعين عليه التسليم لموارد القضاء حتى يرى ما ينتج له ذلك في المستقبل ، فإذا عرفه وجب عليه التوبة بالحضور التام في علم المناسبات ، حتى لا يجهل ما يرد عليه من الحق من الواردات ، وما الاسم الذي جاء بذلك ، وما الاسم الذي جيء به من عنده ، وما الاسم الإلهي الذي هو في الحال حاكم عليه ، وهو الذي استــدعى ذلك الوارد ، فهذه ثلاثة الاسم المستدعي والاسم المستدعى منه والاسم الوارد به . ف ح ١/٤٦٣

ولأولي النهى ، ولقوم يعقلون » ، كما أنّه إذا انبنى الحال من الشعر والسماع ، والصفق والألحان ، إنما يتلقاه من الهوى ، والهوى من النفس ، والنفس صاحبة الشيطان الذي الشعر نفثه ، على ما أخبرنا به رسول الله ﷺ ، إلا ما تعلق منه بتوحيد الله عز وجل ، فهو محمود من محامد النفس خاصة ، ما زال انبعاثه من أصله ، وإن الشيطان للنفس بمنزلة الملك للروح ، فكما كان الملك أميناً على الأوصاف التي ذكرنا بعضها ، كذلك الشيطان في مقابلته ، فصاحب الجهل في مقابلة صاحب العلم ، والظن في مقابلة الفراسة ، والوسوسة في مقابلة الإلهام ، والشمال في مقابلة اليمين ، والدنيا في مقابلة الآخرة ، والغفلة في مقابلة الذكر ، والباطل في مقابلة الحق ، والشك في مقابلة اليقين ، والمعصية في مقابلة الطاعة ، والتشبيه في مقابلة التنزيه ، والشرك على مراتبه في مقابلة التوحيد ، وغير ذلك مما تضيق هذه العجالة عنه ، فإنه باب واسع ، هذا أنموذجه ، وكل حال ينبعث عن القرآن لا يزول سامعه عن المعنى الذي نزل له القرآن ، لا لخيال قام به عند تلاوة القرآن في معشوقة ، أو المرأة التي اتخذها أختاً في الله على دعواه ، ولكل هذا شروط ، وكل حال ينبعث عن الشعر والسماع ، فلابد أن ينزل بصاحبه إلى أحد هذه الدركات ، وسر ذلك أن أصل انبعاث القرآن كلام الله المقدس ، الذي ما اعتراه قط نقص ولا تدنيس ، ولا جاز عليه ذلك ، فمن المحال أن يعطي إلا بحسب طهارته ، وأصل انبعاث الشعر كلام المخلوق الناقص الدنس ، الذي ما صح له كمال طهارة لامتزاجه ، فالغاية في الشعر أن يكون ممتزجاً ، لا تكمل طهارته أبداً ، فمن ثم إلى الآن لم يزل في النقص والتدنيس ، فمن المحال أن يعطي أبداً إلا حالاً ناقصاً دنساً ، هذا حالة العارفين المكملين ، فيهم ومعهم أتكلم ، وكثير من السادة الكبار يعرفون هذا من نفوسهم وأما من نزل عنهم من المدعين والمريدين فلا كلام لنا معهم ، ولهذا قال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه في سماع العارفين مطلقاً يحكم على مقام أهل السماع أنهم أهل الكدية[1] ، واستعاذ بالله منه ، كما استعاذ من طي الأرض ، والمشي على الماء ،

(١) الكدية : بالضم شدة الدهر .

وفي الهواء ؛ وسأل أن يهيئه الله لشيء من أشيائه ؛ أي سر من أسراره ؛ فلو تبدلت هذه الأسرار في السماع ، لما استعاذ منه مثل أبي يزيد ؛ وقال في حق المريد : إذا رأيت المريد يميل إلى السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة ؛ فجعل محله للمريدين البطالة وللرجال الكدية ، وإنما سقت كلام أبي يزيد رضي الله عنه لما وصلني عن بعض الناس من المقلدين في بعض الطريقة أنه قال لما سمع مني الإنكار في السماع وقد أوضحت له حقيقته حتى اعترف بهـا فقال : تقليد بتقليد ؛ والأولى أن أقلد الشيوخ المتقدمين الذين قالوا بالسماع ، ولهذا سقنا كلام أبي يزيد لكونه مـن المتقدمين ، وأن كلامنا موافق له ، ولقد بلغني من ثقـة عن رجل من المتمشيخين ـ لا من الشيوخ ـ كان يلازم مجلسنا ؛ فسمعنا نتكلم في السماع وإجازته ؛ وأنه مباح ، وبيّنا نقصه في المقامات ، وأين ينتهي بصاحبه ؛ فغضب وانقطع ، فسألت عنه وما شأنه ، فقيل : إنه قال قد كان الشيوخ يسمعون مثل ابن الدقاق وغيره ؛ فلم أدر قَبْلُ مم أتعجب من جهله في حكمه على الحق بالرجال . والرجال لا يعرفون إلا بالحق ، لا الحق يعرف بهم ، فهذا جهل محض ؛ وتقليد صرف ؛ ومن هذه حالته في العلم ، كيف يرجى فلاحه في نفسه ! أو كيف يتصور أن يفلح به غيره ! أو أتعجب أيضاً من عدم تحصيله لما أوردناه في السماع ، فإنا لم نحرمه بل أبحنا الشعر والغناء . على القدر الذي جاءت به الشريعة ، ثم تكلمنا في نقصه من المقامات . وأين منزلته والفرق بينه وبين غيره ، كما نفرق بين التوكل والزهد ؛ أي الذي ينبني على معرفة التوكل ما هو ؟ والزهد ومقامه ، فإن المتصف بصفة ما ؛ يكون بحيث مقامها ؛ ويتميز في أهلها ، وقد سمعت من أبي محمد عبد العزيز ـ المكتوب له هذه الرسالة رضي الله عنه ـ إشارة عجيبة ، لا يعرفها إلا متمكن متحقق جداً في قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو مـن وراء حجاب أو يرسل رسولاً » فقال رضي الله عنه : سر هذه الآية في قوله لبشر ، ولا يكون بشراً إلا من غلبت عليه البشرية . وفي الآية عندي تفصيل عجيب(1) ، وفي نساء يوسف عليه السلام ما يؤكد إشارته

---

(1) الحجاب على الذات الإلهية لا يرفع أبداً

أصاب الشيخ عبد العزيز في قوله وأخطأ ؛ فأما إصابته فإثباته وتقريره للكلام من وراء حجاب وأنه لم يجمع بينه وبين المشاهدة ؛ وأما خطؤه فقوله «ارتفع الحجاب»

« ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم » ، وعندنا من الدلائل عليه ما لا يحصى ، فهذا من بعض وجوه القرآن التي نبه عليها أبو الدرداء رضي الله عنه .

ومنها أن يردك إلى الحق ، ويصرفك عن الخلق في معاشك وما ضمن لك وغير ذلك مما تحذر وترجو ، فإن القرآن يحرضك على هذا ، وكذا فعل أبو الدرداء بآية قرأها ، قال : فأردت أن أجمع بين العبادة والتجارة فلم يجتمعا ، فأخذت في العبادة وتركت التجارة ، يؤيده قول الله تعالى لموسى عليه السلام : « اطلب مني كل شيء حتى الملح تلقيه في عجينك » وهذا المقام هو الذي أخذه سالم عن النبي ﷺ وقد تقدم ذكره ، وهذا بعض ما في كلامه .

قالت النفس : قلت الحق ، وفي هذا غنية لي إن كنت عاقلة ، فالويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات ، وقد بقي (أي من كلام أبي الدرداء) لي الكلمتان ، مقت الناس في جنب الله تعالى ، ومقته لنفسه ، ومقت الناس مشكل ، فقلت لها : يا نفس ليس الأمر كما ظننت أرعيني سمعك ، أما قوله : « ولا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب الله » فاعلمي أن للإنسان حالتين ، لا يخلو ، إما أن يغلب عليه ربه ،

ولم يقيد وإنما يقال « ارتفع حجاب بشريته » ولا شك ان خلف حجاب بشريته حجبا اخر ، فقد يرتفع حجاب البشرية ويقع الكلام من الله لهذا العبد خلف حجاب آخر ، اعلاها من الحجب واقربها إلى الله وأبعدها من المخلوق المظاهر الإلهية التي يقع فيها التجلي إذا كانت محدودة معتادة المشاهدة ، كظهور الملك في صورة رجل فيكلمه على الاعتدال للعادة والحد ، وقد تجلى له وقد سد الأفق فغشي عليه لعدم المعتاد وإن وجد الحد ، فكيف بمن لم ير حداً ولا اعتاد ، فقد تكون المظاهر غير محدودة ولا معتادة ، وقد تكون محدودة لا معتادة ، وقد تكون محدودة معتادة .

واعلم أن من الستور وإرخائها ما هو معلول بالبشرية ، وهو قوله « ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب » وهو الستر « أو يرسل رسولا » وهو ستر ايضا ، وليس الستر هنا سوى عين الصورة التي يتجلى فيها للعبد عند إسماعه كلام الحق ، في أي صورة تجلى ، فإن الله يقول لنبيه ﷺ « فأجره حتى يسمع كلام الله » والمتكلم رسول الله ﷺ ، وأن الله قال على لسان عبده « سمع الله لمن حمده » وقوله تعالى « كنت سمعه وبصره » الحديث ـ فهذه كلها صور حجابية أعطتها البشرية ، وما

أو نفسه ، فإن غلب عليـــه ربه لم يعرف الناس ، ولا ما هم عليه ، وأداه ذلك إلى تركهم في جنب ما حصل في نفسه من الأنس بالله تعالى ، ويمقت هنا بمعنى يترك ؛ فإن من مقت شيئاً تركه ، فكنى بالأصل هنا عن الفرع ، وأما من غلبت عليه نفسه ؛ فالمقت هنا على بابه ، وصورته ، ومقته للناس أن الغالب على الناس المخالفة والبطالة ؛ فلا يزال يمقت منهم تلك الأفعال وينبههم عليها ويقرع أسماعهم بهـــا ، وينصحهم في دين الله وجنبه ، فيثقل ذلك عليهم، ويستخفونه ، ويبردونه، ويتجنبونه ، ويسدون الأبواب في وجهه ، حتى يتركوه فرداً وحيداً ، لا صديق له ولا معاشراً ، كما قال عليه السلام : ما ترك الحق لعمر من صديق ، فإذا رجع الناس أعداء له لا يكلمونه رجع بالضرورة إلى نفسه ، فمقتها بأنواع من التوبيخ من قلة الصدق في العمل . وعدم الإخلاص ، ودخول العلل في المخاطبات والخواطر والنصيحة والإشارات ،

ثم إلا بشر ، وروح هذه المسألة « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » فنفى الوسائط عن خلق آدم . ومن هنا إلى ما دون ذلك حكم اسم البشر ، فحيث ارتفعت الوسائط ظهر حكم البشرية لمن عقل ، فانظر في بشريتك تجدها عين سترك الذي كلمك من ورائه. فقد يكلمك منك فأنت حجاب نفسك عنك وستره عليك ، ومن المحال أن تزول عن كونك بشراً ، فإنك بشر لذاتك ، ولو غبت عنك أو فنيت بحال يطرأ عليك فبشريتك قائمـــة العين ، فالستر مسدل ، ولهذا ما جمع الله لأحد بين مشاهدته وبين كلامه في حـــال مشاهدته ، فإنه لا سبيل إلى ذلك ، فالمشاهدة والمناجاة لا يجتمعان ، فإن المشاهدة للبهت والكلام للفهم ، إلا أن يكون التجلي الإلهي في صورة مثالية فحينئذ يجمع بين المشاهدة والكلام ، ولذلك قال تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو مـــن وراء حجاب » وما زال البشر عـــن حكم بشريته ، كمسألة موسى ، والحجاب عـــين الصورة التي يناديه منهـــا ، وما يزول البشر عن بشريته وإن فني عـــن شهودها ؛ فعين وجودها لا يزول والحـــد يصحبها ، لأني سمعت بعض الشيوخ (يعني الشيخ عبد العزيز) يقول : هذا حظ البشر ، فإذا زال عن بشريته كان حكمه حكما آخر ؛ فأبنت له رضي الله عنه أن الأمر ليس كما يظنه ، فلما تحقق ما ذكرناه رجع عن ذلك وقال : ما كنت أظن أن الأمر على ما قلته ، لم أجعل بالي من هذا ، فإنه تكلم في شرح الآية فغلط ، فإنه ما تكلم في ذلك عن ذوق الأمر .

ف ح ٢٥٨/١ — ح ٢/٥٥٤ ، ٦٠١ — ح ٢١٣/٣ — ح ٢١٣/٤

فصار مقته لنفسه أشد من مقته للناس ، ولا يقدر ينفصل عن نفسه ، ولا تنفصل عنه مثل الناس ، فيفتح له في ذلك من الفقه الإلهي ، والعلم اللدني ، ما لا يعرفه إلا من شاهده ، وحسبك يا نفس ، فقد أطلت علي سؤالك ، فاقنعي بهذا القدر ، فإن هذه المسألة أعظم وأقوى من أن أبسط شرحها في المجلدات ، فقالت قنعت وبالله استعنت ، فهات غيره ، فقد عرفت وتحققت أني لا شيء ، ولا أصلح لشيء ، وأني في وجودي وفي عيني كما كنت قبل وجودي « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً » ، « وهل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » ، وفي الحقيقة لم يزل كذلك ولا يزال .

قلت لها : نعم هذا **عثمان بن مظعون** ، صاحب رسول الله ﷺ ، الذي أوذي في الله فرضي ، وتعرض لذلك ، لما مات دخل عليه الرسول ﷺ حين مات ، فأكب عليه ، ثم رفع رأسه ، ثم حنى الثانية ، ثم رفع رأسه ، ثم حنى الثالثة ، ثم رفع رأسه وله شهيق ، فعرفوا أنه يبكي ، فبكى القوم ، فقال ﷺ : اذهب عنها أبا السائب فقد خرجتَ منها ولم تدنس منها بشيء ، روينا هذا من حديث أبي حامد بن جبلة بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، وروينا أيضاً من حديث أبي بكر بن مالك بسنده عن عبد ربه بن سعيد المدايني أن رسول الله ﷺ دخل على عثمان بن مظعون ــ وهو في الموت ــ فأكب عليه يقبله ، فقال : رحمك الله يا عثمان ما أصبت من الدنيا ، ولا أصابت منك ، ناشدتك الله يا نفس ــ فنعمت النفس ــ عهدتك في الإنصاف من نفسك ، خبريني لو كنت في زمان النبي ﷺ على هذه الحالة التي أنت عليها اليوم وتموتين ، هل كان رسول الله ﷺ يفعل بك مثل هذا ؟ قالت : أما لو جازاني على ما أنا فيه وعليه ، لخفت أن يقول لأصحابه : صلوا على صاحبكم ، بل أعتقد والله في شأني أني أقرب إلى قوله تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » ، مني إلى قوله تعالى : « وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » هيهات كيف أرجو أن يكب علي ! أو يقبلني ! بل كان يبكي عليَّ شفقة ، لما يراه من سوء حالي ، وشر ما انقلبت إليه ، فياليته يؤذن له ﷺ في الصلاة علي ؛ غير أن قوله ﷺ

في معرض الثناء عليه ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك ، أنه ما سعى لها ، ولا أصابت من قلبه تشوقاً إليها ، ولكنه أتته من غير سعي إليها فقبلها ، وتصرف فيها ، فلبس منها الرقاق ، وأكل منها الرقاق ، وعلا مسكنه ، مع فراغ القلب من ذلك وهذا في القدرة جائز مع القدرة عليـه ، ولقد رأيت في زماني هذا قوماً من أهل التمكين والتحقيق والمعارف ، قد فعلوا مثل ذلك ، أكلوا الشهي من الطعام الغالي ثمنـه ، وشربوا اللذيذ من الشراب ، ولبسوا الرفيع مـن الثياب ، وربما شيدوا البنـاء وأحكموه ، ورفعوا سقوف بيوتهم إلى حيث لا يحتاجونه ، وذلك عن أمرهم بذلك ، وعن استحسانهم لذلك ، وسكوتهم عليه ، ولم يعدلوا بعد المعرفة والتحصيل لمقام التمكين ، إلى ما كانوا عليه في بدايتهم ، من ترك الأسباب ، وطرح الرقاع بعضها على بعض ، فأخاف أن لا يكون هذا كذلك ، وقد قيل عنه : ما أصابت الدنيا منك شيئاً ، ولا أصبت منها شيئاً ، من باب السعي والكد ، فأوضح لي شأنه ، وكيف كان حاله ، وهذه الحالة التي رجع إليها العارفون هل هي خير مما كانوا عليه ؟ أو كانوا في حال فقرهم وتقشفهم أحسن وأثبت ؟ فقلت لها : نعم ، أما حال عثمان بن مظعون ، فروينا هذا عنه رضي الله عنه ، وأما حالة العارفين الذين ذكرتهم من بسط الدنيا ، فروينا من حديث عبد الله بن أحمد بن إسحق قال : ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسين قال : أخبرنا الربيع الرشدني قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب ، أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه دخل يوماً المسجد وعليه نمرة قد تخللت ، فرقعها بقطعة من فروة ، فرق له رسول الله ﷺ ، ورق أصحابه لرقته ، فقال : مه كيف أنتم يوم يغدو أحدكم في حلة ! ويروح في أخرى ! وتوضع بين يديه قصعة وترفع أخرى ! وسترتم البيوت كما تستر الكعبة ! قالوا : وددنا أن ذلك قد كان يا رسول الله فأصبنا الرخاء والعيش ، قال : فإن ذلك كائن وأنتم اليوم خير من أولئك ، وهذا الحديث يا نفس ، قد أنبأ عن الفريقين اللذين سألتني عنهما ، هذا حال عثمان على ظاهره ، فقير من الدنيا ، وهذا حال من توسع في الدنيا من العارفين . قد جعل الله حالة الضيق والشدة خيراً للإنسان من الرخاء والسعـة ، وكأني والله يا نفس بك تقولين : أرى أهل هذا المجلس وهم الصحابة الأخيار ، وهم العارفون

بالله المحققون حقائق الوجود ، لما ذكَّرهم النبي ﷺ صورة الترفه والتنعم ، اهتزوا وسألوا متى ذلك ، وفرحوا بهـذا القدر ، فكذلك أنا أيضاً أرضى بهذه المنزلة ، وكذلك العارفون الذين وسعوا على أنفسهم دنياهم ؛ فقلت لها : ما أعمالك عن نور مشكاة النبوة الساطعة أنوارها ! فقالت : لا تنظر إلى كلامها ظاهراً هذا لتعلم أن النعيم لا يحجب عن الله ، ولا الشقاء والبؤس يحجب عن الله ، إذا كان الحق غالباً على قلب العبد فإنه لا نعيم أشد ولا أعظم من نعيم النبيين والأولياء في الجنة ، في ملابسهم ، ومأكلهم ، ومشاربهم ، ومناكحهم ، ومراكبهم ، ومفاكهتهم ، ولا يحجبهم ذلك عن الله البتة لسرين كبيرين ، قلت لها : فأنا مسلم أن ذلك لا يحجب عن الله ، ولكن قال الرسول ﷺ لتلك الجماعة الذين قالوا : وددنا أن ذلك قد كان ، فأصبنا الرخاء ، لتحققهم بالله تعالى ، وعلمهم أن الأحوال لا تحجب عن الله تعالى ، فإن ذلك كائن ــ يعني بسط الدنيا عليهم مبشراً بفتح ملك كسرى وقيصر ــ ثم قال لهم : أنتم اليوم خير من أولئك ، فأشار بقوله وأنتم لعصمتهم من الدنيا ، وإن فتحت في حياتهم ، كأبي عبيدة بن الجراح وغيره ــ رضي الله عنهم ــ وفي ذلك ترجيح الفقر ، وشظف العيش ، على النعيم ، فبيَّن لهم هذا المقام ، ونبههم على نقص ذلك المقام ، ونقص من اتصف به ــ وإن أبقيت عليه مشاهدته ومعرفته ــ فإنه نعيم استعجله في غير موطنه ، وترفه استعمله في غير موضعه ، فوضع الحكمة في موضعها ، فعادت معرفته جهلاً ، وكشفه حجاباً ، وحقيقته خيالاً ، ألم تر إلى الذي قال : لو كشف الحجاب ، ما ازددت يقيناً ، لعظيم الكشف ، وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف اجتنب الطعام ، وفهم من كلام الله تعالى : « أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » أنه ينسحب على كل إنسان من مؤمن وكافر ، أتري يا نفس هذا العارف الذي وسع عليه في الدنيا يكون أفقه في القرآن من عمر بن الخطاب ــ الذي وافق رأيه ربه في الأحكام ، وقد شهد لـه الرسول عليه الصلاة والسلام أنه ليس من الباطل في شيء ــ أجيبيني يا نفس ، فإنك لا تعدين قدرك ، لا أنت ولا العارف الذي وسع عليه ، إذ لابد من التأسي ؛ فحالة

النبي ﷺ أولى ، فهو الذي عاش في البؤس وضنك العيش حتى رق له عمر رضي الله عنه لما أثر شريط السرير في جنبه ﷺ ، فقال : تذكرت كسرى وقيصر ، فقال له ﷺ : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ، أين أنت يا نفس من قول سلمان الفارسي رضي الله عنه على ما رويناه من حديث أبي أحمد محمد بن أحمد الغطريفي ومحمد بن عاصم ، قالا : حدثنا أبو القاسم البغوي قال : ثنا علي بن الجعد قال : ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال : سمعت أبا البختري يحدث عن رجل من بني عبس قال : صحبت سلمان الفارسي رضي الله عنه فذكر ما فتح الله تعالى على المسلمين من كنوز كسرى ، فقال : إن الذي أعطاكموه وفتحه عليكم وخولكم لممسك خزائنه ومحمد ﷺ حي ، ولقد كان يصبح وما عنده دينار ولا مد من الطعام ، بم ذاك يا أخا بني عبس ، فانظري يا نفس كلام هذا الصاحب وشرحه لحالة النبي ﷺ وتعريفه وتقريره في قوله بم ذاك ، ثم أنه لو كانت الدنيا تنال على حسب المراتب عند الله من الرفعة لكانت كلها لرسول الله ﷺ ، فلا أرفع منه منزلة عند الله ولا أرفع منه درجة ولا نعيما في الجنة ، وهذه حالته في دنياه ولم يرض لقرة عينه ابنته فاطمة رضي الله عنها أن تنال فيها راحة ولا توسعا ، هذا وقد رأى أثر حبل القربة في عنقها من حمل الماء وأثر الرحى من الطحين في يديها ، وجاءه السبي فلم ير أن يعطيها خادما يحول بينها وبين ذاك الشقاء الذي نزل بها ، وأعطاها بدل ذلك تسبيحا وتحميدا وتكبيرا وقال : هو خير لكم ، فأين أنت يا نفس وهذا العارف ؟ فلا الحق رضيها لنبيه ، ولا النبي ﷺ رضيها لابنته ووصيه ، وإذا لم تقتد بهذا النبي ﷺ ولا عرفت تنزيل الحق للمواطن ، فقد خرجت عن حد المعرفة بالله تعالى وحب حالة رسول الله ﷺ وأتباعه ، ولا فائدة ولا تمييز للعارف عن غيره من العوام إلا باستصحابه في حالته حالة النبي ﷺ ، وأما العامة فانهمكت في المباحات ، فبم تميزت عنهم في ظاهرك كما تدعيه في باطنك ، ألست تدري يا نفس ليلة كنا عند أبي محمد عبد العزيز المكتوب له هذه الرسالة ونحن على العشاء فتكلمنا في حالة الدنيا إذا أقبلت على العارف وتصرف فيها مع تعري قلبه عن التعلق بها فقال رضي الله عنه :

والله ما يستوي فراغ قلب عارف عنده درهمان وفراغ قلب عارف عنده درهم ، فصاحب الدرهم أفرغ من صاحب الدرهمين ، هذا حكم الشيخ أبي محمد عبدالعزيز في هذا الحال ، فكيف لو دخل معك في باب المقام والأسرار ، لكان يرميهم خارجا عن المعرفة فإن الحقائق ترميه والموطن يمجه •

نكتة غريبة : جاء رجل إلى سيدنا أبي مدين رضي الله عنه فقال : يا سيدنا إن الشيطان يؤذيني فعسى أن تدفعه عني ، فقال له الشيخ : قد شكى إلي ابليس منك قبلك ، فقال : وما قال لك ، قال : قال لي يا شيخ تعلم ، إن الدنيا خلقها لي ربي وجعلها حبالي وشركي وملكنيها ، فجاء فلان فتعدى علي وأخذ لي منها فعدوت وراءه أطلب حقي منه ، ووالله ما قصدت منهم إنساناً ولا طلبت منهم أحداً ولا برحت من مكاني ، أحفظ علي بستاني ومالي ، فمن أخذ لي منه شيئاً تبعته أطلب حقي ، قد عرفت أن فلاناً يشكوني إليك فسبقته وقد أخبرتك بالقصة ، وأنا لا أترك منه حقي ، وأسلبه مما أقدر عليه من دينه أو يرد إليّ متاعي كما فعل الزهاد والموفقون ، ولهذا قال الله تعالى « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » فما لي عليهم حجة ولا حق ، فإنهم تركوا مالي وهذا تعدى عليّ « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » من الظالم ؟ فقال الرجل : أنا ، فقال له الشيخ : رد إليه دنياه يرد إليك آخرتك •

هل قنعت يا نفس؟ قالت : نعم، قلت : هذه عشرة شهود كما شرطت لك قد وفيت بذكرهم من خير القرون من صحابة رسول الله ﷺ ولم أجد لك قدما مع أحدهم فلمن اتبعتِ أو بمن تأسيتِ ؟ فقالت : اتبعت هواي فتأسيت بشيطان مدع في المعرفة مكب على الدنيا مثلي ، فأثمر لي الدعوى وعراني من ملابس التقوى ، فقالت : وأنا أتوب إلى الله الآن وأتضرع اليه في الوفاء والعدل والميزان ، وكما وفيت أنت بشهودك العشرة ومننت عليّ بذلك فقد وفيت لك بالإنصاف والإقرار بالحق والاعتراف ولم أمارِ ولا دافعت الحق بل كنت سلسة القياد ، وذلك بتوفيق الله تعالى ، وعصمني الله ممن قال فيهم « فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » ولو عاندت وجحدت لما جنيت على أحد إلا على

نفسي ، رزقني الله وإياك من توحيده والعلم به سبحانه وتعالى المراتب العلية والمنازل القدسية ، حيث لا تدنيس ولا جهل ولا تلبيس إنه عليم حكيم ، فأسْرِعْ في النمط الثاني فلقد لقيت سامعا مطيعا فقلت : « الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنـا له مقرنين » فقالت : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق » حمدي يا سيدي أسلم من حمدك ، فإنك في معرض الفتنة من جهة التسخير ، وحمدي على تحصيل الهداية والتيسير ، فقلت لها : صدقت ارعوي بسمعك ، هذا خير التابعين بشهادة سيـد المرسلين ﷺ ، أعني **اويس بن عامر القرني** رضي الله عنه الذي أوصى به النبي ﷺ عمر وغيره وذكره لهم .

روينا من حديث أبي بكر محمد بن أحمد قال : ثنا الحسن بن محمد قال : ثنا عبيد الله بن عبد الكريم قال : ثنا سعيد بن أسيد بن موسى قال : ثنا حمزة بن ربيعة عن أصبغ بن زيد قال : كان أويس القرني إذا أمسى يقول هذه ليلة الركوع ، فيركع حتى يصبح ، وكان يقول إذا أمسى هذه ليلة السجود ، فيسجد حتى يصبح ، وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الطعام والثياب ، ثم يقول : اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به ، ناشدتك الله يا نفس هل اتصفت بهذه الحالة ، قطعت الليل بسجدة واحدة ثم لم ترفعي حتى الفجر ، أو ركعت فلم ترفعي حتى الفجر،واستصحبت أن لا تبيتي إلا مثل هذا المبيت كما استصحبه أويس، وقلت لله مثل ما قاله ؟ قالت : لا والله ، كل ذلك لم يكن ، ولكن يلوح لي من وراء هذا الكلام بوارق من الحقائق عسى أن تنبهني عليها ، قلت لها : نعم أويس هذا كان متمكنا في مقامه ، على بينة من ربه وعلامة ، عارفا بحركاته المستأنفة ، على يقين من تحصيل أحواله السالفة ، وكانت ليلة السجود عنده معروفة ، وليلة الركوع عنده كذلك ، وغير ذلك من الأفعال ، ومن هنا يعرف تمكنه ، فإن أبا يزيد وهو من الأقطاب ومن كبار الأئمة لم يحصل له هذا التمييز ، فإنه كان يقول : إني استقبل الليلة أطلب قطعها راكعاً وساجداً فأقف في صلاتي فلا أركع ، وأركع فلا أسجد ، وأسجد فلا أرفع ، فكم بين من يأتي قصداً وبين من يمشي فيفتح له ، فهذه حالة صلاة أويس .

وأما كونه يتصدق بطعامه وشرابه وثيابه ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ؛ ينبه على مقامه الأعلى ، وقطبيته المثلى ، وهذه حالة إمام ، وصاحبها على الغاية في المقام ، فيعطي ما ملك ، ويتضرع لمن استخلفه على عبيده بالرحمة لهم والشفقة عليهم .

قال الله تعالى لرسوله ﷺ « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وقال له لما دعا على رِعْلٍ وذَكوانَ وعُصَيَّةٍ ولعنهم « إن الله لم يبعثك سباباً ولا لعاناً وإنما بعثك رحمة للعالمين ولم يبعثك عذاباً » والمكمل من سبقت رحمته غضبه ، قالت النفس : يا سيدي ارفق عليَّ ولا تعجل ، فقد ظهر لي في مسألة أويس هذا أمر خرج الحلاج فيه فوقه ، وذلك أن الحلاج رضي الله عنه قال يخبر عن حالته : إذا قعد الرجل عشرين يوماً دون غذاء ، ثم جاءه طعام فعرف أن في البلد من هو أحوج منه لذلك الطعام فأكله ولم يؤثر به ذلك المحتاج فقد سقط ، وهذا مقام عال كما رأيته ، وهذا أويس رضي الله عنه ما كان يتصدق إلا بفضل طعامه وثيابه ، فيأخذ حاجته أولا ، ثم يعطي ما يفضل كل ليلة عن قوته وهو يعلم أن ثم جائعا ولم يعطه ، وهذا كما رأيته ، قلت : يا نفس ما أتت إلا اعترضت اعتراض من لا يفري الحقائق ، ولكنك جهلت المقام ، فاسمعي الجواب واعلمي أن أويسا هو الإمام الذي لا يلحق .

لتعلمي أيتها النفس أن العارف إذا كان صاحب حال مثل الحلاج فرق بين نفسه وبين غيره ، فعامل نفسه بالشدة والقهر والعذاب ، وعامل نفس غيره بالإيثار والرحمة والشفقة ، وإذا كان العارف صاحب مقام وتمكين وقوة ، صارت نفسه عنه أجنبية لا فرق عنده بينها وبين نفوس العالم ، فما يلزمه في حق نفوس الغير من الرحمة والشفقة يلزمه في حق نفسه ، لكونها صارت عنه أجنبية ، وارتفع هو علوياً ، وبقيت هي مع أبناء جنسها سفلية ، فلزمه العطف عليها كما لزمه العطف على غيرها ، فإن صاحب الصدقة العارف إذا خرج بصدقته ولقي أول مسكين يدفع إليه الصدقة ، فإن تركه ومضى إلى مسكين آخر ولم يدفع فقد انتقل من رضى ربه إلى هوى نفسه ،

وخرج من ديوانهم ، فإنها مثل الرسالة ، لا يخص بها شخصا دون شخص ، أول من يلقاه يقول له : قل لا إله إلا الله ، ولا شك أن هذا العارف إذا وهبه الباري رزقا يعرف أنه مرسول به إلى عالم النفوس الحيوانية ، فينزل من حضرة عقله إلى أرض النفوس ليؤدي إليهم ذلك القدر الذي وجّه به، فأول نفس تلقاه نفسه لا نفس غيره، وسبب ذلك أن نفوس الغير غير ملازمة له ولا متعلقة به ، لأنها لا تعرفه ، ونفسه متعلقة به ملازمة لبابه ، فلا يفتحه إلا عليها ، فتطلب أمانتها منه فيقدمها على غيرها ، لأنها أول سائل ، وإلى هذا السر أشار الشارع ﷺ بقوله « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » « والأقربون أولى بالمعروف » لتعلقهم بك ولزومهم بابك ، والغير لا يتعلق بك ولا يلازمك ملازمة نفسك وأهلك ، فلما تأخروا أخروا ، كما هي الأسرار سواء، تخرج من عند الحق على باب الرحمة ، فأي قلب وجد متعرضا سائلا عند الباب دفع إليه حظه من الأسرار والحكم ، وحظه منها على قدر ما يُرى فيه من التعطش والجوع والذلة والافتقار وهم خاصة الله ، وإلى هذا المقام أشار المشايخ ، وعليه حرضت الشريعة بقولها « تعرضوا لنفحات الله » ومن تأخر أُخِّر ومن نَسي نُسِيَ ؛ فانظري كم بين المنزلتين ، منزلة الحلاج ومنزلة أويس ، وانظري هذا المقام على علوه وسموه كيف اشترك في الظاهر صاحبه مع أحوال العامة ، فإن العامة أول ما تجود على نفسها ويتعدى جودها إلى غيرها ، وإنما يتصرفون تحت حكم هذه الحقيقة وهم لا يشعرون ، ولما أعموا عن هذا السر وصاروا مثل البهائم ، لا يعرفون مواقع أسرار العالم مع الله تعالى ، حرصوا على الإيثار ومدحوا به ، وهو مقام الحلاج الذي ذكرت عنه ورأيت أنه غاية ، فهكذا فلتغزل الحقائق وتحاك حلل الرقائق [1] ؛ فقالت النفس : هذا شيء والله ما قرع قط سمعي من غيرك ، وإن هذا لهو الحق المبين ؛

---

(١) الإيثار

برهان العدل إعطاء الفضل ، وهو الاتم عند اصحاب الهمم ؛ ما اعطى الله إلا الفضل الذي قال فيه « وابتغوا من فضل الله » ولهذه الآثار استحال عليه الإيثار ، فعطاء الله كله فضل ؛ وهو اعلى البذل ؛ من آثر على نفسه فهو الخاسر وإن نجا ، فإنه

ولمثل هذا فليعمل العاملون ، وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون ، ولقد شرحت صدراً ، ورفعت في المعارف قدراً ، ولكن بقيت عليك في المسألة تمشية إيضاح حقيقة، وهي لعمري دقيقة، وهي قولك: إن الله بعث النبيﷺ وقد استسقي فاستسقى فسقي ، ثم استسقي في المقام الآخر فأبى وقال « أغيث كغيث الكفار ؟ » فاختار لهم الشدة على الرخاء ، وهو من باب بسط العذاب وقبض الآلاء ، قلت : صدقت يا نفس ، قد أثبت ذلك في المحجة البيضاء ، قالت : فأودعني إياه في هذه العجالة الغراء ، قلت لها : نعم .

خرج مالك في موطأه عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هلكت المواشي وتقطعت السبل فادع الله لنا ، فدعا رسول الله ﷺ فمطرنا إلى الجمعة ، قال : فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله تهدمت البيوت وانقطعت السبل وهلكت المواشي، فقال رسول الله ﷺ: اللهم على ظهور الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر، قال : فانجابت عن المدينة انجياب الثوب ، يا أهل القلوب المحجوبة عن الاطلاع على ما أودع في هذه الألفاظ من الغيوب .

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

أعطي هذا سيد العالم ﷺ مفتاح المنع والعطاء ، والشدة والرخاء ، فاستسقى واستصحى ، وأثبت ومحا ، ثم لازم الأدب بعد هذا فقال « أغيث كغيث الكفار ؟ » فرد السائل بسؤاله ، حكمة أجراها مرسلة ، ومرتبة أبداها مكمله ، فأجاب الأول على غاية الاستسقاء ، حتى يكون في المنع كما كان في العطاء ، ثم إذا نظرت حقيقة هذا المنع وجدته عطاء ، إن لله في قلوب ماتت في صدورها وخزا ، فلا أحس منها من

ترك الأولى عندما وقع إليه الالتجاء ، لو كان مؤمناً لعلم انه قد باع نفسه من الله ، والمبيوع لمن اشتراه ، وحق الله احق من حق الخلق ، لكن الدعوى اوقعته في هذه البلوى ، فسمي موثراً ، وميز مؤثراً ، والجار احق بصقبه ، والصدقة مضاعفة في رحمه ونسبه .

ف ح ٣٧٨/٤

أحد ولا أسمع لها ركزا ، هذا نبي مكرم ، ورسول ممجد معظم ، قام خطيبا في شأن أداء فرضه ، وجاء إليه رسول من أهل أرضه ، فرغب إليه في نقض إبرامه ، لما تحقق من مرتبته عند علامه ، فألقى ظهر الكف إلى السماء ، وصفا في الحالة العمياء ، لما كان الكف محل العطاء ، ولم يفعل ذلك في الاستصحاء ، فأسبل رداءه الجو ، وتموج من حينــه الدو[1] ، فكان فكاحاً معنوياً ، وكان السيد شاهداً ولياً ، فلما صح الانتظام ، ووقع الالتحام ، درت الضروع ، واخضرت الزروع ، هيهات والله ، بعد تقطب وبسالة ، وستور مسدولة دون عين الغزالة ، واغبرار وإقتار ، وخشوع وافتقار ، كما قال المهيمن الجبار « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة » فأشفقت لها السماء ، فأبدت مقلتها من خشوعها دامعة ، فلاحت بين الخشوع والدموع الروضات اليانعة ، أين أهل الفرح والدعة ، وأرباب الثروة والسعة ؟ والله والله ، ما نالوا شمة من روائح الوجود ، ولا اسماً من أسماء المعبود ، إلا ببذل المجهود ، وصحة المقصود ، وتفطير الكبود ، وخشوع الجوارح ، وتقصف الجوانح ، وإقامه المآتم والمنايح ، والهمهمة في المحارب بالقرآن ، والتعرض بتوفير الهمة وصدق التوجه للرحمن ، في ري الظمآن .

ناداني الحق في سري : عبدي وابن امتي وعبدي ، وعزتي وجلالي ومجدي ، وعظيم سلطاني وعلو جدي ، لا نال معرفتي أحد ، ولا ينال ما عنــدي من جزيل وعدي ، إلا حتى يتصف في هذه الدار الدنيا بما اتصف به أهل الشقاء في الدار الآخرة من الخشوع ذلة وافتقارا ، والبكاء دمعا مدرارا ، والزفرات المتصاعدة ، وتنضيج الجلود ، وتضييق الكبود ، وتنغيص العيش النكيد ، بهذا حليت أوليائي وأنبيائي لما سبق لهم عندي من السعادة ، بعد جهد ومكابدة وجوع ، وشد الاحجار على البطن ، قاساه الرسول السيد المطيع ، حتى فتح له مع أصحابه في لبن وتمر ، دون لحم ولا خبز بر ، قال لأصحابه « إنكم لتسألن عن نعيم هذا اليوم » فنغص عليهم عيشهم على قلته وأخذ هم له على فاقة ، فأحوال الدارين معكوسة ، وصفاتها منكوسة ، حفت الجنة بالمكاره ، وهي ما يقاسيها المؤمن في الدنيا ، والكافر في العقبى ، وحفت النار بالشهوات ، وهي ما يلتذ بها الكافر في الدنيا ، والمؤمن في العقبى ــ فانظري في

(١) الدو : الفلاة .

أي حزب تكونين ؟ ــ خلقتُ الدنيا وخلقتُ لها أهلا ، وخلقتُ النار لهم موطنا ، وخلقتُ الآخرة وخلقت لها أهلا ، وجعلتُ الجنة لهم مقيلا ، ومحل رؤيتي مستقرا ومسكنا ؛ ملّكت الدنيا من سبقت عليه كلمتي ، بغضبي القاصم ولعنتي ، فطردته السابقة من باب رحمتي ، وملّكتُ الآخرة كل خاشع أواه ، جد في مسراه ، وضمر بطنه للسباق ، وخاف من حسرة الاستباق ، فإنه طلق أنا غايته ، ورؤية كريم وجهي والتنزه فيه نهايته ، « والسابقون السابقون أولئك المقربون » تسابقوا على نجب الأعمال ، وتحققوا بحقائق المقامات والأحوال، فوصلوا إلى مشاهدة الجلال والجمال « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » فهو بُراقه الذي أخرجه من عندي فإليّ يرجعه ، لأن قولهم عمل من الأعمال ، وعندي يجدونه إذا رجعوا من غير نقص ولا اختلال .

نكتة بإشاراتها من خلف ستاراتها « وخلق الإنسان ضعيفا » قام السيد ﷺ على أعواده، ساعة إشهاده، فقيل له لما طلب منه الاستصحاء : أنعمت فأبليت، وبالغت في التكحيل لإزالة الرمد فأعميت ، فاهتز قضيب البان عبد الله ﷺ وإن شئت قلت عبد الرحمن ، وجال في ميدان الاستخلاف وأراد الجنوح إلى فئة الائتلاف من فئة الاختلاف ، ووقف في برزخ الاعتدال ، بين وزيري الجلال والجمال ، فغيض المـاء وقضي الأمر واستوت السفينة على الجودي الخاشع ، حين وصف غيره بالمتطاول لها وهو بالمتواضع .

حكمة أبداها وسريرة أخفاها ، وكيف ولا ينال ما عنده إلا بتطاول الهمم ، وإبرار المقسم من أجل القسم ، فانجابت حتى صاروا منها في مثل الإكليل وهي هالة ، لما كانوا أهل وجه واحد في أصل السلالة ، فلو رأوا من وراء ظهورهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم مثله ، لرأوها كالهالة أو كالكلة .

وقد ورد انجياب الثوب لإظهار ما في الغيب ، بانجياب الشوق وارتفاع الشك والريب ، فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا ، أواه ثم أواه ، على أسرار تظهر وأقمار تزهر ، ولا عيون تبصر ولا ألباب تشعر .

غار ﷺ أن يتخذ من دون الله ندا ، وأن يصمد إليه في الحوائج صمدا ، لما كان الحق إلى جميع العبيد ، أقرب من حبل الوريد ، ثم أسدل بيننا وبينه حجاب الرسالة ، وجعل بيدها مفاتيح الكفالة ، وكتب لهم بها مرسوم الوكالة ، فنظرت القلوب إلى أيديهم ، وما برحوا وسط ناديهم ، فإذا انقضت الحوائج أسرعوا في الإدلاج، يا لها من حسرة، ويا شؤمها من فترة ، حيث لم يقدروا قدره، الواحد ضمن له همه ، ومع تصحيحه لذلك ، فاته يومه ، فعاش على النصف من عمره ، وبهذا زاد على عمره ، والآخر أشرك في تحصيل الأنباء ، تغمير الوعاء ، حتى كأن الجميع ليس لهم خالق ، وأن هذا الرسول هو الواحد الرازق ، رضي الله عن الصديق الأكبر ، صاحب السر العلم الأزهر ، في قيامه على منبر الطرفاء ، يوم الداهية الدهياء ، بموت سيد الأنبياء ، أمين الامناء ، وعلم الاهتداء ، وقد ذهل من كان عندنا أقوى الأقوياء، فما ظنك بالضعفاء، وصار الرفيق الأسيف على مذهب السيدة الحميراء، لما كان يظهر عليه من شدة التلهف والبكاء ، فكان أضعفهم عيناً وأقواهم في صميم السويداء ، فقال « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » ثم تلا استشهاداً على مقالته الزهراء : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » إلى آخر الآية الغراء ، ثم تلاها بقوله جل ثناؤه : « إنك ميت وإنهم ميتون » ثم خاطب جميع الخصماء ، فهذه القوة الإلهية من زهده في القوت ، وسوقه جميع ما ملكته يده لله ورسوله فملّكه مفاتيح التابوت ، فمن غيرته عليه وأماتته ، إخفاؤه إياه إلى يوم فقد صاحب رسالته ، ففتح تابوت صدره ، وأبدى مكنون سره [1] ونبه بعلمه على مكانته من الله وقدره ، وأقر له الفاروق بالشرح ، لما بدت

---

(1) قوله ﷺ : ((ما فضلكم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن فضلكم بسر وقر في صدره)) .

مقام القربة مقام دون نبوة التشريع في المنزلة عند الله ، وفوق الصديقية في المنزلة عند الله ، وهو المشار إليه بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر ، ففضل به الصديقين ، إذ حصل له ما ليس من شرط الصديقية ولا من لوازمها ، فليس بين أبي بكر ورسول الله ﷺ رجل ، لأنه صاحب صديقية وصاحب سر ، فهو من كونه

لعينه أعلام الفتح، ولم يزل الصديق مفتوحاً له قبل ذلك، من حين ملك المفتاح ورسم ديوان الممالك ، وإنما كان ينتظر رحلة السيد ﷺ إلى حضرة المحبوب الرفيق الأعلى

صاحب سر بين الصديقية ونبوة التشريع ، ويشارك فيه ، فلا يفضل عليه من يشاركه فيه ، بل هو مساو له في حقيقته ، وفي مقام القربة يقول الشيخ رضي الله عنه :

ومنه أيضا ابو بكر وميزته ... بالسر لو نظروا في حكمنا كملوا
فليس بين أبي بكر وصاحبه ... إذا نظرت إلى ما قلته رجل
هذا الصحيح الذي دلت دلائله ... في الكشف عند رجال الله إذ علموا

ولم يحكم احد من الأولياء ولا قام في مقام القربة مثل أبي بكر ، إلا من لا أعرفه ، فإنه رضي الله عنه ما ظهر قط عليه مما كان عليه في باطنه من المعرفة شيء لقوته ، إلا يوم مات رسول الله ﷺ لكون الله أهله دون الجماعة للإمامة والتقدم ، والإمام لابد ان يكون صاحياً ، لا يكون سكراناً ، فقامت له تلك القوة في الدلالة على أن الله قد جعله مقدم الجماعة في الخلافة عن رسول الله ﷺ ، فكان رسول الله ﷺ يعرف من ابي بكر السر الذي وقر في صدره ، وحصل عنده ما لا تعرفه الجماعة ، فحين مات رسول الله ﷺ ما بقي أحد إلا اضطرب وقال ما لا يمكن أن يسمع ، وشهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره وعدم معرفته برسوله الذي اتبعه ، إلا ابا بكر ، فإنه ما تغير عليه الحال لعلمه بما ثم ، وما هو الأمر عليه ، فصعد المنبر وقال قارئاً « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » ــ الآية ، فتراجع من حكم عليه وهمه ، وعرف الناس حينئذ فضل أبي بكر على الجماعة ، فاستحق الإمامة والتقديم ، فما بايعه من بايعه سدى ، وما تخلف عن بيعته إلا من جهل منه ما جهل أيضاً من رسول الله ﷺ ، أو من كان في محل نظر في ذلك ، أو متأولا ، فإنه رضي الله عنه قد شهد له رسول الله ﷺ في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره ، فظهر حكم ذلك السر في ذلك اليوم ، وليس إلا استيفاء مقام العبودة ، بحيث أنه لم يخل منه بشيء في حقه وفي حق رسول الله ﷺ ، فعلم محمد ﷺ ان ابا بكر الصديق مع من دعاه إليه وهو الله تعالى ، ليس معه إلا بحكم انه يرى ما يخاطبه الحق سبحانه به على لسان رسوله ﷺ في كل خطاب يسمعه منه ، بل من جميع من يخاطبه ؛ وقد علمه الحق في نفسه ميزان ما يقبل من خطابه ، وما يرد .

ف ح ٢/٢٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ــ ح ٣/١٦ ، ٣٧٢

المالك ، فحلاه بزينته ، لما شاركه في نوره وطينته[1] ، ثم سلك في الهين واللين على مدرجته ، لما دعا له أن يكون معه وفي درجته ، ثم أبدى له شاهداً بما كان عليه من الكتمان ، صوت تأنيسه في ليلة الإسراء بالجثمان ، ثم أبان له برهان الموافقة ، بما ذكره عن نفسه ﷺ وعنه إلى المقام من المسابقة ، فسبق النبي ﷺ وصلى الصديق، ولذلك قيل له هنالك قف إن ربك يصلي بصوت عتيق ، فاستأنس وحن ، من جهة إحساس البدن[2] ، وقد اتضحت أسرار ، ولمعت في علية هذا الوجه بوارق الأنوار ، فنرجع إلى قيامه ﷺ بين وزيري جمال وجلال ، فأشار إلى وزيره الموهوب والعبوس القطوب ، أن قد ظهرت سطوتك على الأعداء الأغمار ، بالهلاك والدمار ، بين صياح رعود ، ومرهفات بروق ، وسهام أمطار ، فأمر العسكر الجرار فجنح ، فقال : لم يهلك سلطاني ولكن سمح ، فتبسم الجمال وقال صدقت يا رسول الله ، وبالحق نطق صاحبي وبه نطقت ، فإنا تألفنا من غير شتات ، وحيينا بلا تقدم ممات ، أنا أظهر لك صدق صاحبي فيما ادعاه ، وأبدي متنزهاً عجيباً إلى مقلتك النجلاء مما حواه غصنه ووعاه ، فأرسلهما خديمين في العالم أمينين ، خليلين نديمين ، وانصرف السيد

---

(١) خلق رسول الله ﷺ وأبو بكر من طينة واحدة فسبق محمد ﷺ وصلى أبو بكر .
ف ح ١/٨٤ ـ المصلي هو التالي للسابق في الحلبة .

(٢) عروج أبي بكر الصديق بروحه مع رسول الله ﷺ

لما طلب رسول الله ﷺ الإذن في عروجه في الرؤية بالدخول على الحق . سمع صوتاً يشبه صوت أبي بكر وهو يقول له : يا محمد قف إن ربك يصلي ، فراعه ذلك الخطاب ، وقال في نفسه اربي يصلي ! ! فلما وقع في نفسه هذا التعجب من هـذا الخطاب ، وانس بصوت أبي بكر الصديق ، تلي عليه « هو الذي يصلي عليكم وملائكته » فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق .

ف ح ٣/٣٤٢

قيل لأبي بكر رضي الله عنه ليلة اسري برسول الله ﷺ : إنه رأى ربه ، قال : صدق ، وكنت معه متمسكاً بأذياله مشاركه في مقاله ، قيل : كيف ؟ قال : في قوله : السلام علينـا .

كتاب المعراج (شجرة الكون) .

إلى حضرة العين ، وغاب بلا كيف حيث لا أين ، فلذلك لم يروا منه ﷺ إلا صورته المشهودة ، والحركة المعروفة بيننا المعهودة ، فقلنا ما شهد به علينا من الأوراق ، وسارت به الركبان والرفاق ، وتلي في المكاتب والمنابر والمحاريب في جميع الآفاق ، « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق » عثرة لا تطاق ، وصيحة ما لها من فواق ، يعانيها قائلها عند السياق ، إذا بلغت النفس التراق ، وقيل من راق ، والتفت الساق بالساق ، وأيقن بالفراق ، ولكل واحد من هذه العثرة حظ يراه إذا كان إلى ربه المساق ، فعليكم بالإيمان الصرف ، على غاية الجلاء والكشف ، وإلا والله فقد نشر الميثاق ، وأخذتم بضيق الخناق .

خرّج أبو داود في مراسيله في هذا الباب ، عن شريك يعني ابن أبي نمر عن عطاء بن يسار أن رجلا من نجد أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أجدبنا وهلكنا إن لم يدركنا الله منه برحمة ، فادع الله يغيثنا ، فدعا رسول الله ﷺ فرجع الرجل وقد مطروا ، فأحيوا عامهم ذلك ، ثم رجع من عام قابل فقال : يا رسول الله دعوت الله لنا فأحيينا عام الأول فادع الله لنا ، فقال رسول الله ﷺ : أغيث كغيث الكفار ؟ لا ، ارجع ، فانظر ما أعظم ما تحويه هذه اللفظة من الأسرار ، لما علم ﷺ أن نزول الأمطار عند الله بمقدار ، وأن ذلك لم تجر بنزوله الأقدار ، ردعه بقوله : أغيث كغيث الكفار ؟ فأدرج له العلم في موعظة زاجرة ، وألصق استمرار الرخاء والسعة بالأمة الكافرة ، وأن المؤمن يتقلب في نفسه بين شدة ورخاء ، وفي قلبه بين خوف ورجاء ، ليهرب إلى التقليل والزهادة ، من دام عليه في الدنيا في مأكله ومشربه نعيمه ، فليتحقق أن ذلك النعيم عذابه وجحيمه ، فليفرح المقل بفاقته ، ويستعمل نفسه في الشكر عليها جهد طاقته ، ويتنغص له عيش الغني فيؤجر في تنغصه ، ويحرضه على التروح بتبديد المال في ذات الله أو تنقصه ، فيالها كلمة واحدة ، عمت القبضتين وانسحبت على الطائفتين ، لقد أوتي جوامع الكلم ، وفصل الخطاب والحكم ، استشهادي له في توقفه عن الإجابة « وأنزلنا من السماء ماء بقدر » « وما ننزله إلا بقدر معلوم » « ولكن ينزل بقدر ما يشاء » فتأمل يا ولي سدد الله نظرك ما تنطوي عليه هذه الإشارات ، وما تتضمنه من المعارف والأسرار والمقامات هذه العبارات .

ولما سمعت النفس إيرادي لهذه الشذور ، وإبرازي هذه الأسرار المخدرات من خلف هذه الستور ، تيقنت أنها في تباب ، وأن عليين إنما هي لأولي الألباب ، فألقت يد السمع والطاعة ، على ملازمة السنة والجماعة، والإقرار بالفضل والسبق للمتقدم، فإن ذلك هو الإمام المعلم ، وأيقنت باقتراب الساعة ونفاذ أيامها ، لظهور شرائطها وأعلامها ، بقول مَن كرم هذه الأمة وفضلها ، إن من أشراط الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها ، وقد رأينا في هذه البلاد من هذه الشرائط كثيرا ، وليتهم وقفوا مع سب أولهم من جنسهم ولا يتعدون من ذلك إلى ما هو أعظم منه ، فوالله ياولي لقد قرع سمع أخيك سب السيد عيسى عليه السلام ، وسب بعض الصحابة الكرام ، وسب الله ذي الجلال والإكرام •

وأما المدعون في هذه الطريقة فقد قاربوا الخروج من الجماعة بل خرجوا ، فطائفة بلغني عنهم أنهم استغنوا عن شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام لما تحققوا به مع الحق من حقائق الوصال ، ولو رأيت أحوالهم لرأيت نقيصة الكون ، وما تسخن به العين ، وقال من تبرز فيهم إماماً ، وهو لا يعرف ما خلق له ، ويدعي الكشف الأتم مع الحق ، فقال : إن الجنة لم تخلق ، هكذا أعطاه كشفه المكشوف ، وعقله السخيف المتلوف ، وأما وليك فسمع واحداً وقد عاب عليه بعض أصحابه السماع يقول : لمثلي يقال هذا ؟! إن جبريل لا يحسن يسمع مثلي ولا الملائكة ، فقمت عليه في ذلك ، فتاب واستغفر الله وأناب ، فهذه قلوبهم الحاضرة ووجوههم الناضرة إلى ربها الناظرة ، بل والله وجوه باسرة تظن أن تفعل بها فاقرة •

ثم أعرّف وليّ أبقاه الله تعالى ، أن نفسي الخبيثة بطانة السوء ، لما قرع سمعها أخبار هؤلاء السادة، والأئمة القادة، كان لها من صغرها تعشق بحديث أويس القرني رضي الله عنه ، قالت لي : عسى تقص لي من شأنه بعض ما وصل إليك ، فإنني ألهج بذكره ، واطوِ معي بساط المناظرة ، وسد باب التمثيل والمحاضرة ، وألقِ ما شئت من أنواع المجاهدة ، فإني الموافقة المساعدة ، فشكرت الله على طلبها الاختصار وتركها التطويل ، وعلمت أنها تريد سلوك سواء السبيل ، فقلت لها : نعم ، حدثني أبو محمد

ابن يحيى قال : حدثني أبو بكر بن منصور قال : ثنا أبو الفضل بن أحمد قال : ثنا أبو أحمد بن عبد الله عن أبيه قال : ثنا حامد بن محمود قال : ثنا سلمة بن شبيب قال : ثنا أبو الوليد بن إسماعيل الحراني قال : ثنا محمد بن إبراهيم عن عبيد قال : حدثني محمد بن يزيد عن نوفل بن عبد الله الضحاك بن مزاحم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ في حلقة من أصحابه ، إذ قال : ليصلين معكم غداً رجل من أهل الجنة ، قال أبو هريرة : فطمعت أن أكون أنا ذلك الرجل ، فغدوت فصليت خلف النبي ﷺ وأقمت في المسجد حتى انصرف الناس ، وبقيت أنا وهو ، فبينما نحن كذلك إذ أقبل رجل أسود ، متزر بخرقة ، مرتد برقعة ، فجاء حتى وضع يده في يد النبي ﷺ ثم قال : يا نبيَّ الله ادع الله لي ، فدعا له النبي ﷺ بالشهادة ، وإنا لنجد منه ريح المسك الأذفر ، فقلت : يا رسول الله أهو هو ؟ قال : نعم ، إنه لمملوك لبني فلان ، قلت : أفلا تشتريه تعتقه يا نبيَّ الله ، قال : وأنى لي بذلك إن كان الله تعالى يريد أن يجعله من ملوك الجنة ، يا أبا هريرة إن لأهل الجنة ملوكاً وسادة ، وإن هذا الأسود أصبح من ملوك الجنة وساداتهم ، يا أبا هريرة إن الله عز وجل يحب من خلقه الأتقياء الأخفياء الأبرياء ، الشعثة رؤوسهم ، المغبرة وجوههم ، الخميصة بطونهم من كسب الحلال ، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم ، وإن خطبوا المتنعمات لم يُنكحوا ، وإن غابوا لم يفتقدوا ، وإن حضروا لم يدعوا ، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم ، وإن مرضوا لم يعادوا ، وإن ماتوا لم يشهدوا ، قالوا : يا رسول الله كيف لنا برجل منهم ؟ قال : ذلك أويس القرني ، قالوا : ومن أويس القرني ؟ قال : أشهل ذو صهوبة ، بعيد ما بين المنكبين ، معتدل القامة ، آدم شديد الأدمة ، ضارب بذقنه إلى صدره ، رامٍ ببصره إلى موضع سجوده ، واضع يده اليمنى على شماله ، يتلو القرآن ، يبكي على نفسه ، ذو طمرين لا يؤبه له ، متزر بإزار صوف ، مجهول في الأرض معروف في السماء ، لو أقسم على الله لأبر قسمه ، ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء ، ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويقال لأويس : قف فاشفع ، فيشفعه الله في عدد مثل ربيعة ومضر ، يا عمر ويا علي ،

إذا أتيتما لقيتماه فاطلبا منه أن يستغفر الله لكما ، يغفر لكما الله تعالى ، قال : فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه ، فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها عمر رضي الله عنه ، قام في ذلك العام على أبي قبيس فنادى بأعلى صوته : يا أهل الحجيج من أهل اليمن ، أفيكم أويس من مراد ؟ فقام شيخ كبير اللحية وقال : إنا لا ندري ما أويس ؟ ولكن ابنُ أخ لي يقال له أويس ، وهو أخمل ذكراً ، وأقل حالاً وأهون أمراً من أن نرفعه إليك ، وإنه ليرعى إبلنا ، حقير بين أظهرنا ، فعمّى عليه عمر كأنه ما يريده ، وقال : فأين ابنُ أخيك هذا ، نحو منى هو ؟ قال: نعم، قال : وأين يُصاب؟ قال : بأراك عرفات ، قال : فركب عمر وعلي سراعا إلى عرفات ، فإذا هو قائم يصلي إلى شجرة والإبل حوله ترعى ، فشدا حماريهما ثم أقبلا إليه ، فقالا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فخفف أويس الصلاة ثم قال : وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته ، قالا : من الرجل ؟ قال : راعي إبل وأجير قوم ، قالا : لسنا نسألك عن الرعاية ولا عن الإجارة ، ما اسمك ؟ قال : عبد الله ، قالا : قد علمنا أن أهل السموات والأرض كلهم عبيد الله ، فما اسمك الذي سمتك أمك ؟ قال : يا هذان ما تريدان بي ؟ قالا : وصف لنا محمد ﷺ أويساً القرني ، فقد عرفنا الشهولة والصهوبة ، وأخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء ، فأوضحها لنا ، فإن كان بك فأنت هو ، فأوضح منكبه فإذا اللمعة ، فابتدراه يقبلانه ويقولان : نشهد أنك أويس القرني ، فاستغفر لنا يغفر الله لك ، قال : ما أخص باستغفاري نفسي ولا أحداً من ولد آدم ، ولكن من في البر والبحر من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، يا هذان قد أشهر الله لكما حالي وعرفكما أمري ، فمن أنتما ؟ قال علي : أما هذا فعمر أمير المؤمنين ، وأما أنا فعلي بن أبي طالب ، فاستوى أويس قائما ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وأنت يا ابن أبي طالب ، فجزاكما الله عن هذه الأمة خيرا ، قالا : وأنت فجزاك الله عن نفسك خيرا ، فقال عمر : مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائي ، وفضل كسوة من ثيابي . هذا المكان ميعاد بيني وبينك ، قال : يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك ، لا أراك بعد اليوم تعرفني.

ما أصنع بالنفقة وما أصنع بالكسوة ؟ أما ترى عليّ إزاراً ورداء من صوف ، متى تراني أخلقهما ؟ أما ترى نعليّ مخصوفتين ، متى تراني أبليهما ؟ قد أخذت من رعائي أربعة دراهم ، متى تراني آكلها ؟ يا أمير المؤمنين إن بين يدي ويديك عقبة كؤوداً لا يجاوزها إلا ضامر مخف مهزول ، فأخف يرحمك الله ، فلما سمع عمر ذلك من كلامه ، ضرب بدرته الأرض ، ثم نادى بأعلى صوته : ألا ليت أم عمر لم تلد عمر ؛ يا ليتها كانت عاقراً لم تعالج حملها ، ألا من يأخذها بما فيها ولها ، ثم قال أويس بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين خذ أنت ها هنا حتى آخذ أنا ههنا ، فولى عمر ، وساق أويس إبله فوافى القوم إبلهم ، وخلى عن الرعاية وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل — قال المغيرة كان أويس القرني يتصدق بثيابه حتى يجلس عرياناً لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة — ومما يؤيد هذا ما رويناه من حديث ابن دينار قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أمتي من لا يستطيع أن يأتي مسجده أو مصلاه من العري ، يحجزه إيمانه أن يسأل الناس ، منهم أويس القرني • وقال عبد الله بن سلمة غزونا بأذربيجان وكان أويس معنا ، فلما رجعنا مرض علينا ، فحملناه فلم يستمسك فمات ، فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط ، فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه ، فقال بعضنا لبعض : لو نزلنا فعرفنا قبره ، فإذا لا قبر ولا أثر — وقال هرم ابن حبان : قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أويساً أسأل عنه ، فدفعت إليه وهو بشاطىء الفرات يتوضأ ويغسل ثوبه ، فعرفته بالنعت ، فإذا رجل آدم محلوق الرأس ، كث اللحية ، مهيب المنظر ، فسلمت عليه ومددت إليه يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني ، فخنقتني العبرة لما رأيت من حاله ، فقلت : السلام عليك يا أويس ، كيف أنت يا أخي ؟ فقال : وأنت فحياك الله يا هرم بن حبان ، من دلّك عليّ ؟ قلت الله عز وجل ، قال: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ، قلت : يرحمك الله ، من أين عرفت اسمي واسم أبي ؟ فوالله ما رأيتك قط ولا رأيتني ، قال : عرف روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ، لأن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد ، وإن المؤمنين يتعارفون بروح الله عز وجل وإن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل ، قال قلت : حدثني عن

رسول الله ﷺ لأحفظ منك ، قال : إني لم أدرك النبي ﷺ ولم يكن لي معه صحبة، وقد رأيت رجالا رأوه ، وقد بلغني من حديثه كبعض ما بلغكم ، ولست أحب أن أفتح هذا الباب عليّ ، لا أحب أن أكون قاضيا أو مفتيا في نفسي شغل ، قال قلت : فاتلُ علي آيات من القرآن أسمعهن منك ، وادع لي بدعوات ، وأوصني بوصية ، قال : فأخذ بيدي وجعل يمشي على شاطىء الفرات ، ثم قال : قال ربي وأحق القول قول ربي عز وجل ، وأصدق الحديث حديث ربي عز وجل ، وأحسن الكلام كلام ربي عز وجل ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم « إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين » ثم شهق شهقة فأنا أحسبه قد غشي عليه ، ثم قرأ حتى بلغ « يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم » ثم نظر إلي فقال : يا هرم بن حبان مات أبوك ويوشك أن تموت ، ومات أبو حبان فإما إلى جنة وإما إلى نار ، ومات آدم وماتت حواء يا ابن حبان ، ومات إبراهيم خليل الرحمن يا ابن حبان ، ومات موسى نجي الرحمن يا ابن حبان ، ومات محمد رسول الله ﷺ وعليهم أجمعين يا ابن حبان ، مات أبو بكر خليفة المسلمين ومات أخي وصديقي وصفيّ عمر واعمراه ، قال : وذلك في آخر خلافة عمر رضي الله عنه ، قال قلت : يرحمك الله ، إن عمر لم يمت ، قال : بلى ، إن ربي عز وجل نعاه لي وقد علمت ما قلت ، أنا وأنت غداً في الموتى ، ثم دعا بدعوات خفاف ، ثم قال : هذه وصيتي لك يا ابن حبان ، كتاب الله عز وجل ، ونعي الصالحين من المؤمنين ونعي الصالحين من المسلمين ، ونعيت لك نفسي ونفسك ، فعليك بذكر الموت، فإن استطعت أن لا يفارق قلبك طرفة عين فافعل ، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم ، واكدح لنفسك ، وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تشعر ، فتموت فتدخل النار يوم القيامة ، ثم قال : اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك ، وزارني من أجلك ، فأدخله عليّ زائراً في الجنة دارك دار السلام ، ورضّه من الدنيا باليسير ، وما أعطيته من شيء في الدنيا فاجعله في يسر وعافية ، واجعله لما تعطيه من أنعمك من الشاكرين ، استودعك الله يا هرم بن حبان ، والسلام عليك ، لا أراك بعد اليوم تطلبني ولا تسأل عني ، اذكرني

أذكرك وأدع لك إن شاء الله تعالى ، انطلق ههنا حتى انطلق أنا ها هنـــا ، فطلبت أن أمشي معه ساعة فأبى عليّ ، وفارقني يبكي وأبكي ، ثم دخل بعض السكك ، فكم طلبته بعد ذلك وسألت عنه فما وجدت أحداً يخبرني عنه بشيء ، حدثنا بهذه الحكاية أحمد الشاهد عن محمد بن عبد الله عن سعيد بن عبد الله عن أبي الفضل عن أحمد ابن عبد الله بن محمد بن جعفر عن محمد بن العباس بن أيوب عن يحيى بن محمد بن السكن عن يحيى بن كثير عن الهيثم بن جرموز عن حمران عن سلمان التميمي عن أسلم العجلي عن أبي الضحاك الجرمي عن هرم بن حبان .

فهذا يا نفس من بعض أخبار أويس الذي أحببته لله وفي الله ، ولولا التطويل لأشبعناك من أخباره وأخبار أمثاله من سادات التابعين رضي الله عنهم أجمعـــين . ولكنك قد قنعت بهذا القدر فالتزمي طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ، فأسلمت إسلاما جديداً ، الله تعالى يثبتها عليه ، وأخذتُ منها العهود التي أخذ النبي ﷺ على النساء المؤمنات ، فالتزمتْ ذلك كله عارفة قدر ذلك ، وما لها في الوفاء به وغدره .

فهذا يا وليّ أبقاك الله ما اتفق بيني وبين نفسي بمكة المشرفة حرسها الله تعالى ، ثم أرجع مع وليّ وصفيّي وأخي في الله تعالى أبي محمد وفقنا الله وإياه وأقول ، أما بعد يا أخي فإن أكثر الناس خافوا الله على سيئات الناس وذنوبهم وأوزارهم ، وأمنوا على ذنوبهم ، وليس هذا فعل الرجل الحازم ، والله تعالى يقول « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » وأقرب عدو لك وأعداه عليك نفسك التي بين جنبيك وفيها شغل شاغل للعاقل ، وهذا الزمان الذي أنت فيه زمان شر ، قلت فيه لقمة الحلال ، وكثر فيه الشره والكلب في قلوب الناس ، فلا بطنٌ يشبع ولا نفسٌ تقنع ولا عينٌ تدمع ولا دعاءٌ يسمع ، فلما قل الحـــلال ، لو وقع التعفف من المريد ، وأخذ الغذاء عنـــد الاضطرار لكان بعض شيء يكفيـــه ، وأبشرك يا وليّ رضي الله عنك ، أني جربت إخواني في هذا الطعام من باب المغرب إلى باب مكة المشرفة ، فما دخل في بطني أخلص من طعامك ، كنت أجد له ما لا يمكن وصفه ، وذلك لطيب النفوس وعدم تعلق خاطرك به إلا في وقت ما ، تعرفه أنت وابن المرابط ، وتعرف سببه ، وهذا أعجب ما تسمع في هذا الباب ، وله أصل يستند إليه في اللحم الذي تُصُدِّقَ به على

بريره ، وهو حرام على النبي ﷺ . فلما أهدت منــه للنبي ﷺ أكله حلالاً محضاً وقال « هو عليها صدقة ولنا هدية » فألق بالك يا ولي وأحصر ذهنك في هذه المسألة، فإنها لطيفة ، وقد قصدتك بها متحفاً ، فإنها من أعظم التحف لأنها تعطيك من أسرار وضع الشرع من عند الله في عبيده علماً كثيراً ، ولقد لقينا من المشايخ والإخوان والنساء ما لو دونت أحوالهم وسطرت كما سطرت أحوال من تقدم لرأيت الحال الحال والعين العين في الأعمال والجد والإشارات وصحة القصد ، فيا ولي تعال نقم مأتماً للفراق ونندب إخواننا الظاعنينا ، وأنا أنشد لك من بعض أحوال من لقيت .

فمنهم وهو أول من لقيته في طريق الله ، **ابو جعفر احمد العريبي** رضي الله عنه[1] ، وصل إلينا إلى إشبيلية في أول دخولي إلى معرفة هذه الطريقة الشريفة ،

---

(1) ابو العباس العريبي

كان شيخنا أبو العباس العريبي رحمه الله عيسويا في نهايته ، وهي كانت بدايتنا، اعني نهاية شيخنا في هذا الطريق كانت عيسوية ، ثم نقلنا إلى الفتح الموسوي الشمسي، ثم بعد ذلك نقلنا إلى هود عليه السلام ، ثم بعد ذلك نقلنــا إلى جميع النبيين عليهم السلام ، ثم بعد ذلك نقلنا إلى محمد ﷺ ، هكذا كان امرنا في هذا الطريق ، ثبته الله علينا ، ولا حاد بنا عن سواء السبيل .

ف ح ٢٢٢/١

اما شرح معنى كون الولي عيسويا أو موسويا أو محمديا إلى غير ذلك من المراتب:

فاعلم ايدك الله انه لما كان شرع محمد ﷺ تضمن جميع الشرائع المتقدمة ، وانه ما بقي لها حكم في هــذه الدنيا إلا ما قررته الشريعة المحمــدية ، فبتقريرها ثبتت ، فتعبدنا بها نفوسنا من حيث أن محمداً ﷺ قررها ، لا من حيث أن النبي المخصوص بها في وقته قررها ، فلهذا أوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم ، فإذا عمل المحمدي ــ وجميع العالم المكلف اليوم من الإنس والجن محمدي ، ليس في العالم اليوم شــرع إلهي سوى هذا الشرع المحمدي ــ فلا يخلو هذا العامل من هذه الأمة ان يصادف في عمله فيما يفتح له منه في قلبه وطريقه ويتحقق به طريقه من طرق نبي من الانبيــاء المتقدمين مما تتضمنه هذه الشريعة وقررت طريقتها وصحبتها نتيجته ، فإذا فتح له في ذلك ينسب إلى صاحب تلك الشريعة ، فيقال فيه عيسوي او موسوي او إبراهيمي،

فكنت أول من سارع إليـه ، فدخلت عليه فوجدت شخصاً مستهتراً بالذكر[1] ؛ فتسميت له وعرف حاجتي منه ، فقال لي : عزمت على طريق الله تعالى ، فقلت له : أما العبد فعازم والمثبت الله ، فقال لي سد الباب واقطع الأسباب وجالس الوهاب ؛ يكلمك الله من دون حجاب، فعملت عليها حتى فتح لي[2] ، وكان بدوياً أميا لا يكتب

وذلك لتحقيق ما تميز له من المعارف وظهر له من المقام من جملة ما هو تحت حيطة شريعة محمد ﷺ ، فيتميز بتلك النسبة أو بذلك النسب من غيره ، ليعرف أنه ما ورث من محمد ﷺ إلا ما لو كان موسى أو غيره من الأنبياء حياً واتبعه ما ورث إلا ذلك منه . ولما تقدمت شرائعهم قبل هذه الشريعة جعلنا هذا العارف وارثاً ؛ إذ كان الورث للآخر من الأول ؛ ولا يقال في أحد من أهل هذه الطريقة إنه محمدي إلا لشخصين ، إمـا شخص اختص بميراث علم من حكم لم يكن في شرع قبله ، فيقال فيه محمدي ، وإما شخص جمع المقامات ثم خرج عنها إلى لا مقـام كأبي يزيد ؛ فهذا ايضاً يقال فيـه محمدي ، وما عدا هذين الشخصين فينسب إلى نبي من الأنبياء ؛ ولهذا ورد في الخبر ان « العلماء ورثة الأنبياء » ولم يقل ورثة نبي خاص ، والمخاطب بهذا علماء هذه الأمة ؛ وقد ورد أيضا بهذا اللفظ قوله ﷺ « علماء هذه الأمة انبياء سائر الأمم » وفي رواية « كأنبياء بني إسرائيل » .

ف ح ٢٢٣/١

(١) مُستَهتَراً بالذكر يعني أنه لا يزال مواظبا عليه مع الانفاس . فلا يخرج منه نفس في يقظة ولا نوم إلا به فيكون صاحب هجير ؛ والهجير هو الكثرة من الذكر دائما ، ولا فائدة للهجير إلا ان يفتح لصاحبه فيه بعلم . فإذا رايت ذا هجير لا يفتح له فيه . فاعلم أنه صاحب هجير لسان ؛ ظاهره لا يوافقه لسان باطنه ؛ ومن هو بهذه المثابة فما هو مقصودنا بأصحاب الهجيرات ، فإنه لابد أن يكون لصاحب الهجير خصوص وصف يتميز به .

ف ح ٨٨/٤ ، ٩٠ ، ١٨٩

(٢) اوصاني شيخي رحمه الله اول ما دخلت عليه قبل ان ارى وجهه فقال لي وقد قلت له : اوصني قبل أن تراني فأحفظ عنك وصيتك . فلا تنظر إليّ حتى ترى خلعتك عليّ ؛ فقال رضي الله عنه : هذه همة شريفة عالية . يا ولدي سد الباب واقطع الأسباب ، وجالس الوهاب يكلمك من غير حجاب . فعملت على هذه الوصية حتى رايت بركتها ؛ ودخلت عليه بعد ذلك فراى خلعتها عليّ . فقال : هكذا هكذا وإلا فلا لا .

ولا يحسب ، وكان إذا تكلم في علم التوحيد فحسبك أن تسمع ، كان يقيد الخواطر بهمته ويصدع الوجود بكلمته ، لا تجده أبداً إلا ذاكراً على طهارة مستقبل القبلة ، أكثر دهره صائماً ، أسرته الفرنج وكان قد أعلَم بذلك وقال لأهل الغفل : غداً يؤخذ الكل أسرى ، فصبحهم العدو فأخذهم عن آخرهم ، فأكْرِمَ مثواه ونُظِّفَتْ له دار حسنة وخُدِمَ بها ، ثم تقاطع مع العلج الذي كان عنده على خمسمائة دينار ؛ فجاء عندنا فقيل له : نجمع لك من شخصين أو ثلاثة ؟ فقال : لا ، إنما أريدها من أشخاص كثيرة ، لو قدرت أن آخذها من كل إنسان ذرة فعلت ، فإن الله تعالى أخبرني أن كل نسمة وزنت فيها شيئاً عتقت من النار ، فأستغنمْ الخير لأمة محمد ﷺ ، ومن أخباره أنه قيل له وهو بإشبيلية عندنا : إن أهل قصر كتامة[1] يحتاجون إلى المطر فسر إليهم فاستسق لهم لعل الله أن يسقيهم ، فخرج لذلك وخرج معه خادمه محمد ، وبيننا وبينهم البحر ومسيرة ثمانية أيام ، فقال له بعض أصحابه : ادعُ الله لهم من هنا ، قال : أُمرتُ بالخروج إليهم ، فخرج من عندنا ، فلما وصل قصر كتامة وأشرف عليه ، مُنِعَ من دخوله فاستسقى لهم وهم لا يشعرون ، فسقاهم الله في الحين ، فرجع من ذلك الموضع ولم يدخل البلد حتى وصل إلينا ، فقال لنا محمد خادمه الذي مشى معه : لما سقاهم الله ونزلت الأمطار ، كان الغيث ينزل عن يميننا ويسارنا وأمامنا وخلفنا ؛ ونحن نمشي لا يصيبنا منه شيء ، فقلت للشيخ : عز عليَّ حيث لم تصبك رحمة الله عز وجل ، فصاح وقال : فزت بها يا محمد ، يا حسرة لو تذكرتها هناك ؛ ودخل عليه رجل ومعه ابنه وأنا إلى جانبه جالس ، فسلم عليه وقال لابنه : سلم عليه ، وكان الشيخ قد ذهب بصره ، فقال له الرجل : يا سيدي إن ابني

ثم قال لي : امح ما كتبت وانس ما حفظت واجهل ما علمت ، وكن هكذا معه على كل حال ، لا تتحدث معه بما قد علمته ، فإن ذلك تضييع للوقت . واطلب المزيد كما أمرك في قوله لبنيه ﷺ بأمره وامته « وقل رب زدني علماً » . ف ح ٤/٥٢٩

(١) كتامة قبيلة من البربر . وقيل : حي من حمير .

هذا من حملة القرآن يحفظه ، فتغير الشيخ وصاح وطرأ عليه حال وقال : القديم يحمل المحدث ، القرآن يحمل ابنك ويحملنا ، ويحفظ ابنك ويحفظنا ، فهذا كان من حضوره رضي الله عنه ، وكان قوياً في دين الله لا تأخذه في الله لومة لائم ، كنت إذا دخلت عليه يقول : مرحباً بالابن البار ، كل ولدي نلفق عليّ وجحد نعمتي إلا أنت ، فإنك مقر بها معترف ، لا أنساها الله لك ، سألته ما اتفق له مع الله تعالى في أول بدايته فقال : كان قوت أهلي في السنة ثمانية أعدل تيناً والعِدْل مائة رطل ، فلما جلست مع الله في الخلوة ، صاحت عليّ المرأة وسبتني وقالت لي : قم واخدم وسيّ ما يقوم بأولادك لعامهم ، فشوشت عليّ خاطري ، فقلت : يا رب هذه تحول بيني وبينك ، ولا تزال تنعبني ، فإن كنت تريد لي مجالستك فأرحني من همها ، وإن كنت لا تريدني فعرفني ، قال : فناداني الحق في سري ، يا أحمد اجلس معنا ولا تبرح ، فما يذهب النهار حتى نأتيك بعشرين عدلاً تيناً قوت عامين ونصف ، فلم تكن إلا ساعة وإذا بصارخ وعلى عنقه عِدْل من تين هدية ، فقال لي الحق : هذا واحد من عشرين ، فما غربت الشمس حتى كمل عندي عشرون عدلاً ، فَسُرَّتِ المرأة والأطفال ، وشكرتني المرأة ورضيت عني ، وكان رضي الله عنه كثير التفكر مبسوطاً مع الحق في عموم أحواله ، دخلت عليه آخر زورة رأيته فيها رحمه الله تعالى ومعي جماعة ، فوجدناه قاعداً فسلمنا عليه ، وقد أراد بعض الجماعة أن يسأله ، فإذا به رضي الله عنه قد رفع رأسه وقال : خذوا مسألة وقد رميتك بها يا أبا بكر [1] وأشار إليّ ، لم أزل أتعجب من قول أبي العباس بن العريف « حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل »[2] ونحن نعلم أن من لم يكن فان ، ومن لم يزل باق ، فأيش ؟ قال :

---

(١) إشارة لقوله رضي الله عنه في ص ٣٢ عند ذكر مقام العبودة المحضة .

(٢) قول ابي العباس بن العريف « حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل »

هذا الكلام من مقام الإحسان ، ويتعلق بالفناء والبقاء في اصطلاح الصوفية ، وما يترتب على ذلك من القول « باللذة في المشاهدة أو عدم اللذة » ، فاعلم أن الحقيقة الإلهية تتعالى ان تشهد بالعين التي ينبغي لها ان تشهد ، وللكون اثر في عين المشاهد ،

أجيبوا ، فلم يكن في الجماعة من أجابه ، فعرض عليَّ الجواب ، فحضرتني نفسي بعثوري على وجه المسألة دونهم ، فلم أتكلم ، فإني كنت شـــديد القهر لنفسي في الكلام ، وعرف مني الشيخ ذلك فلم يعد علي ، وكان رضي الله عنه لا يتجرد لنوم في ثوب ، ولا يهتز في سماع ، فإذا سمع القرآن تقصف وتصدعت أركانه ، وصليت معه الصبح في دار وليي وصفيي أبي عبد الله محمد الخياط المعروف بالعصاد وأخيه أبي العباس أحمد الحريري ، فقرأ الإمام عم يتساءلون ، فلما وصل إلى قوله تعالى « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً » غبت عن قراءة الإمام وما سمعت شيئاً ،

فإذا فني ما لم يكن فهو فان ، وبقي من لم يزل وهو باق ، حينئذ تطلع شمس البرهان لإدراك العيان ، فيقع التنزه المطلق في الجمال المطلق ، وذلك هو عين الجمع والوجود ، ومقام السكون والجمود ، **وهذا الفن من الكشف والعلم يجب ستره عن أكثر الخلق ،** لما فيه من العــلو ، فغوره بعيد ، **والتلف فيــه قريب ، لما يؤدي إلى القول بالاتحاد والحلول ،** فإن من لا معرفة له بالحقائق ولا بامتداد الرقائق ، ويقف على هذا المشهد من لسان صاحبه المتحقق به ، وهو لم يذقه ، ربما قال « أنا من أهوى ومن أهوى أنا » فلهذا نستره ونكتمه ، ومنزل الفناء هو طلوع الشمس ، وله مرتبة الإحسان الذي يراك به لا الإحسان الذي تراه به ، قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ « ما الإحسان ؟ » قال « أن تعبد الله كأنك تراه » وأشار إلى أهل الإشارات بقوله « فإن لم تكن تراه » أي رؤيته لا تكن إلا بفنائك عنك ، وأثبت الألف من « تراه » لأجل ظهوره لتعلق الرؤيه ، إذ لو حذفها وقال « فإن لم تكن تره » لم تصح الرؤية ، فإن الهاء من « تره » كناية عن الغائب ، والغائب لا يُرى ، والألف محذوفة ، فكان يُرى بلا رؤية ، وهذا لا يصح ، فلهذا أثبت الألف ، وأما حكمـــة ثبوت الهاء فإنـــه كان يغني « فإن لم تكن تــراه » إشارة إلى أنــك إذا رأيت بوجود الألف فلا تقل أحطت ، فإنــه تعالى يجل ويعــز عن أن يحاط به ، وما لم يحط به فتكون الهاء الذي هو ضمير ما غاب عنك من حقيقة الحق عند الرؤية تشهد لك بعدم الإحاطة .

وهذه المسألة تخبط فيها من لم يستحكم كشفه ، ولا تحقق شهوده ، فإن من الناس من تلوح له بارقة من مطلوبه فيكتفي بها عن استيفاء الحال واستقصائه ، فيحكم على هذا المقام بما شاهد ، ظناً منه أو قطعاً أنه قد استوفاه ، فمن يرى أن عين الوجود هو الذي يحفظ عليه أحوال أعيان الممكنات الثابتة ، وأنها لا وجود لها البتة بل لهــا الثبوت ، والحكم في العين الظاهرة التي هي الوجود الحقيقي يقول « حتى يفنى من لم

ورأيت شيخنا أبا جعفر المذكور وهو يقول : المهاد العالم والأوتاد المؤمنون ، والمهاد المؤمنون والأوتاد العارفون ، والمهاد العارفون والأوتاد النبيون ، والمهاد النبيون والأوتاد المرسلون ، وذكر من الحقائق ما شاء الله أن يذكر ، فرددت إليّ والإمام يقرأ « وقال صواباً ذلك اليوم الحق » فلما فرغنا من الصلاة سألته ، فوجدته قد خطر له في تلك الآية ما شهدته ، وأضجعه إنسان ليذبحه والسكين في يده والشيخ يمد له عنقه ، وهمّ به أصحابه ليأخذوه فقال : اتركوه يفعل ما يؤمر به ، فكان يأخذ السكين ليمر به على حلقومه فيحوله الله في يده ، حتى رمى به وترامى بين يديه تائباً ، ولولا التطويل لأظهرنا من أمره وأمر غيره ممن لم نذكره عجائب من إشاراته وما وقع بيننا وبينه من المسائل الإلهية في المواقف وغيرها ، ولنا فيه أبيات لا نذكرها الآن .

يكن » فلا يبقى له اثر في عين الوجود ، فيكون مسلوب الأوصاف ، وذلك حال التنزيه، « ويبقى من لم يزل » على ما هو عليه عينه ، وهو الغني عن العالمين ، فإن العالم ليس سوى الممكنات ، وهو تعالى غني عنها ان تدل عليه ، فإن الممكنات في اعيانها الثابتة مشهودة للحق ، والحق مشهود للأعيان الممكنات **بعينها وبصرها الثابت لا الموجود ،** فهو يشاهدها ثبوتاً ، وهي تشهده وجوداً ، ومن يرى ان الأعيان اتصفت بالوجود واستفادته من الحق تعالى ، وانها واحدة بالجوهر وإن تكثرت ، وأن الأحوال يكسوها الحق بها مع الانفاس ، إذ لا بقاء لها إلا بها ، فالحق يجددها على الأعيان في كل زمان ، فهو يرى وجود أعيان الممكنات وآثار الأسماء الإلهية فيها وإمداد الحق لها بتلك الآثار لبقائها ، فإذا قال هذا « حتى يفنى من لم يكن » يعني تفنى تلك الآثار في الأعيان القابلة له عن صاحب هذا الشهود حالاً ، والأمر في نفسه موجود على ما هو عليه لم يفن في نفسه ، كما فني في حق هذا القائل به ، فلا يبقى له مشهود إلا الله تعالى ، وتندرج الموجودات في وجود الحق ، وتغيب عن نظر صاحب هذا المقام ، كما غابت أعيان الكواكب عن هذا الناظر بطلوع النير الأعظم الذي هو الشمس ، فيقول بفناء أعيانها من الوجود وما فنيت في نفس الأمر ، بل هي على حالها في إمكانها ، ومن أصحاب هذا المقام من يجعل أمر الخلق مع الحق كالقمر مع الشمس في النور الذي يظهر في القمر ، وليس في القمر نور من حيث ذاته ، ولا الشمس فيه ولا نورها ، ولكن البصر كذلك يدركه ، فالنور الذي في القمر ليس غير الشمس ، كذلك الوجود الذي للممكنات ليس غير وجود

ومنهم رضي الله عنهم شيخنا وإمامنا **أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكومي العبسي** رضي الله عنه ، صحب أبا مدين رضي الله عنه ولقي رجالاً بهذه البلاد ، سكن ديار مصر مدة وتأهل بمدينة إسكندرية ، رغب في مصاهرته أبو طاهر السِّلفي ، عرضت عليه ولاية فاس فأبى ، له في الطريق قدم راسخة ، كان أبو مدين رضي الله عنه ــ لسان هذه الطريقة ومحييها ببلاد المغرب ــ يقول في هذا أبي يعقوب : هو مثل المرسى القوي للسفينة ، كان كثير الأوراد يخفي صدقته ، يكرم الفقير ، ويذل الغني ، ويسارع في قضاء حاجة الفقير بنفسه ، دخلتُ تحت أمره فربّى وأدّب فنعم المؤدب ونعم المربي[1] ، رآه صاحبنا بدر الحبشي وبات عنده ، سمعته يقول : إذا شاء الشيخ

الحق ، كالصورة في المرآة ، فما هو الشمس في القمر ، وما ذلك النور المنبسط ليلاً من من القمر على الأرض بمغيب نور الشمسٍ غير نور الشمس وهو يضاف إلى القمر ، ولكل مقالة وجه من الصحة ، والكشف يكون في كل ما ذكرناه ، فمن تجلى له في الصور المعنوية قال : « بفناء الرسم » مثل ابي العباس ابن العريف الصنهاجي ، ومن تجلى له في الصور الطبيعية والعنصرية قال « باللذة في المشاهدة » مثل أبي مدين ، ومن قال « بعدم اللذة في المشاهدة » كان التجلي له في الصور الروحانية كالقاسم بن القاسم ، وكل صدق وبما شاهد نطق .

وعند اكثر القوم أن الأعلى ما يَفني لا ما يبقى ، وعندنا ان الأعلى ما يفني ما ينبغي ، ويبقي ما ينبغي في الحال التي ينبغي والوقت الذي ينبغي ، فإنه تعالى أفنى وأبقى .

ف ح ٢٠١/٢ ــ ح ٣٩٥/٣ ــ راجع كتابنا « شرح كلمات الصوفية »

(١) أبو يعقوب الكومي

ما راضني احد من مشايخي سوى شيخنا ابي يعقوب يوسف بن يخلف الكومي ، فانتفعت به في الرياضة وانتفع بنا في مواجيده ، فكان لي تلميذا واستاذاً ، وكنت له مثل ذلك ، وكان الناس يتعجبون من ذلك ، ولا يعرف واحد منهم سبب ذلك ، وذلك سنة ست وثمانين وخمسمائة ، فإنه كان قد تقدم فتحي على رياضتي ، وهو مقام خطر ، فأفاء الله عليّ بتحصيل الرياضة على يد هذا الشيخ جزاه الله عني كل خير .

ولقد كنت انقطعت في القبور مدة منفردا بنفسي ، فبلغني أن شيخنا يوسف بن يخلف الكومي قال : إن فلاناً وسماني ترك مجالسة الأحياء وراح يجالس الأموات ، فبعثت إليه ، لو جئتني لرأيت من اجالس ، فصلى الضحى واقبل إليّ وحده ، فطلب

أخذ بيد المريد من أسفل سافلين وألقاه في عليين في لحظة واحدة ، كان كبير الهمة الغالب عليه طريق الملامية[١] ، قلما تلقاه إلا مقطب الوجه وإذا أبصر فقيراً تبرق أسارير وجهه ، رأيته يدني الفقير من نفسه حتى يجلسه على فخذه ، يخدم أصحابه بنفسه ، رأيته في النوم وقد انشق صدره وفيه مصباح يضيء كأنه الشمس ، يقول : يا محمد هات ، فأتيته بحقين أبيضين كبيرين ، فتقايا فيهما لبنا حتى ملأهما ، ثم قال : اشرب فشربت ، جل ما أنا فيه من بركته وبركة أبي محمد الموزوري وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، أول مسألة ألقاها علي في أول ساعة رأيته فيها وقد أقبل عليّ

علي ، فوجدني بين القبور قاعداً مطرقا ، وأنا أتكلم على من حضرني من الأرواح ، فجلس إلى جانبي بأدب قليلا قليلا ، فنظرت إليه فرأيته قد تغير لونه وضاق نفسه ، فكان لا يقدر يرفع رأسه من الثقل الذي نزل عليه ، وأنا أنظر إليه وأبتسم ، فلا يقدر أن يتبسم لما هو فيه من الكرب ، فلما فرغت من الكلام وصدر الوارد ، خفف عن الشيخ واستراح ورد وجهه إليّ ، فقبل بين عيني ، فقلت له : يا أستاذ من يجالس الموتى ؟ أنا أو أنت ؟ قال : لا والله بل أنا أجالس الموتى ، والله لو تمادى عليّ الحال لفطست ، وانصرف وتركني ، فكان يقول : من أراد أن يعتزل عن الناس فليعتزل مثل فلان .

ف ح ١/٦١٦ — ح ٣/٣٥ .

(١) الملامتية

الملامية هم الرجال الذين حلوا من الولاية أقصى درجاتها ، وما فوقهم إلا درجة النبوة ، وهذا يسمى مقام القربة في الولاية ، وآيتهم من القرآن « حور مقصورات في الخيام » ينبه بنعوت نساء الجنة وحورها على نفوس رجال الله ، الذين اقتطعهم إليه، وصانهم وحبسهم في خيام صون الغيرة الإلهية في زوايا الكون ، أن تمتد إليهم عين فتشغلهم ، لا والله ، ما يشغلهم نظر الخلق إليهم ، لكنه ليس في وسع الخلق أن يقوموا بما لهذه الطائفة من الحق عليهم ، لعلو منصبها ، فتقف العباد في أمر لا يصلون إليه أبداً ، فحبس ظواهرهم في خيمات العادات والعبادات من الأعمال الظاهرة ، والمثابرة على الفرائض منها والنوافل ، فلا يعرفون بخرق عادة ، فلا يعظمون ، ولا يشار إليهم بالصلاح الذي في عرف العامة ، مع كونهم لا يكون منهم فساد ، فهم الأخفياء الأبرياء الأمناء في العالم الغامضون في الناس ، فيهم قال رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل : « إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ(١)، ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه،

---

(١) أي خفيف الظهر .

بكليته أن قال : ما الذنب الذي يأتيه المار بين يدي المصلي حتى يود أن يقف أربعين خريفاً ؟ فأجبته على ذلك على حد ما وقع لي فسر" بذلك[1] ، فكنت إذا قعدت بين يديه وبين يدي غيره من شيوخنا أرعد مثل الورقة في يوم الريح الشديد ، ويتغير

وأطاعه في السر والعلانية ، وكان غامضا في الناس » يريد انهم لا يعرفون بين الناس بكبير عبادة ، ولا ينتهكون المحارم سراً وعلناً ، قال بعض الرجال في صفتهم لما سئل عن العارف قال : مسود الوجه في الدنيا والآخرة ، يريد باسوداد الوجه استفراغ أوقاته كلها في الدنيا والآخرة في تجليات الحق له ، ولا يرى الإنسان عندنا في مرآة الحق إذا تجلى له غير نفسه ومقامه ، وهو كون من الأكوان ، والكون في نور الحق ظلمة ، فلا يشهد إلا سواده ، فان وجه الشيء حقيقته وذاته ، ولا يدوم التجلي إلا لهذه الطائفة على الخصوص ، فهم مع الحق في الدنيا والآخرة على ما ذكرناه من دوام التجلي ، وهم الأفراد ، واما إن اراد بالتسويد من السيادة ، واراد بالوجه حقيقة الإنسان ، أي له السيادة في الدنيا والآخرة فيمكن .

فالملامية هم أرفع الرجال ، وتلامذتهم اكبر الرجال ، يتقلبون في اطوار الرجولية، وليس ثم من حاز مقام الفتوة والخلق مع الله دون غيره سوى هؤلاء ، فهم الذين حازوا جميع المنازل ، وراوا ان الله قد احتجب عن الخلق في الدنيا ، وهم الخواص له ، فاحتجبوا عن الخلق لحجاب سيدهم ، فمكانتهم في الدنيا مجهولة العين ، لا يتميزون عن احد من خلق الله بشيء ، فهم المجهولون ، حالهم حال العوام ، واختصوا بهذا الاسم لأمرين ، الواحد يطلق على تلامذتهم لكونهم لا يزالون يلومون انفسهم في جنب الله ، ولا يخلصون لها عملا تفرح به ، تربية لهم ، لأن الفرح بالأعمال لا يكون إلا بعد القبول ، وهذا غائب عن التلامذة ، واما الأكابر فيطلق عليهم في ستر احوالهم ومكانتهم من الله ، فهذه الطائفة لو ظهرت مكانتهم من الله للناس لاتخذوهم آلهة ، فلما احتجبوا عن العامة بالعادة انطلق عليهم في العامة ما ينطلق على العامة من الملام فيما يظهر عنها مما يوجب ذلك . وكان المكانة تلومهم حيث لم يظهروا عزتها وسلطانها ، فهذا سبب إطلاق هذا اللفظ في الاصطلاح عليهم ، وهي طريقة مخصوصة لا يعرفها كل احد ، انفرد بها اهل الله ، وليس لهم في العامة حال يتميزون بها ، فالشريعة كلها هي احوال الملامية .

ف ح ١/١٨١ — ح ٣/٣٥

(١) المار بين يدي المصلي

اقول إن المار مأثوم في الصلاة ، وإن المصلي مأمور ان يحول بينه وبين المرور ، ويدفعه ما استطاع ، فإن لم يفعل ولم يدفعه فالمصلي مأثوم ، والصلاة صحيحة بكل

نطقي وتتخدر جوارحي حتى يعرف ذلك في حالي ، فيؤنسني ويطمع أن يباسطني فلا يزيدني ذلك إلا مهابة وإجلالا ، كان رضي الله عنه يحبني ولا يظهر ذلك لي ، ويقرب غيري ويطردني ، ويصوب كلام غيري ويوبخني في المحافل والمجالس ويشتمني ، حتى كان أصحابي الذين معي ينسبوني إلى قلة الهمة وهم معي تحت نظره وفي خدمته ، فما برع من تلك الجماعة غيري ولله الحمد ، وكان الشيخ رضي الله عنه يقول ذلك ، ومما شاهدته منه رضي الله عنه ولم أكن قط رأيت رسالة القشيري ولا غيرها ، ولا كنت أدري لفظة التصوف على ماذا تنطلق ، فركب يوما فرسه وأمرني وآخر من أصحابه أن نخرج إلى المنتيار ، وهو جبل عال على فرسخ من إشبيلية ، فخرجت أنا وصاحبي عند فتح باب المدينة ، وفي يد صاحبي رسالة القشيري وأنا لا أعرف ما القشيري ولا رسالته ، فصعدنا الجبل فوجدناه قد سبقنا وغلامه ممسك فرسه ، فدخلنا مسجداً في أعلى ذلك الجبل فصلينا واستدبر القبلة وأعطاني الرسالة وقال لي : اقرأ ، فلم أقدر أن أضم كلمة إلى كلمة أخرى ، والكتاب يسقط من يدي من الهيبة ، فقال لصاحبي : اقرأ ، فأخذ صاحبي فقرأ ، وتكلم عليه الشيخ ، فلم نزل كذلك حتى صلينا العصر ، فقال الشيخ : ننزل إلى المدينة ، فركب فرسه وألزمت يدي ركابه ، فجعل يحدثني بفضائل الشيخ أبي مدين وكراماته رضي الله عنه ، وأنا قد فنيت في كلامه فلا أحس بنفسي ، وأرفع إليه وجهي في أكثر الأوقات فأراه ينظر

وجه ، والحد الذي يلزمه دفعه عنه هو حد موضع جبهته في سجوده من الأرض ، فإذا حال بينه وبين موضع سجوده فذلك المأمور بأن يدفعه ويقاتله ، وما زاد على ذلك فلا يلزم المصلي دفعه ولا قتاله ، والإثم يتعلق بالمار في القدر الذي يسمى « بين يديه » عند العرب ، إذ لم يحد الشارع في ذلك شيئا ــ الاعتبار في ذلك ــ الحق قبلة العبد ، فمن مر بين الله وبين عبده بنفسه لا بربه فوباله يحور عليه ، وللمصلي الذي هو المناجي أن ينبهه ويرده عن رؤية نفسه في ذلك ، فإنه مأمور بالنصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين ولائمتهم ولكافة الناس اجمعين ، والمار لا يخلو من ان يكون ذا إرادة او لا يكون ، فإن لم يكن فلا شيء عليه ، وإن كان ذا إرادة فلا يخلو إما أن يكون مجبوراً في مروره بين يديه في عين اختياره عنده ، أو لا يكون إلا مختاراً ، فالمختار يأثم ، والمجبور ليس بآثم .

ف ح ١/٤٧٦

إلي ويبتسم ، ويهمز فرسه فيسرع وأسرع معه ، ثم وقف وقال لي : انظر ما تركت خلفك ، فنظرت فرأيت الطريق الذي مشيته كله شوكا يصل إلى معقد الإزار وشوكاً آخر منبسطا في الأرض ، قال : انظر إلى قدميك ، فنظرت إلى قدمي فلم أر بهما أثراً، قال : انظر إلى ثوبك ، فنظرت فلم أر أثراً ، قال : هذا من بركة ذكرنا أبا مدين رضي الله عنه ، الزم الطريق يا بني تفلح ، وهمز فرسه وتركني ، أخذت منه مسائل كثيرة ، ورأيت عنده ما لم أر من غيره ، إذا أعطى المجاهدة للمريد يعملها معــه ، وكذلك للاثنين والثلاثة يعمل مع هذا ومع هذا فتراه لا يفتر ، قعدت معه بعد العصر فرآني أتقلق للخروج فقال لي : ما شأنك ؟ فقلت له : على أربع حوائج أريد أن أقضيها ، ولي أيام أروم قضاءها وأتعمل فيها ولا أجد الأشخاص الذين الحوائج بأيديهم،فتبسم وقال : إن تركتني ومشيت ما تنقضي لك منها حاجة ، فاقعد معي أذكر لك من أحوال أبي مدين رضي الله عنه وأنا أضمن قضاءها ، فقعدت ، فلما حان وقت المغرب قال لي: اخرج الساعة إلى منزلك فإنك لا تصلي المغرب حتى تنقضي الحوائج كلها ، فخرجت والشمس قد غربت ، فوصلت إلى منزلي ومؤذن المغرب يؤذن ، فوالله ما أحرمت بالصلاة للمغرب حتى انقضت حوائجي ، وكان من صدقي في صحبته أني أتمناه بالليل في بيتي لمسألة تخطر لي فأراه أمامي ، فأسأله ويجيبني ثم ينصرف ، فأخبره بذلك بكرة ، ويتفق لي معه هذا بالنهار في منزلي إن اشتهيته ، ومناقبه وكراماته وإشاراته أكثر من أن تحصى ، فلنضرب عنها في هذه الرسالة صفحاً ، ومن شعري فيه حين فارقته وأنا متوجه إلى مراكش وهو بسلى قاطن :

إن قيل من في الوجود اشرف	سيدنــا يوســف بــن يخلف
رب المعــالي قلب المعــاني	ارق شخص قلبــا والطف
اكــرم من في الوجــود كفــا	اعظمهــم رافــة واعطــف
اثبتهــم في النــزال جــاشــا	اشــدهــم سطــوة واعنــف
أكبــرهــم همــة وحــالا	أشــدهــم للعــلا واكشف
اوسعهــم في العــلوم بــاعــا	اشــرحهم باطنــا واعــرف
اكملهــم نسبــة ونعتــا	ارفعهــم منصبــا واشــرف

اطـولهـم في الصـــلا ذراعـا　　اعـلاهـم غـايـة واوقف
الطفهـم في القـلوب معنـى　　اوضحهـم حكمـة واوصـف
قـد يكسف البـدر في عـلاه　　وبـدر مولاي ليس يكسـف

والقصيدة طويلة أودعتها كتاب إنزال الغيوب على مراتب القلوب فيما لنا في هذه الطريقة من نظم ونثر خاصة ، أفادني شيخنا هذا مسألة الوصال [1] ، وأنا سيد

---

(١) الوصال

خرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : نهاهم النبي ﷺ عن الوصال رحمة لهم ، قالوا : إنك تواصل ، قال : « إني لست كهيئتكم ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني » فكوشف ﷺ بحال تلك الجماعة التي خاطبهم أنهم ليست لهم هذه الحال ، وأنه ما راد بذلك انه مختص به دون امته ، فإنا قد وجدناه ذوقا من نفوسنا في وصالنا ، نبتنا في حال الوصال فأطعمنا ربنا وسقانا في مبيتنا ليلة وصالنا ، فاصبحنا اقوياء لا نشتهي طعاماً ، ورائحة الطعام الذي اكلناه الذي اطعمناه ربنا يشم منا ، ويتعجب الناس من حسن رائحته ، فسألونا من اين لك هذه الرائحة في هذا الذي طعمت ؟ فما رأينا مثلها ! فمنهم من اخبرنه بالحال ومنهم من سكت عنه ، فلو كان هذا خصوصا برسول الله ﷺ ما نلناه ، فالوصال لمن كان حاله في إمساكه يطعمه ربه ويسقيه في مبيته في حال كونه ليس بآكل ولا شارب في ظاهره ، فهو مفطر وإن كان صائما ، قال ﷺ « لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني » فنفى أن تشبهه تلك الجماعة التي خاطبهم ، فلم يكن لهم هذه الحالة ، وما اراد الأمة ، لوجود من ذاق هذا الحال ، وإن لم يكن ممن يطعمه ربه ويسقيه في حال وصال صومه فهو متطفل على من هذه صفته ، وهو كلابس ثوبي زور ، ولذلك يكره له الوصال إذا لم تكن له هذه الصفة حالا يشهدها ذوقاً في نفسه ويظهر اثرها عليه في يقظته .

وحكمة الوصال ، أن الحق قال الصوم له ، وامرنا بما هو له ، وجعله عبادة لا مثل لها ، فإذا فرق بالفطر بين اليومين فما واصل ، فإذا لم يفطر تحقق الوصال ، فيشير بذلك إلى إيصال صوم العبد بالصوم المضاف إلى الحق ، ليبين له ان للعبد ضربا من التنزيه بالصوم ، كما أن للحق من الصوم التنزيه ، فهو إشعار حسن للعارفين، وكذا هو في نفس الأمر ، فإن العبد له تنزيه يخصه .

ف ح ١/٦٣٨ ، ٦٥٧

ولد آدم (١) ، وآدم ومن دونه تحت لوائي (٢) ، والتدبير نصف العيش ، وإذا أحب

---

(١) انا سيد ولد آدم ولا فخر ـ الحديث

ولا فخر بالراء وفي رواية ولا فخز بالزاي وهو التبجح بالباطل ، قال ﷺ حين أمر أن يعرّف الناس بمنزلته « انا سيد ولد آدم » هذا الذي قيل له قل ، ثم قال من نفسه « ولا فخر » يقول إني ما قصدت بهذا الكلام الفخر ، ولكن عرفتكم بالمقام الإلهي عن الإذن ، فهذا القول من الرسول ﷺ عن امر إلهي ، يؤذن ذلك القول بمرتبة القائل عند الله ، ولما اخبر عليه السلام بذلك وعم بقوله « انا سيد الناس يوم القيامة » قال « ولا فخر » اي ما قصدت الفخر ، اي هكذا امرت ان اعرفكم ، فإنه معلوم بالمقام والحال انه سيد الناس ، فثبت له ﷺ السيادة والشرف على أبناء جنسه من البشر ، ولم يؤثر فيه ﷺ المراتب ، لأن من علم ان الشرف للرتب لا لعينه ، لم يغالط نفسه في انه أشرف من غيره ، لذلك ذكر ﷺ الرتبة التي لها الفخر الذي هو ﷺ مترجم عنها وناطق بلسانها ، فذكر رتبة الشفاعة والمقام المحمود ، فالفخر للرتبة ، ولا فخر بالذات إلا لله وحده ،و لذلك قال ﷺ « ولا فخر » اي اقولها ولا اقصد الافتخار على مَن بقي من العالم ، فإني وإن كنت أعلى المظاهر الإنسانية فانا اشد الخلق تحققا بعيني ، فليس الرجل من تحقق بربه ، وإنما الرجل من تحقق بعينه اي بعبوديته التامة « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » لما علم أن الله أوجده له تعالى لا لنفسه ، وما فاز بهذه الدرجة ذوقا إلا محمد ﷺ ، فما قصدت الافتخار عليكم بهذا التعريف ، ولكن انبأتكم به لمصالح لكم في ذلك ، ولتعرفوا منة الله عليكم برتبة نبيكم عند الله ، وكأنه ﷺ يقول مبيناً ، إني أعلم اني عبد الله كما انتم عبيد الله ، والعبد لا يفتخر على العبد إذا كان السيد واحداً ، فقصد ﷺ بذلك الإعلام وإراحة امته من التعب ، حتى لا تمشي في ذلك كما تمشي الأمم إلى نبي بعد نبي للشفاعة ، فتقتصر على محمد ﷺ بما اعلمها من ذلك وان الرجوع إليه في آخر الأمر ، فتميزت الأمة المحمدية عن سائر الأمم في ذلك الموطن ، اعني يوم القيامة ، حيث يكشف للنبيين عليهم السلام انهم كانوا نواب محمد ﷺ في الدنيا ، فيشفع فيهم ﷺ أن يشفعوا ، فإن شفاعته ﷺ في كل مشفوع فيه بحسب ما يقتضيه حاله من وجوه الشفاعة ، فلما امر الله رسوله ﷺ بتعريف مقامه يوم القيامة ، قيد ذلك فقال « انا سيد ولد آدم ولا فخر » اي ما قصدت الفخر عليكم بالسيادة ، بل اردت التعريف بشرى لكم ، إذ انتم مأمورون باتباعي ، وقد روي ولا فخز بالزاي ، اي ما قلته متبجحا ، وانا لست كذلك ، فإن الفخز التبجح بالباطل في صورة حق ،

الله عبداً ابتلاه (٣) ، وقلب القرآن يس ، ولم يسبقه أحد إلى هذه المسألة في بلادنا وغير ذلك مما لا أتذكره الآن ، فرضي الله عنه وأرضاه .

وانظر إلى صاحب القوة والتمكين في الأمر في ادبه وتحليه كيف تأدب مع أبيه وما ذكر غير إخوته ، فإن ربه أدبه .

ف ح ١/١٣٤ ، ١٧٣ — ح ٢/٧٢ ، ١٣٨ ، ٢١١ ، ٣٨٧ ، ٥٢٠ ، ٦٢٦

ح ٣/٢٣ ، ٨٩ ، ٢٢٦ ، ٣٢٦ ، ٣٦٦ ، ٤١٣ ، ٥٥٦ — ح ٤/٣٧١

(٢) آدم فمن دونه تحت لوائي ــ الحديث

قال ﷺ « فمن دونه » لأن الحمد لا يكون إلا بالأسماء ، وآدم عالم بجميع الأسماء كلها ، فلم يبق إلا أن يكون مَنْ هناك تحته ودونه في الرتبة ، لأنه لابد أن يكون مثنياً باسم ما من تلك الأسماء ، ولما كانت الدولة في الآخرة لمحمد ﷺ ، المؤتى جوامع الكلم ، وهو الأصل ، فإنه ﷺ أعلِم بمقامه فعلمه وآدم بين الماء والطين ، لم يكن بعد ، فكان آدم لما علمه الله الأسماء في المقام الثاني من مقام محمد ﷺ ، فكان قد تقدم لمحمد ﷺ علمه بجوامع الكلم ، والأسماء كلها من الكلم ، فمتى ظهر محمد ﷺ كان احق بولايته ولوائه ، فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الأصالة ، فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه ، ولواء الحمد هو حمد الحمد ، وهو أتم المحامد واسناها وأعلاها مرتبة ، لأنه لما كان اللواء يجتمع إليه الناس لأنه علامة على مرتبة الملك ووجود الملك ، كذلك حمد الحمد تجتمع إليه المحامد كلها ، فإنه الحمد الصحيح الذي لا يدخله احتمال ، ولا يدخل فيه شك ولا ريب أنه حمد ، لأنه لذاته يدل ، فهو لواء في نفسه ، وسمي لواء لأنه يلتوي على جميع المحامد ، فلا يخرج عنه حمد ، لأنه به يقع الحمد من كل حامد ، فكان يجمع ألوان المحامد كلها ، لهذا عم ظله جميع الحامدين ، ولما كانت رسالته ﷺ عامة وقال تعالى «وما ارسلناك إلا كافة للناس» فالناس بنو آدم، والناس امة محمد ﷺ من تقدم منهم ومن تأخر ، فكان قوله ﷺ إن بيده لواء الحمد ، لأن لآدم عليه السلام علم الأسماء ، ولمحمد ﷺ علم الثناء بها والتلفظ بالمقام المحمود ، فاعطي في القيامة لأجل المقام المحمود العمل بالعلم ، ولم يعط لغيره في ذلك الموطن ، فصحت له السيادة ، فقال « آدم فمن دونه تحت لوائي » وما له لواء إلا الحمد ، وهو رجوع عواقب الثناء إلى الله وهو قوله « الحمد لله » لا لغيره .

ف ح ٢/٨٨ — ح ٤/١٥٥ ، ٢٨٦

(٣) قال ﷺ « أشدكم بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل »

إن قلت المحبوب لا يكون معذّباً بشيء ، فلابد أن يحول المحب بين ما يؤلم محبوبه وبين محبوبه ، وإن لم يفعل ذلك فليس بمحب ولا ذلك محبوباً ، والله أحب أولياءه :

ومنهم رضي الله عنهم **صالح العدوي** رضي الله عنه ، كان بالله عارفا ومع الله في كل حالة واقفا ، تاليا لكتاب الله العزيز آناء الليل وأطراف النهار ، لم يتخذ مسكنا قط ولا تداوى قط ، كان يعمل على مقام السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب [1] ، كان لا يكلم أحداً يجالسه ، يأتي عليه أوقات يدخل في صلاة الضحى فلا يزال واقفا في الركعة الأولى حتى يقال له قد زالت الشمس ، كان إذا قام إلى الصلاة في اليوم الشديد البرد يلقي عنه ثيابه حتى يبقى في قميص واحد وسراويل وهو يتصبب عرقاً كأنما في ديماس ، له في صلاته زئير وهمهمة ، لا يُفقه ما يقول ، لا يدخر شيئا لغد البتة ، ولا يقبل ما لا يحتاج إليه لنفسه ولا لغيره ، كان يأوي ليله إلى

والمحب لا يؤلم محبوبه ، وليس احد باشد ألما في الدنيا ولا بلاء من أولياء الله ، رسلهم وانبيائهم واتباعهم المحفوظين المعانين على اتباعهم ، فمن اي حقيقة استحقوا هذا البلاء مع كونهم محبوبين ؟ قلنا : إن البلاء لا يكون أبداً إلا مع الدعوى ، فمن لم يدع أمراً لا يبتلى بإقامة الدليل على صدق دعواه ، فلولا الدعوى ما وقع البلاء ، فلما احب الله مَنْ أحب من عباده رزقهم من جملة ما رزقهم محبته من حيث لا يعلمون ، فوجدوا في نفوسهم حباً لله ، فادعوا انهم من محبي الله ، فابتلاهم من كونهم محبين لا من كونهم محبوبين ، وانعم عليهم من كونهم محبوبين ، وإنعامه دليل على محبته فيهم ، ولله الحجة البالغة ، فابتلاؤه إياهم لما ادعوه من حبهم إياه ، فلهذا ابتلى الله احبابه من المخلوقين ، فما ابتلى الله مَنْ ابتلى من عباده المحبوبين عنده من كونهم محبوبين ، فالمحبوب له الإدلال ، والمحب له الخضوع ، فالمحبوب لا يذوق بلاء .

ومن وجه آخر ، المحب لا يعذب محبوبه إلا على إيصال الراحة او على التاديب لأمر وقع منه على طريق الجهالة ، كما يؤدب الرجل ولده مع حبه فيه ، ومع هذا يضربه وينهره لأمور تقع مع استصحاب الحب له في نفسه .

ف ح ٢/٣٤٥ ، ٥٢٥ ، ٥٤٢

(1) خرج مسلم عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله ﷺ يدخل من امتي سبعون ألفاً بغير حساب ، قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : هم الذين لا يكتوون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : أنت منهم ، فقام رجل فقال : يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم قال : سبقك بها عكاشة .

مسجد أبي عامر المقري ، صاحبته سنين أكاد أعد كلامه معي من قلته ، كان في بعض السنين يتفقد من البلد إذا قرب عيد الأضحى ، فأخبرني فقيه شاهد من شهود البلد أنه يحضر الموسم بعرفات ، أخبره بذلك من شاهده ، كان له بنا تعلق وإلى جهتنا تأمل ، انتفعنا به ، أخبرني بأمور في حقي مما يتفق لي في المستقبل فرأيتها كلها ما غادرت منها كلمة ، خدمه أبو علي الشكاز ، لم يزل بإشبيلية على هذه الحالة أربعين سنة حتى مات بها ، فغسلناه ليلا وحملناه على رقابنا إلى مقبرته وتركناه وانفصلنا عنه حتى صلي عليه ودفنه الناس ، لم أر بعده على حاله مثله ، كانت حالته تشبه حالة أويس ، وله أخبار كثيرة يطول ذكرها[1] .

---

(1) **صالح العدوي**

هو صالح البربري ، وكان من رجال الاشتياق الخمسة ، وهم رجال الصلوات الخمس ، لا يفترون عن صلاة في ليل ولا نهار ، وهو من الأقطاب المدبرين أصحاب الركاب ، وهم من أكابر الأولياء الملامية ، ساح اربعين سنة ، ولزم بإشبيلية مسجد الرطند إلى اربعين سنة على التجريد بالحالة التي كان عليها في سياحته ، وكان بإشبيلية قد قال لي : يا ولدي إياك ان تذوق الخل بعد العسل ، فعلمت مراده ، وكان من أكبر من رايته من المنقطعين إلى الله تعالى ، بل المقتطعين ، ما رايت على قدمه مثله ، فجئت بكرة وقلت له ما كان من منظوم نظمته لا عن روية ولا تعمل ، وكان النظم الذي عملته في حالي :

كان مثل الخل من بعد العسل ... فمضى المصباح عني وافل
وبدت ظلمة ليل حالك ... اورثت في القلب أسباب العلل
قلت ربي قال لبيك فما ... تبتغيه ، قلت نورا بعمل
علم الحق الذي قد قلته ... قال باب مغلق قلت أجل
قلت هب لي نورك الخالص لي ... فبدا النور بلا ضرب مثل
في سمائي ثم ارضي ثم ما ... بين هذين إلى غير اجل
والذي يفهم قولي قد درى ... انني الأمر الذي منه نزل

فسر الشيخ بهذا النفس ، وقال : هذا من تجلي الغلس ، قلت له : صدقت كذلك كان ، قال : الحمد لله المنعم على كل حال ، لو علم الناس النعمة السارية في الأحوال ما فرقوا بين السراء والضراء واتحد الحمد ، قلت له : بل توحد ، فقال : صدقت يا ولدي واخطأ الشيخ ، فقبلت يده وقبل راسي .

ف ح ١/٢٦٠ — ح ٣/٤٨٨

ومنهم رضي الله عنهم **ابو عبد الله محمد الشرفي** رضي الله عنه ، كان يلازم الصلوات الخمس بجامع العديس بإشبيلية ، تورمت قدماه من طول القيام ، كان إذا وقف في الصلاة تنحدر دموعه على بياض لحيته كأنها اللؤلؤ ، سكن موضعاً نحو أربعين سنة ما أوقد فيه سراجاً ولا ناراً [1] ، بالغ في العبادة جهده ، لقيني يوماً وأنا واقف على معتوه عندنا من جملة الناس فلم أشعر به حتى أخذ بأذني واخرجني من الحلقة وقال لي : أنت تفعل هذا !؟ فخجلت ودخلت معه الجامع ، كان يخبرني بالشيء قبل كونه فيكون كما يخبرني ، لم يتخذ في المسجد قط موضعاً معيناً ولا صلى قط في موضع واحد من المسجد صلاتين ، لا يتجرأ أحد عليه أن يقول له : ادع لي ، فالذي يريد أن ينتفع بدعائه يراقبه إذا دخل المسجد أين يصلي فيه فيحرم بالصلاة إلى جانبه ، فإذا جلس يدعو صاحب الحاجة بما يريده ويعلن ، فيقول الشيخ «آمين» خاصة ، هكذا كانت دعوته ، وسألته أنا في الدعاء فدعا لي ، وقد بدأني بالدعاء والحمد لله ، وكلمني قبل أن أكلمه ، فإني كنت أهابه وأنتفع به ، وعاينت من بركاته أنه لما اقترب موته أخلى مسكنه وقال : أريد سفراً ، فخرج إلى القرية التي كان منها في الشرف على فرسخين ، فلما وصل إليها مات بها رحمه الله تعالى ، ونظر يوماً إلى غلام صغير على رأسه مكتل فيه رازيانج [2] ورآه متحيراً فأشفق عليه ، واستدعاه والناس يرونه فقال : ما شأنك يا ولدي ؟ قال : يا عم مات أبي وترك أولاداً صغاراً وليس لنا شيء ، فأصبحنا يومنا هذا وليس عندنا ما نأكل ، وكان عند والدتي هذا الرازيانج ، فقالت : يا ولدي خذه وبعه وسق لنا به قوت اليوم إن كفى ، فبكى الشيخ وأدخل يده في المكتل وأخذ منه حبات وقال : هذا شيء طيب يا صبي ، قل لأمك عمي الشرفي أخذ منه قليلا تجعلني منه في حل ، فأخذ بعض التجار المكتل وقال: شيء أخذ منه هذا الشيخ حلت فيه البركة ، فمشى إلى أم الصبي ودفع لها في المكتل سبعين ديناراً مومنية ، وإنما قصد الشيخ هذا رحمة بهم رضي الله عنه .

---

(١) ابو عبد الله الشرفي ، كان صاحب خطوة ، بقي نحوا من خمسين سنه ما اسرج له سراجاً في بيته ، رايت له عجائب .

ف ح ١/٢٠٦

(٢) الرازيانج هو الشمر .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو يحيى الصنهاجي** رضي الله عنه كان قد عمي وقد أسن ، عاشرته فرأيته مجتهداً في العبادة ، وله قدم راسخة في الرياضات والإشارات كبير الشأن ، ما رأيته قط يقعد إلا على كرسي صغير . مات عندنا بإشبيلية رحمه الله وظهر له كرامة بعد موته ؛ فإن الجبل الذي دفناه فيه عال لا يخلو عن الريح أبداً . فسكن الله الريح في ذلك اليوم واستبشر الناس وباتوا على قبره يقرؤون القرآن . فلما نزل الناس هبت الريح على عادتها ، كانت صحبتي إياه شهورا قبل موته ، كان من أهل السياحات ملازماً للسواحل مؤثراً للخلوة رضي الله عنه (١) .

ومنهم رضي الله عنهم **أبو الحجاج يوسف الشبربلي** من شبربل قرية بالشرف فرسخين من إشبيلية كان أكثر إقامته بالبادية ، صحب أبا عبد الله ابن المجاهد كان يعيش من عمل يده ، دخل الطريق قبل الحلم ولم يزل عليها حتى مات ، كان ابن المجاهد إمام هذه الطريقة ببلادنا يقول التمسوا الدعاء من أبي الحجاج الشبربلي . وكان يكبره إذا زاره؛ أخبرني أبو الحجاج هذا بنفسه قال كانت زيارتي لابن المجاهد شيخنا كل يوم جمعة ؛ فزرته في يوم جمعة على عادتي . فوجدته واقفا على البناء يبني حائط داره التي يسكن بها وكان قد تهدم فبناه ليستتر عياله . فسلمت عليه . فقال : خالفت عادتك يا أبا الحجاج ، جئت يوم الخميس . فقلت له : بل هو يوم الجمعة ، فضرب يداً على يد وصاح : أواه هذا ما فعل الضروري الذي لابد منه فكيف لو زدنا ، وناح وبكى على نفسه وتحسر على وقته . وكان أبو الحجاج متى ذكر لي هذه الحكاية يبكي ويقول هكذا تكون الرجال يبكون على فوات حظوظهم من الحضور مع الله ، كان شيخنا هذا أبو الحجاج كبير الشأن لم يزل يأكل من عمل يده حتى ضعف عن العمل فصار يأكل من الفتح . وكان لما أسن وثقل عن الحركة يبكي ويقول : يا بني فتح الله علي باب قصد الناس إلي وزيارتهم . وعرض بي للفتن ومن أنا ؟ ويا ليتني سلمت ووددت أن أجد قوة حتى أزور الناس في ديارهم ولا

---

(١) **ابو يحيى الصنهاجي**
ذكر في الفتوحات ح ١/٢٠٦

يجيؤون إليّ ، وكان رحمة للعالم ، كان إذا دخل عليه عمال السلطان يقول لي : يا بني هؤلاء هم أعوان الحق المشتغلون بأسباب العالم ، ينبغي للناس أن يتفرغوا للدعاء لهم أن يجري الله الحق على أيديهم ويعينهم ، وكان يقبل من السلطان ، ما دخل عليه أحد قط وفي بيته مأكول إلا جعله أمام الداخلين كثروا أو قلوا وكثر الطعام أو قل ؛ لا يترك شيئاً يكون له البتة ، ودخل عليه جماعة فقال لي : يا بني أنزل لهم المكتل ؛ فأنزلته ، فلم أجد فيه غير ملء الكف حمصاً فجعلته بين أيديهم ، ورأيت له بركات كثيرة ، وكان ممن يمشي على الماء (١) ، كان له بداره بالقرية بئر يستقي منها لوضوئه؛ فرأينا بجانب البئر شجرة زيتون قد علت وأورقت وحملت ، جسمها غليظ ؛ فقال له صاحبي : يا سيدنا لم غرست هذه الزيتونة في هذا الموضع وضيقت بها على البئر؟ فالتفت إلينا ونظر وكان قد انحنى ظهره من الكبر ، فقال : إني ربيت في هذه الدار من صغري، ووالله ما رأيت قط هذه الزيتونة إلا الآن، وكان بهذه المثابة من الاشتغال بقلبه ، ما دخلت عليه قط ولا غيري إلا وجدته قارئاً في المصحف ، لم يمسك كتاباً غير المصحف حتى مات ، وكانت له هرة سوداء لا يستطيع أحد أن يمسكها ولا يلقي يده عليها وكانت ترقد في حجره ، وكان يقول لي : لهذه الهرة تمييز لأولياء الله ، فهذا الفرار الذي ترى فيها ما هو سدى ، فقد جعلها الله تأنس بالأولياء ، فشاهدتها مراراً عنده فيدخل إنسان فتحك خدها في رجله وتتعلق به ، ويدخل آخر فتنفر منه ؛ ولقد دخل عليه شيخنا أول مرة دخل عليه ، أعني أبا جعفر العريبي رحمه الله تعالى الذي ذكرته أولا ، وكانت الهرة في البيت الآخر ، فخرجت من البيت ونظرت إلى شيخنا أبي جعفر وفتحت يديها على عنقه فعانقته ومرغت وجهها على لحيته ؛ فقام إليه أبو الحجاج حتى أجلسه ولم يقل شيئاً ، فأخبرني أبو الحجاج أن ذلك الفعل

---

(١) ابو الحجاج الشبربلي

من قرية يقال لها شبربل بشرق الاندلس ، كان ممن يمشي على الماء وتعاشره الارواح ، وكان من أهل الورع ، متحقق بمنزل نفس الرحمن .

ف ح ١/٢٠٦ ، ٢٧٤

ما رآها فعلته قط مع غيره ، ولم تزل عنده حتى خرج من عنده ، وجاءه رجل وأنا عنده في جماعة وفي عينيه وجع شديد يصيح منه مثل النفساء ، فدخل عليه وقد شق على الناس صياحه فاصفر وجه الشيخ وارتعد ، فرفع يده المباركة ووضعها على عينيه فسكن الوجع من حينه واضطجع الشخص كأنه الميت ، ثم قام وخرج مع الجماعة وما به من بأس ، وكان له صاحب من صالحي مؤمني الجن أبداً لا يبرح من عنده ، دخلت عليه مع شيخنا أبي محمد رضي الله عنهما فقلت يا سيدنا هذا من أصحاب أبي مدين ، فتبسم الشيخ وقال : عجب !! أمس كان عندنا أبو مدين رضي الله عنه نعم الشيخ ، وأبو مدين رضي الله عنه إذ ذاك ببجاية وبينهما مسيرة خمسة وأربعين يوماً ، فكان كشفاً بينهما ، وكانت هذه الحالة كثيراً تتفق لي مع أبي يعقوب ، فإن أبا مدين كان قد سكن عن الحركة ، وأحفظ من أخباره مما شاهدته كثيراً تضيق هذه العجالة عنه ، وهكذا كل من أذكره وإنما أذكره ليُعلم أن الزمان لا يخلو من الرجال .

ومنهم رضي الله عنهم **أبو عبد الله محمد بن قسوم** رضي الله عنه ، صحب ابن المجاهد ، وقرأ عليه حتى مات ، واستخلفه في موضعه فجرى على حالته وزاد ، فجمع بين العلم والعمل ، وكان مالكي المذهب قائلا بشرف العلم ومرتبته ، صحبته وقرأت عليه ما يصلح لي في طهارة وصلاة وسمعت عليه ، كان دعاؤه في خاتمة مجلسه أبداً « اللهم أسمعنا خيراً وأطلعنا خيراً ، وارزقنا اللهم العافية وأدمها لنا ، واجمع اللهم قلوبنا على التقوى ووفقنا لما تحبه وترضاه ، ربنا لا تؤاخذنا إلخ .. وخواتم البقرة » وهو الدعاء الذي التزمناه في خواتم مجلسنا ، ورأيت النبي ﷺ في المنام بالحرم الشريف وقارئا يقرأ عليه صحيح البخاري ، فلما فرغ دعا بهذا الدعاء فزدت عليه غبطة ، كان رضي الله عنه من الجد والاجتهاد غاية وكان معتدل العبادة ، التزم وظائف عمّر بها أوقاته ، لم يزل محافظاً عليها حتى الآن ، له زمام يقيده كل يوم ، كان كل ليلة يحاسب نفسه فإذا وجد خيراً يحمد الله ، وإذا وجد غير ذلك يقابله بما يجب له من الاستغفار والتوبة وما يجري مجرى ذلك ، وكان يعيش من خياطة القلنسيات ، فقعد يوماً وقد فرغت نفقته فأخذ المقص وأسباب شغله ، فسمع الباب

قد فتح ثم أغلق ، فخرج فلم يجد أحداً وقد رُمِيَ له بستة دنانير ، فأخذها ودخل ورمى المقص في البئر وقال : الله يدبر عيشي وأنا أدبره وأتعنى فيما ضُمِنَ لي ، الرزق يطلبك لا أنت تطلبه ، فلازم باب الفتح وترك الحرفة إلى الآن ، قسم ليله ونهاره على ما أقول لك ، إذا صلى الصبح ذكر الله حتى تطلع الشمس فيركع ركعتين ويدخل منزله ، فإذا لم يكن صائماً أخذ شيئاً من الغذاء وصلى ضحاه ونام يسيراً ، ثم يقوم فيسبغ الوضوء ، فإن كان له تقييد قيده وإلا ذكر الله ، فإذا جاء وقت الظهر فتح المسجد وأذن ودخل منزله يتنفل ويذكر الله تعالى إلى وقت دخول الصلاة متمكناً ، يخرج إلى المسجد يقيم الصلاة لا يتنفل ، يتمايل في محرابه تمايل النسوان مما يجد في باطنه من الوجد بكلام الله تعالى ، فإذا سلم خرج وتنفل راتبة الظهر وأخذ المصحف ففتحه على ركبته ومشى بيده على حروفه وعيناه في المصحف يرتل القرآن بحنان وتدبر حتى يتم خمسة أجزاء وقد حان العصر ، فأذن ودخل منزله يتنفل حتى تجتمع الجماعة فيصلي بهم ، ثم يدخل منزله يذكر الله حتى تجيء المغرب ، فيخرج يؤذن ويصلي ويدخل بيته ، فيجيء بين العشاءين ، فإذا جاء وقت العشاء أو قربها أسرج القنديل في المسجد وأذن ودخل منزله ويحاسب نفسه في حركاته وألفاظه وجميع ما يعلم أن الملك يقيده عليه، فتكون حالته على حسب ما يجده في صحيفته[1]

---

(١) محاسبة النفس

أبو عبد الله بن المجاهد ، وابو عبد الله بن قسوم ، بإشبيلية من اقطاب الرجال النياتيين ، مقامهم محاسبة النفس ، لما شرعنا في هذا المقام تأسيا بهما وبأصحابهما ، وامتثالا لأمر رسول الله ﷺ الواجب امتثاله في امره « حاسبوا انفسكم » وكان اشياخنا يحاسبون انفسهم على ما يتكلمون به وما يفعلونه ، ويقيدونه في دفتر ، فإذا كان بعد صلاة العشاء دخلوا في بيوتهم ، حاسبوا انفسهم واحضروا دفترهم ، ونظروا فيما صدر منهم في يومهم من قول وعمل ، وقابلوا كل عمل بما يستحقه ، إن استحق استغفاراً استغفروا ، وإن استحق توبة تابوا ، وإن استحق شكراً شكروا ، إلى ان يفرغ ما كان منهم في ذلك اليوم ، وبعد ذلك ينامون ، فزدنا عليهم في هذا الباب بتقييد الخواطر ، فكنا نقيد ما تحدثنا به نفوسنا ، وما تهم به ، زائداً على كلامنا وافعالنا ،

ثم يقوم إلى سريره فينام ، فإذا مضى من الليل جزء قام ، فإن كان أصاب أهله اغتسل ودخل مصلاه يترنم بالقرآن ويتلذذ به ، تارة في حضرة التوحيد ، وتارة في الجنة ، وتارة في الاعتبار ، وتارة في الأحكام ، بحسب ما تعطيه الآية حتى يصبح ، فيخرج من صلاته وقد اطلع على علوم كثيرة في تلاوته من الله تعالى لم تكن عنده ، فهّمه الله إياها من القرآن ، قال الله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » فإذا طلع الفجر فتح المسجد وأذن وأسرج ودخل منزله فركع سنه الفجر وقعد في منزله يذكر الله ، فإذا أسفر خرج فصلى بالناس ، هكذا ديدنه ودأبه ، لا يأتدم في الجمعة إلا مرتين ، في ليلة الإثنين وليلة الجمعة ، سني الحال والمقام ، كثير المعرفة ، قل أن يُرى مثله ، جمعت بينه وبين صاحبي عبد الله بدر الحبشي وصلى خلفه .

ومنهم رضوان الله عنهم **أبو عمران موسى بن عمران المارتلي** أنشدني لنفسه في شعر مجنس يخاطب نفسه :

فأنت ابن عمران موسى المسيء ... ولست ابن عمران موسى الكليما

كان رضي الله عنه قد أخذ نفسه بالشدائد ، لزم بيته منذ ستين سنة لا يخرج ، جرى على طريق الحارث بن أسد المحاسبي ، لا يقبل من أحد شيئا ، ولا يطلب حاجة لنفسه ولا لغيره ، رأيت له رؤيا تدل على انتقاله من مقامه إلى ما هو أعلى منه ، فقال لي : بشرتني بشرك الله بالجنة ، فلم يكن إلا يسيراً ونال المقام الذي رأيت

وكنت أحاسب نفسي مثلهم في ذلك الوقت واحضر الدفتر ، واطالبها بجميع ما خطر لها وما حدثت به نفسها وما ظهر للحس من ذلك من قول وعمل وما نوته في ذلك الخاطر والحديث ، فقلّت الخواطر والفضول إلا فيما يعني ، وذلك راجع إلى مراعاة الانفاس وهي عزيزة .

رأيت شيخنا أبا عبد الله بن القسوم المالكي الصالح العام وهو على كبر سنه يشتري ورقا فسألته عن ذلك مع شغله بالعبادة فقال لي : اوصاني شيخي أبو عبد الله ابن المجاهد ، فقال لي : إن استطعت أن لا تموت إلا وأنت طالب تكتب العلم والأدب فافعل . ف ح ١/٢١١ ــ مسامرات ح ١

له ، فدخلت عليه في اليوم الذي حصل فيه والسرور باد على وجهه ، فقام إليّ وعانقني ، فقلت له : هذا تأويل رؤياي من قبل ؛ وبقيت دعوتك أن يبشرني الله بالجنة ، فقال : يكون إن شاء الله تعالى ، فما تم الشهر حتى بشرني الله بالجنة بإيجاد آية منه ظهرت لي مصدقة لدعوى المبشر عن الله تعالى ، تحدى بها على صدق بشراه لي بالجنة ، فأنا أقطع بها ولا أشك البتة في أني من أهل الجنة كما أنه لا شك في نبوة محمد ﷺ ، غير أنه لا أدري أتمسني النار أم لا ؟ عافانا الله تعالى وإياكم ، وأرجو من كرمه أن لا يفعل ، ولهذا الشيخ شأن كبير ومعرفة تامة وأدب عظيم ، مقبوض في عموم أحواله ، حسن البشاشة لزواره ، لنا معه مواطن عجيبة كانت همته متعلقة بالله في حفظنا وعصمتنا من الفتن والرجوع ، فقضى حاجته في ذلك (١) ، وشهد لي بها وبشرني وقال لي منه إليّ بمحضر صاحبي عبد الله بدر الحبشي : كنت أتخوف عليك جداً لصغر سنك ، وعدم المعين وفساد الزمان ، وما ظهر لي في أهل هذه الطريقة من الفساد ، وهم الذين ألزموني العزلة لما عاينت من فساد الأحوال ، فالحمد لله الذي أقر عيني بك ، أنشدني من شعره كثيراً ، وطلب مني أن أقيد له من شعري ففعلت ، وقرأته عليه فسر به ، فمما كتبت له أبياتاً استحسنها جداً ووقعت منه بموقع فكان منها :

تركت هواي في هواه فلا هوى ... وكل محب لم يكنه فقد هوى
واجريت طرف الأنس في حلبة الفنا ... وجزت بحار الشوق في مركب الهوى
والقيت مرسى الوصل في ساحل الرضا ... وناداني الحق المبين من الهوا

---

(١) رجال الإمداد الإلهي والكوني

رجال الإمداد الإلهي والكوني في كل زمان ثلاثة انفس ، لا يزيدون ولا ينقصون ، فهم يستمدون من الحق ويمدون الخلق ولكن بلطف ولين ورحمة لا بعنف ولا شدة ولا قهر ، يقبلون على الله بالاستفادة ويقبلون على الخلق بالإفادة ، فيهم رجال ونساء ، قد أهلهم الله للسعي في حوائج الناس وقضائها عند الله لا عند غيره ، لقيت واحداً منهم بإشبيلية وهو من أكبر من لقيته يقال له موسى بن عمران ، سيد وقته كان احد الثلاثة ، لم يسأل أحداً حاجة من خلق الله . ف ح ٢/١٣

الا فاكتبوا عبدي من العارفين بـي — وهــذا نداء الحق في موضع السوى
فراجعته لمـا سمعت نــداءه — بــأن ليس لي هم ولا بغيــة ســوى
وصـالك يا مـولاً الـوذ بقربـــه — فإني اخَف من سطوة البين والنوى
فآمَنْتَنِي من كل شيء وقـال لـي — ظنونك حَسنّنْ إن للمرء مـا نوى

ولا أذكر من القصيدة اليوم إلا هذا ، وخرجت عني منها أبيات ذكرتها في كتاب إنزال الغيوب ، ومن ذلك أيضاً :

مذ حل كاتب حب الله في خـلدي — وخط سطراً من الاشواق في كبـدي
ذبت اشتياقـاً ووجـداً في محبتـه — فآه من طول وجدي آه من كمـدي
يا غاية السؤل والمأمول يا سنـدي — شوقي إليـك شديـد لا إلى احـد
يدي وضعت على قلبي مخافـة ان — ينشــق صـــدري لما خانني جـلدي
ما زال يرفعهـا طـوراً ويخفضهـا — حتى جعلت يدي الأخرى تشد يدي
مر الفـؤاد على الجثمـان مرتحـلا — إلى الحبيب الذي يفني وليس يدي
ما زلت أطلبـه وجـداً وانـدبـه — بعبـرة حـيرتها زفـرة الخــلد
حتى سمعت نـداء الحق مـن قِبَلي — من كان عبدي لم ينظـر إلى احـد
فمت بوجدك أو مت إن تشا طربـاً — فإن قلبـك لا يلـوي على الجســد
فقلت والحب يطوينـي وينشرنـي — وصحت من شدة الأشواق واكبدي
لما شهـدتك يا مـن لا شبيه لـه — لا فرق عندي بـين الفرد والعـدد

إلى آخر الأبيات فإني لا أذكرها الآن [1] ، دخلت على هذا الشيخ فقال لي : يا بني عليك بنفسك ، فقلت له إن شيخنا أحمد دخلت عليه فقال لي : يا بني عليك

---

(1) مذ حل كاتب حب الله في خلدي

هذه الأبيات موجودة في كتاب الإسراء إلى مقام الأسرى ، عند ذكر سماء الغاية وهي السابعة ، واجتماع الشيخ بروحانية إبراهيم الخليل عليه السلام ، وذكر ما دار بينهما وفي القصيدة زيادة ، وهي :

فالنفس تعرفـه علمـاً وتبصره • — عينـا وتشهـده في الوقت والأبد
من عاين الذات لم ينظر إلى صفة — فإن فيها حجاب الصف بالصفـد

الصفد هو الغطاء والوثاق ـــ القاموس .

بالله فممن آسمع ؟ فقال : يا بني أنا مع نفسي وأحمد مع ربه ، وكل واحد منا دالك على ما يقتضيه حاله ، فبارك الله لأبي العباس وأوصلني إليه فهـذا ما عاينت من

ثم يقول قال السالك : فقال لي انا المراد بهذا الحجاب ، وإلى الأحباب فتحت الأبواب ، قلت له : واين الخلة من المحبة ، واين المحبة من القربة ، كم بين من يقول : وعجلت إليك رب لترضى ، ومن يقال له : ولسوف يعطيك ربك فترضى ، كم بين من يقول رب اشرح لي صدري ، وبين من يقال له : ألم نشرح لك صدرك .

قال السالك : ثم قلت له : ما ظنك بنهاية هذه بدايتها وأسرار هذه علانيتها ، أو أين أنت من قولي بشاهد فعلي

إلهـي ومولاي تمـازج سركم ... وسري يا سؤلي فعنكم أترجم
بكم أبصر الأشياء غيبا وشاهدا ... بكم أسمـع النجوى بكم اتكلم

اين مقام الأذكار من فناء الأفكار ، وعدم الأسرار وطموس الأنوار

بذكـر الله تـزداد الـذنـوب ... وتحتجب البصـائر والقـلوب
وترك الذكر أفضل منـه حالا ... فـإن الشمس ليس لها غروب
بذكـر الله تبتهـج القـلوب ... وتتضـح المعـارف والغيـوب
وتـرك الذكر افضل كل شـيء ... فشمس الذات ليس لها غروب

راجع شرح هذه الأبيات في كتابنا « شرح كلمات الصوفية » ص ٣٨٣

ثم يقول :

او اين انت من مقام قد وصلت إليه ونزلت عليه

يا فـؤادي قـد وصلت لـه ... قـل لـه قول حبيب مـدل
لولاي عرش لم يصـح استوا ... وبنـوري صـح ضرب المثـل

ثم يترجم الشيخ عن المقام الإبراهيمي الخليلي ومقام المحبة المحمدي فيقول : قال السالك : فلما عاين هذا المومى ، قال : لا يستوي البصير والأعمى ، ثم قال لي : يا بني اذكر اباك عند مناجاتك مولاك ، يا بني اين منك الخليل ، وانت بالمقام الجليل . شتان بين من نظر في النجوم فقال : إني سقيم ، وبين من قال عنه : ما كذب الفؤاد ما راى ، أنا اقول رب اغفر لي خطيئتي يـوم الدين ، وانت يقال لك : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وانا اقول : اجعل لي لسان صدق في الآخرين ، وانت يقال لك : ورفعنا لك ذكرك .

إنصافه [1] ، كان يباسطني غاية البسط فلا يزيدني ذلك إلا مهابة وتعظيماً ، وكان يتعجب من حفظي الأدب معه في حين بسطه ، فيرجع من المباسطة إلى باب العبودية ، لا أباسطه لسر عجيب إن تأملته يا ولي ؟ وقفت عليه إن شاء الله تعالى [2] .

قال السالك : ثم بكى وقال : شغلتنا ملاحظة الأغيار ، عن مباشرة هذه الأسرار ، هيهات وأين الكرم من الإيثار ، الكرم سيادة ، والإيثار عبادة ، الكرم مع الرياسة ، والإيثار مع الخصاصة ، يا بني سر إلى ما إليــه ناداك محبك ومولاك ، والعهد بيننا التعريف بما به ناجاك .

(١) الطريق والرفيق

لقي بعض أصحابنا بعض الأبدال في سياحته فأخذ يذكر له ما هم عليه الناس من فساد الأحوال في الملوك والولاة والرعايا ، فغضب البدل وقال له : ما لك وعباد الله ، لا تدخل بين السيد وعبــده ، فإن الرحمة والمغفرة والإحسان لهؤلاء يطلبون ، أتريد أن تبقى الألوهية معطلة الحكم ، اشتغل بنفسك واعرض عن هذه الأشياء ، وليكن نظرك إليه تعالى وشغلك بالله ، ولقد اتفق لي في بدايتي وما ثم إلا بداية ، وأما النهاية فمقولة غير معقولة ، دخلت على شيخنا أبي العباس العريبي وانا في مثل هذه الحال ، وقد تكدر عليّ وقتي لما ارى الناس فيه من مخالفة الحق ، فقال لي صــاحبي : عليــك بالله ، فخرجت من عنده ودخلت على شيخنا أبي عمران الميرتلي وانا على تلك الحال ، فقال لي : عليك بنفسك ، فقلت له : يا سيدنا قد حرت بينكما ، هذا أبو العباس يقول : عليك بالله ، وانت تقول : عليك بنفسك ، وأنتما إمامان دالان على الحق ، فبكى أبو عمران وقال لي : يا حبيبي الذي دلك عليه أبو العباس هو الحق وإليه الرجوع ، وكل واحد منا دلك على ما يقتضيه حاله ، وأرجو إن شاء الله أن يلحقني بالمقام الذي أشار إليه أبو العباس ، فاسمع منه فإنه أولى بي وبك ، فما أحسن إنصاف القوم ، فرجعت إلى أبي العباس وذكرت له مقالة أبي عمران ، فقال لي : أحسن في قوله ، هو دلك على الطريق ، وانا دللتك على الرفيق ، فاعمل بما قاله لك وبما قلته لك ، فتجمع بــين الرفيق والطريق . ف ح ١٧٧/٢

(٢) قول العارف « اقعد على البساط وإياك والانبساط »

اعلم ان قول العــارف « اقعد على البســاط » يريد بساط العبادة « وإيــاك والانبســاط » اي التزم ما تعطيه حقيقة العبودة من حيث انها مكلفة بأمور خدها لها

ومنهم رضي الله عنهم الأخوان الشقيقان **ابو عبد الله محمد الخياط وابو العباس احمد الإشبيليان** رضي الله عنهما ، صاحبتهما زماناً بإشبيلية إلى عام تسعين وخمسمائة، خرجا يريدان الحج وهو العام الذي رحلت فيه إليك ، ووصلا مكة ، فأما أحمد فجاور بها خمسة أعوام ولحق بأخيه بمصر ، فأقمت معهما وبأبي عبد الله زمانة [1] ، فصمت معهما رمضان وخرجت إلى القدس الشريف ومشيت إلى مكة شرفها الله تعالى وأقمت بها إلى الآن وفي قلبي من فراقهما لهيب ، أما أبو عبد الله فإنه رجع إلى الطريق قبل أخيه بزمن طويل ، وكانت له والدة وكان باراً بها رضي الله عنه لزم خدمتها حتى ماتت ، غلب عليه الخوف ، كان إذا صلى يسمع لقلبه دوي على بعد ، سريع الدمعة غزيرها ، طويل الصمت دائم الحزن ، كثير الفكرة شديد التأوه ، ما رأيت قط أخشع منه لا تراه أبدا إلا مطرقاً ضارباً بعينيه الأرض لا يمازح أحداً ولا يعاشره ، بري من المداهنة قوي في المناصحة ، لا يستحي في الحق من أحد ولا تأخذه في الله لومة لائم ، لا يداري ولا يماري ، ابتلي بالفقر والضراء فصبر ، له شأن عجيب وهمة رفيعة ، وكنت أتعشق به وأنا صغير عند الذي كنت أقرأ عليه القرآن وكان جاراً لنا، كان إذا دخل المسجد هابه كل من رآه ، ما عاينته قط يكلم أحداً مبتدئاً ، ولا يجيب

سيدها ، فإنه لولا تلك الأمور لاقتضى مقامها الإدلال والفخر والزهو من أجل مقام من هو عبد له ومنزلته ، فما قبض العبيدَ من الإدلال وأن يكونوا في الدنيا مثل ما هم في الآخرة إلا التكليفُ ، فهم في شغل بأوامر سيدهم إلى أن يفرغوا منها ، فإذا لم يبق لهم شغل قاموا في مقام الإدلال الذي تقتضيه العبودية ، وذلك لا يكون إلا في الدار الآخرة ، فإن التكليف لهم مع الأنفاس في الدار الدنيا ، فكل صاحب إدلال في هذه الدار فقد نقص من المعرفة بالله على قدر إدلاله ، ولا يبلغ درجة غيره ممن ليس له إدلال ابداً ، فإنه فاتته انفاس كثيرة في حال إدلاله ، غاب عما يجب عليه فيها من التكليف الذي يناقض الاشتغال به الإدلال ، فليست الدار الدنيا بدار إدلال ، فالأدب يلزمنا ، وبالأدب يكون أصحاب السلطان جلساء من غير انبساط ؛ لأن الشهود والبسط لا يجتمعان .

ف ح ١/٢٣٣

(١) الزَّمانة العاهة .

إذا كلم إلا في ضرورة ، يحفظ دينه حفظاً ، ما تمنيت من كل من رأيت أن أكون مثله إلا هو ، وآخيته لما رجعت إلى هذه الطريقة وفرح بي ، ولازمته وانتفعت بآدابه وأخذت من خلقه ، كان يحتمل الأذى ويكف جفاه ، صدوق الرؤيا كثير النجوى ، ليله قائم ونهاره صائم ، لا تجده فارغاً قط ، يحب العلم وأهله ، كنا قد اجتمعنا أربعة أنا وهو وأخوه ورابع لنا على السواء في كل ما يفتح به علينا ، فلم أر أياماً قط في عمري أحسن من تلك الأيام ، رأيت من همته رضي الله عنه أن كان بين منزلي ومنزله بُعد كثير ، فأذن بالعتمة وقد وجدت في خاطري الانزعاج إلى الوصول إليه والرجوع إلى منزلي ، وتحرك الخاطران معاً ، فحرت كيف أجمع بين الخاطرين ، وكنت أعمل على أول الخاطر ، فاشتددت إليه عدواً إلى أن دخلت عليه ، فوجدته واقفاً في وسط الدار وهو مستقبل القبلة وأخوه أحمد يتنفل ، فسلمت عليـــه فتبسم وقال لي : ما الذي أبطأ بك؟ قلبي متعلق بك، عندك شيء ؟ وكان في جيبي خمسة دراهم فدفعتها له ، فقال : جاءنا فقير يقال له علي السلاوي وما عندنا شيء ، ورجعت أشتد إلى موضعي ، كان يخدم الفقراء بنفسه ويؤثرهم بالطعام واللباس ، وكان رحيماً عطوفاً رؤوفاً شفيقاً رفيقـــاً ، يرحم الصغير ويعرف شرف الكبير ، يعطي كل أحد حقه ، له الحق على الناس وليس لأحد عليه حق إلا الله تعالى ، على هذا فارقته وعلى هـــذا وجدته الآن وعليه تركته ، فالله يجمع بيني وبينه في عافية بلا محنة بمنه وكرمه .

وأما أخوه **أبو العباس احمد** وما أدراك ما أحمد ؟ جمع الفضائل واجتنب الرذائل ، عرف الحق فلزمه ، وكشف له عن السر فكتمه ، هو ممن ينادى من وراء حجاب ، قوي المجاهدة ، كثير المساعدة ، وطيء الأخلاق ، حسن المعاشرة ، سمح الخليقة ، موافق فيما يرضي الله ، مخالف لما لم يرض الله ، لزم الاسم فسما ، وعمر ذكره كل أرض وسما (١) تراه كأنه ذاهل ، سريع الحركة كأنه مطلوب بثار ، يخضع

---

(١) لزم الاسم اي اسم احمد ، فكان من الحامدين ، بصفة افعل ، فسما لذلك الوصف وذلك الحمد ، وعمر ذكره كل ارض وسماء : يحتمل أن يكون انه أصبح معروفا في الملأ الأعلى والأسفل ، ويحتمل ان ذكره لله تعالى ملأ كل أرض وسماء (المؤلف)

تحت وارد الأسرار ، كثير المكاشفة ، كنا إذا أخذنا في مسألة غيب عنا ثم يرجع فيخبرنا بوجه من وجوه ما نحن فيه ، هذا الحال له مستمر إلى الآن ، لزم خدمة أخيه لم يخدم غيره ، فكل ما هو فيه من بركة أخيه ، لقي شيخنا العريبي وأبا عبد الله محمد بن جنيد وجماعة من أصحابنا ، أراد صحبتنا إلى مكة المشرفة لولا مرض أخيه، ولو كان صحيحاً رحلنا بجملتنا ، حلت بمصر المسغبة والوباء الذي هلك فيه أهلها ، فمشى يوماً فرأى الأطفال الصغار الرضع يموتون جوعاً ، فقال : يا رب ما هذا ؟ فنودي : يا عبدي هل ضيعتك قط ؟ قال : لا ، قال : فلا تعترض ، هؤلاء الأطفال الذين رأيتهم أولاد الزنا ، وهؤلاء الكبار هم قوم عطلوا حدودي فأقمت عليهم حدودي ، فلا يكن في نفسك من ذلك ، ثم سُرِّيَ عنه فبقي راضياً بتلك الحالة للخلق ، وعنده من هذه المخاطبات كثير ، وأما الإيثار وتوسيعهما على الخلق وتضييقهما على أنفسهما فلا أحد فوقهما في ذلك ، جمع الله بيني وبينهما في عافية ولا فرّق بيني وبينهما .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو عبد الله محمد بن جمهور** رضي الله عنه ، كان من أقران أبي علي الشكاز وأبي عبد الله الخياط الذي ذكرناه في السن والحال ، وكان مجتهداً في العبادة ، وكان يُقرىء القرآن والعربية ، لم يقرأ شعراً قط ، أخبرني أبو الحسن العثماني قال : كنت وأنا صغير أقرأ القرآن عليه ، فسمع دفاً يضرب فجعل أصابعه في أذنيه ، فسكت فقعد ساعة وأصابعه في أذنيه ، ثم قال لي : هدأ هذا الدف أم لا ؟ فقلت : لا ، فلما استمر ذلك قام وأصابعه قد سد بها أذنيه وانصرف إلى داره وأرسل إليّ ، فجئت إليه ودخلت عليه وأتممت عليه جزئي ، كان رحمه الله تعالى إذا سمع من يقرأ عشراً في المسجد ليسأل به أو سمع سائلا في المسجد يسد أذنيه ، كان من الراكعين الساجدين حتى قبضه الله تعالى إليه ، وكان قوي القلب ضعيف البدن ، مصفر اللون شديداً على نفسه ، فيقال له : ارفق بها ، فيقول : للرفق أجهد ، وكان يقوم إلى حزبه من الليل ، فيقوم حتى يسقط من قامته ، يضع خده لينام فيقول :

ياخدُ إنك إن توسد لينا وسدت بعدالموت صم الجندل (١)

(١) الجندل الحجارة .

ثم يثب كأن أفعى قد لدغته إلى مصلاه ، فلا يزال هكذا حتى يصبح ، فلقد مات وأنا في خدمة أبي يعقوب الكومي ، فأخذه الذي أنزله في القبر وجعل الجندل تحت خده ، فعلمت أن الله صدقه في قوله « ياخد إنك إذ توسد لينا ... الخ » وكان رحمه الله كثير النفور من الخلق يحب الخلوة والعزلة ، ورعاً زاهداً عارفاً بالله واقفاً مع الله ، شديد المعاملة طالباً للمواصلة ، يحب أهل الله وأهل القرآن ، توفاه الله صغير السن في عنفوان شبابه ونار اجتهاده ، يقول لنفسه : لا زال دأبي ودأبك هذا حتى أموت ، ما فاقه أحد في العبادة .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو علي حسن الشكاز** رضي الله عنه ، كان عندنا بإشبيلية وبها مات ، هو الذي خدم صالحاً العدوي شيخنا حتى مات ، كان كثير الدمعة لا تزال عيناه تهطل أبداً ، كان لي عم أخو والدي وكان من أهل الله وخاصته وكان أبو علي يلازمه ، فكنت أبيت معه فألقي الحصير الجديد له يصلي عليه فتجري دموعه فتسقط على الحصير فأقلعه في اليوم الثاني وموضع دموعه قد تعفن كله وانتثر ، عاشرته من وقت دخولي في هذه الطريقة حتى مات ، كان مولعاً بالنكاح جداً لا يستغني عنه ، فأراد شيخنا الشبربلي يأخذه لابنة أخيه ، فمشت إليه أم الزهراء فقالت : يا أبا علي إن أبا الحجاج يحب أن يعطيك بنت أخيه ، وكان هذا يوم الأحد ، فأطرق ساعة إلى الأرض كأنه يحدث ، ثم قام فقال : أنا كنت من أحب الناس في مصاهرته ، ولكن قد تزوجت وبعد خمسة أيام من يومنا هذا أدخل بزوجتي عروساً ، فقالت له : بنت من تزوجت ؟ قال لها : ستري ذلك اليوم ، وانصرف إلى منزله ولزم فراشه حتى انقضت خمسة أيام فمات رحمه الله تعالى ، كان يمد يده إلى ما وجد من نبات الأرض من أعظمه مرارة فيطعمك إياه كأنه حلواء ، رأيت له بركات كثيرة انتفعت بصحبته ، كان قد عمل على الأربعين السهلية ، وكان شجاعاً يعيش من عمل يده ، رآه أخوه بعد موته فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال : يعطيني كل يوم عمل ثمانية أيام ، كان دائم الصيام والمواصلة ، كثير القيام ، منقبضاً عن الناس غير مجالس لهم ، يحن إلى جنسه ، كان مليح الدعابة يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وكان يعجبه المزح

بالحق ، ويكره الكذب وأهله ولا يحتمله ، خرج يوماً إلى دور بني صالح بجلود له لينقعها في النهر ويبسطها في الشمس ، فمرت به امرأة من أهل إشبيلية ، وفيهم وفي نسائهم حلاوة وظرافة ، فقالت لصاحبتها : تعالي يا أختي نمازح هذا الرجل فإنه شكاز (والشكاز عندنا المشتغل بهذه الجلود الرقاق على نوع ما يبيضها ويلينها كثيراً بعد شدتها ، فاتخذ أهل البلدة هذه اللفظة لفظة الشكاز لقباً للرجل لا يقوم بالنساء ، أي لين العضو مثل الجلد الذي يعمله) فوقفت عليه المرأة وهو يذكر الله تعالى ، وكان هو كثير الذكر لا يفتر ، فقالت : السلام عليك يا أخي ، فقال : عليك السلام ، ورجع إلى ذكره ، فقالت له : ما صنعتك وما حرفتك ؟ فقال لها : خل عنك هذا ، وعلم ما تريده ، فقالت له : لابد من هذا ، فتبسم وقال لها : أنا رجل أبل اليابس ، وألين الشديد ، واتنف المشعر ، فولت وهي تضحك وقالت : أردنا أن نرميه فرمانا ، وكان جليل الشأن سليم الصدر ، ما أضمر شحناء لأحد قط ، لا يعلم ما الناس فيه ، وما يتخيل أن في الوجود من يعصي الله تعالى .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو محمد عبد الله بن محمد بن العربي الطائي** رضي الله عنه ، وهو عمي شقيق والدي ، دخل هذا الطريق في آخر عمره على يد صبي صغير لم يدر ما هذا الطريق ، دخله وهو في عمر الثمانين ، فلازم المجاهدة والسواحل حتى برع فيه ، كانت له في كل يوم ختمة لازمة ، يهب نصفها لذلك الصبي الذي رجع على يديه ، بصّره ذلك الصبي بالطريق ، وكان رحمه الله يجلس في البيت فيقول : قد طلع الفجر ، فسألته : من أين تعرف ذلك ؟ فقال : يا بنيّ إن الله يوجه ريحاً من تحت العرش تهب من الجنة ، فتخرج بريحها عند طلوع الفجر يشمها كل مؤمن في كل يوم ، أصابته أدرة كبيرة فكان يجعلها أمامه مثل المخدة الكبيرة ، وكان له ولد خلفه قد أقرح قلبه ، فدعا عليه فمرض ، وكان يسأل الله أن يقدمه أمامه ويموت ، فمات ابنه قبله فدفنه وقال : الحمد لله إني أعيش بعده أربعة وأربعين يوماً وأموت ، فعاش كما قال ومات، ولما كانت ليلة وفاته قعدنا عنده بعد صلاة العشاء وهو مستقبل القبلة فوجد بعض راحة وأدرته قد عظمت ، فقال لنا : استريحوا وارقدوا ، فأخذنا

مضاجعنا ، فقمت إليه في السحر ، فوجدته كما فاضت نفسه رحمه الله تعالى ومـا شاهد أحد موته ، وطلبنا تلك الأدرة فلم نجد منها شيئاً ، فقلنا : لعلها كانت رياحاً وبقي الجلد ، فإذا به مثل جميع الناس ما عنده شيء ، فعجبت أن ستره الله وأخفاه ، كان يخبرنا بعجائب ، كان عمره من وقت رجوعه إلى هذا الطريق إلى أن مات ثلاثة أعوام خاصة ، مات قبل أن أدخل هذا الطريق رضي الله عنه •

ومنهم رضي الله عنهم **ابو محمد عبد الله ابن الأستاذ الموروري** رضي الله عنه ، خدم الشيخ أبا مدين وكان الشيخ يسميه الحاج المبرور ، وحج صحبة عبد الرزاق، صاحب بمكة أبا عبد الله بن حسان ، طلب ابن حسان أن يعطيه ابنته رغبة فيه فأبى أن يأخذها مخافة أن لا يقوم بحقها ، كان الشيخ أبو مدين يحبه جداً قال له يوماً : يا عبد الله كبر عليّ دعائي الناس إلى الله ولا يجيب أحد ، وأريد أن أصطفيك لنفسي، تخرج معي إلى بعض هذه الجبال فألزم مغارة تصحبني فيها إلى أن أموت ، قال : ففرحت بذلك وعلمت أن لي عند الله مكاناً فلما كان في الليل قال عبد الله : نمت فرأيت الشيخ في النوم إذا تكلم على الناس صار شمساً ، وإذا سكت صار قمراً ، فقصصتها عليه بكرة فتبسم وقال : الحمد لله يا ولدي : أريد أن أكون شمساً فإن الشمس تنفي كل ظلمة وتكشف كل كربة ، كان هذا عبد الله له همة فعالة وصدق عجيب ، سافر من عند الشيخ أبي مدين إلى الأندلس بسبب والدته ، فأودعه الشيخ أبو مدين سلامه إلى أبي عبد الله الشيخ المسن بمدينة المرية المعروف بالغزّال ، من أصحاب ابن العريف من أقران أبي مدين وأبي الربيع الكفيف الذي كان بمصر وعبد الرحيم الذي كان بقنا وأبي النجا الذي كان بجزيرة الذهب رحمهم الله تعالى : فلما وصل إلى المرية قصد إلى الشيخ أبي عبد الله فوجد أصحابـه قعوداً فقـال لهم : استأذنوا لي على الشيخ ، فقالوا : الشيخ نائم في هذه الساعة ، ولم يقبلوا عليه ، فعز عليه ما هم فيه من كثافة الحجاب حيث لم يعرفوه ، فقال لهم : إن كنت جئت إليه في الله ، فالله يوقظه الساعة ، فإذا الباب قد فتح والشيخ قد خرج يمسح النوم عن عينيه ، فقال : أين هذا الذي جاء ؟ فسلم عليه وأكرم نزله ، وكان الغالب على

أبي محمد البسط ، وكان أصحاب الشيخ مقبوضين ، فعندما وادعهم وانصرف قال له أصحاب الشيخ : لو انقبضت يا أبا محمد من هذا البسط الذي أنت فيه ، فقال لهم : البسط ما هو ؟ فقالوا : رحمة ، قال : والقبض ما هو ؟ قالوا : عذاب ، فقال : اللهم لا تنقلني من رحمتك إلى عذابك ، فخجلوا وانصرف عنهم ، ومن أخباره رضي الله عنه أنه لما وصل إلى غرناطة نزل عند الشيخ أبي مروان وكان قد عرفه عند أبي مدين ، وقد رأى أبو مروان من أصحاب الشيخ أبي مدين في حق رجل مرض منهم فأخذوا عنه مرضه وحملوه فاستراح من حينه ، فأخبر أصحابه بغرناطة ، فلما وصل شيخنا عبد الله الموروري إليها ، قال أبو مروان والنـاس قد اجتمعوا من أجله في الدار ، وقد جعلت بين أيديهم مائدة وعليها مجبنات بعسل وكان ابن صاحب الدار قد مشى في السحر إلى قرية له قريبة من البلدة ، فتأسف أهل المجلس لما لم يحضر معهم الطعام ابن صاحب الدار ، فقال لهم أبو محمد الموروري بعدما أكل وشبـع وأكل الناس : إن شئتم أكلت عنه هنا ويشبع هو في قريته من هذا الطعام بعينه ، فارتابوا من كلامه في باطنهم وظاهرهم ، فقال له أبو مروان : بالله يا أبا محمد افعل ذلك ، فقال : بسم الله وابتدأ يأكل حتى كأنه ما أكل شيئاً حتى وقف ، وقال : قد شبع ، وإن زدت عليه أكثر من ذلك يهلك ، فبهت أهل المجلس وعزموا أن لا يبرح أحد منهم حتى يصل ذلك الرجل الذي أكل عنه ، فلما كان عشية ذلك اليوم دخل عليهم من القرية ، فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا : نراك جئت بزادك الذي حملته معك ما أكلت منـه شيئاً ، فقال لهـم : يا إخوتي اتفق لي اليوم شيء عجيب ، أنا عندما وصلت إلى القرية وقعدت فإذا أنا أحس بمجبنات بعسل تنزل في حلقي فتستقر في معدتي حتى شبعت ، ولو زادت عليّ أهلكتني ، وأنا حتى الآن شبعان منها أتجشى ، فتعجب القوم وفرحوا أن رأوا رجلا أخبر بالمسألة كيف جرت ، أخبرني بها بدار عبد الله الشكاز الباغي الشخص الذي أكل عنه فشبع ، ومعي صاحبي عبد الله بدر الحبشي ونحن في جماعة ، وتأسف وقال : من مثل عبد الله الموروري ؟ ما رأينا مثله .

ولقد أطلعني الله عز وجل ليلة على المقامات ومشى بي عليها حتى وصلت مقام المتوكل.

فرأيت شيخنا عبد الله الموروري في وسط ذلك المقام يدور عليه كدوران الرحا على قطبها وهو ثابت لا يتزلزل ، فكتبت له بذلك [1] ، عاشرته معاشرة وانتفعت به ، وله امرأة في غاية الجمال صغيرة السن أحسن منه وأقوى ، وكان سيدنا هذا عند شمس أم الفقراء بمرشانة الزيتون في يوم أربعاء ، فقالت العجوز : تمنيت أن يأتينا غداً أبو الحسن بن قيطون ، فاكتبوا إليه عسى يصل غـداً ، وكان في بلد قرمونة ويعطـل الخميس والجمعة ، فقال أبو محمد سيدنا رضي الله عنه : هكذا تعمل العامة ، فقالت له العجوز : فماذا تفعل ؟ قال : أسوقـه بهمتي ، فقالت : افعل ، فقال : قد حركت الساعة خاطره بالوصول إلينا غداً إن شاء الله تعالى ، فلما أصبحت قالت له : تراه ما جاء ، قال : غفلت عنه ولكني أخرجه لكم الساعة ، فأرسل همته إليه ، فلما كان قبيل الظهر دخل عليهم على غفلة أبو الحسن المذكور ، فتعجبوا ، فقال الموروري : سلوه ما الذي أمسكك عنا إلى هذا الوقت ، وكيف خطر لك ومتى نويت الوصول إلينا ؟ فقال : أمس وقت العصر وجدت في باطني قائلا يقول مر غـداً إلى العجوز بمرشانة ، فقلت لصبيان المكتب : لا يجيء أحد منكم غداً ، فلما أصبحت فتر عني ذلك (وهو الوقت الذي غفل سيدنا أبو محمد عنه) قيل له : إيه ، قال : فوجهت إلى الصبيان ووصلوا وأخذوا ألواحهم ليكتبوا ، فأنا كذلك إذ وجدت قلبي قد انقبض وشد عليـه وقيل لي : أخرج الساعة إلى مرشانة إلى زيارة العجوز ، فقلت للصبيان : سيروا إلى منازلكم ، وهو كان خروجي إليكم ، فهذا الذي أبطـأ بي ، فقالوا له : اتفق من الأمر كذا وكذا ، ووصفوا له الحال ، فتعجب ، وقال : هذا والله العظيم كان ، فكان بعد ذلك ينظره بعين التعظيم ، واهتز وأخذ في الرحلة أبو الحسن

---

(١) **قطب التوكل في زمان الشيخ**

لقد أطلعني الله تعالى على قطب المتوكلين ، فرايت التوكل يدور عليه كأنه الرحى حين تدور على قطبها ، وهو عبد الله بن الأستاذ الموروري من مدينـة مورور ببـلاد الأندلس ، كان قطب التوكل في زمانه ، عاينته وصحبته بفضل الله وكشفه لي ، ولما اجتمعت به عرفته بذلك فتبسم وشكر الله تعالى .

ف ح ٤/٧٦

المذكور إلى المرية إلى شيخ كان بها يقال له أبو عبد الله الغزال رحمه الله تعالى من أصحاب ابن العريف من أقران أبي الربيع الكفيف وأبي النجا وعبد الرحيم وهذه الطبقة، ورآه وانتفع به ثم عاد إلى قرمونة، فلم يزل يخدم الفقراء ويضيفهم ويتواضع لهم ، وكنت أستحسن منه ذلك ، فأشهد لقد رأيته وصل إلى إشبيلية فصاحب الفقهاء وجالسهم وقرأ الفقه وأصوله وعلم الكلام ، وسكن إشبيلية يعلم بها القرآن وجالس الطلبة المكبين على الدنيا ، فأداه صحبه أولئك إلى تجهيل الفقراء الصادقين في أحوالهم ونبذهم ، فأياك يا أخي عافاك الله من الظن السوء من أن تظن بي أني أذم الفقهاء من أجل أنهم فقهاء أو لتنقلهم الفقه ، لا ينبغي أن يظن هذا بمسلم ، وإن شرف الفقه وعلم الشرع لا خفاء به ، ولكن أذم من الفقهاء الصنف الذي تكالب على الدنيا وطلب الفقه للرياء والسمعة وابتغى به نظر الناس ليقال ، ولازم المراء والجدال وأخذ يرد على أبناء الآخرة ، الذين اتقوا الله فعلمهم من لدنه علماً ، فأخذت للفقهاء أعني هذا الصنف منهم في الرد عليهم في علم لا يعلمونه ولا عرفوا أصوله ، ولو سئل أحدهم عن شرح لفظة مما اصطلح عليه علماء الآخرة ما عرفها وكفى به جهلا ، ولو نظر في قول الله تعالى « ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم » الآية لاعتبر وتاب، وقد ذم النبي ﷺ العلماء الذين طلبوا العلم لغير الله وتصرفوا به في غير مرضاة الله لا لكونهم علموا ، كما مدح الصنف الآخر من العلماء بالخشية وغير ذلك ، كما أني قد ذممت الصوفية في كتابي هذا ولم أرد به الصادقين ، وإنما أعني الصنف الذي تزيا بزيهم عند الناس وباطنه مع الله بخلاف ذلك ، قال الله تعالى « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه » الآية ، فلا أنكر مرتبة الفقه وقد سمعت عن النبي ﷺ يقول « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » ولما كان هذا الصنف من الفقهاء غلبت عليهم نفوسهم وشهواتهم، واستولى عليهم الشيطان، وعلى أيديهم جرى الضرر على أولياء الله ، وبشهادتهم هلكوا ، كما سيأتي في آخر الكتاب هذا عن النبي ﷺ ، وأما العلماء العاملون المنصفون الراسخون في العلم فهم السادة الذين هداهم الله ، فهم مصابيح الهدى وأعلام التقى ، وارثو رسول الله

ﷺ في العلم والعمل والإخلاص والوصف الذي صح لهم به نسب التقوى ، فإذا سمعتني أذم الفقهاء في كتاب فإنما أعني به هذا الصنف المدبر ، الذي اتبع شهوته وغرض نفسه الأمارة بالسوء ، وكذلك ذمي للصوفية إنما أذم هذا الصنف الذي ذكرت ، فإن الحلولية والإباحية وغيرهم من هذا الطريق ظهروا وتظاهروا بالدعاوى واتصفوا ، فهم قرناء الشيطان وحلفـاء الخسران ، نوّر الله بصائرنا وبصائرهم ، وأصلح سرائرنا وسرائرهم ، وأوقفهم على عيوبهم لعلهم يرجعون ، وأشهد لقد وصل إلينا هذا السيد عبد الله الموروري الذي رؤي له تلك البركات فخرج إليه أي إلى أبي الحسن المذكور ليزوره في داره وأنا معه وصاحبي عبد الله بدر الحبشي ، فلما طرق عليه الشيخ الباب قال : من بالباب ؟ قال : عبد الله الموروري جاء ليزورك ، فسكت ساعة ثم خرج إليه ابنه وقال له : مشغول هو ، ثم قال له : ما هو هنا ، ولم ير مكانته ، إلى هذا انتهى بغضه في الفقراء ، وهذا حصل له من شؤم الفقهاء ، حال الله بيننا وبين كل من يقطعنا عن الله وعن أهله وخاصته ، وكان إذا لقيني يعتبني على صحبتهم ، ويقول لي : مثلك يصحبهم ؟ فأقول له : مثلي لا يصلح أن يخدمهم فإنهم السادة ، وإنما كان يحن إلى مشاركتي له في علمه الذي قرأه ، لا لكوني في طريق القوم ولا لمحبتي فيهم ، فتركته في ذات الله تعالى ، وتركت معاشرته ، وصار اليوم حكمه حكم الفقهاء في الولاية أنها معقولة متوهمة لا يعرف صاحبها ، ثم إذا وصف الفقيه أفعال الأولياء أقيدها عليه ، ثم أريه تلك الأفعال في شخص ، فإذا رآه يقول : إيه من قال إنه أخلص فيها ؟ لو كان مخلصاً ما اطلعت أنت ولا أنا عليه ، إنما نصب هذا لحيلة ما ، فلا تراه يحسن الظن بأحد قط ، ولم أزل أبداً والحمد لله أجاهد الفقهاء في حق الفقراء السادة حق الجهاد وأذب عنهم وأحمي ، وبهذا فتح لي ، ومن تعرض لذمهم والأخذ فيهم على التعيين وحمل من لم يعاشر على من عاشر فإنه لا خفاء بجهله ولا يفلح أبدا ، ولقد تكلم معي بحرم مكة رجل يقال له **القـاضي عبد الوهاب الأزدي** من أهل إسكندرية، فقيه قد استحوذ عليه الشيطان بحيث صيّره أن يعتقد أن الزمان فارغ من جميع المراتب في كل فن ، وإنما هي تلفيقات وخرافات ، فسألته كم من بلد في معمور الأرض للمسلمين ؟ فقال : كثير ، فقلت له : كم دخلت منها ؟ فذكر ستة

بلاد أو سبعة ، قلت له : كم الخلق فيها ؟ قال : كثير ، فقلت له : من أكثر الذي رأيت أم الذي لم تره ؟ قال : الذي لم أره ، فضحكت وقلت له : حد المعتوه الاحمق الذي يرى الكثير ويبقى له القليل ، فيقيس القليل على الكثير ويحمله عليه في الحكم ، وأما المؤمن الناصح نفسه فإنه يقول ولعل في ذلك القليل ولو كان واحداً لم أره لعله ذلك السعيد ، كيف ومن يقول ما رأيت إلا القليل لا من البلاد ولا من الناس ، ثم يعتقد ذلك ؟ فلا خفاء بجهله ، ثم إنه لا يطلع الله مثل هــذا إلا على نقائص العالم لا على فضائله حتى يحكم على الغائب بما يراه فيشقى بذلك عند الله ، وأين هو من قول الله تعالى « وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله » فكثرهم وقال « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم » فقللهم ، ثم إن في المسألة ما هو أعجب من هذا ، أني سمعته يقول ما يناقض أصله من جهة علمه فقال : الناس على قسمين ذكي وغير ذكي ، فغير الذكي لا كلام معه لنقصه ، والذكي لا يسلم من الغلط فما ثم شيء ، فانظر نظره إلى باب العيب والنقص لشقاوته وتركه النظر في أحوالهم إلى باب الفضل ، هلا قال عند هذا التقسيم : فغير الذكي يأتي إلى العالم فيأخذ منه العلم تقليداً، لعدم ذكائه وفطنته، فيوفق ويرجى أن يعلمه الله، والثاني الغالب عليه الإصابة في عموم أحواله ، وهذا لا يقنع في الأشياء إلا بالبراهين من نفسه لذكائه ، فمهما غلط إن استمر في غلطه بعد اجتهاده فمعفو عنه ، أو قد يرجع عن ذلك ، وأما نقض أصله فيها فقول النبي ﷺ في الحاكم إذا اجتهد « فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر » وكل مجتهد مصيب ، فتراه مأجورا في الحالتين لا وزر عليه البتة ، فرأيت هذا الفقيه أجهل الجاهلين (1) والحمد لله رب العالمين .

---

(1) اهل الحديث واهل الراي

لقد اخبرني القاضي عبد الوهاب الازدي من الاسكندرية بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، قال : رايت رجلاً من الصالحين بعد موته في المنام ، فسألته ، ما رايت ؟ فذكر اشياء منها قال : رايت كتبا موضوعة وكتبا مرفوعة ، فسألت ما هذه الكتب المرفوعة ؟ فقيل لي : هذه كتب الحديث ، فقلت : ما هذه الكتب الموضوعة ؟ فقيل لي: هذه كتب الراي حتى يسأل عنها أصحابها ، فرايت الأمر فيه شدة . ــ ف ح ٦٩/٣

ومنهم رضي الله عنهم **أبو محمد عبد الله الباغي الشكاز** رضي الله عنه من حصن باغة(1) سكن غرناطة وهو بها حتى الآن ، اجتمعت به في منزله مع صاحبي عبدالله بدر الحبشي . وكانت عادتي إذا دخلت على من دخلت عليه من شيخ أو فقير ادفع إليه كل درهم يكون عندي لا أمسك شيئاً ، فلم يكن عندي سوى درهم واحد في ذلك اليوم فدفعته إليه ، كان رضي الله عنه من أهل الجد والاجتهاد ، الغالب عليه الحزن والبكاء ، يكره المعصية كما يكره الكفر . ويكره الصغيرة كما يكره الكبيرة ، وتحقق في مقام المحافظة ، يكاد يكون معصوماً ، كما قال أبو عقال قال : صحبت شيخي هارون فلم أر له كبير عمل ، كان ينام الليل كله ، فوقع في نفسي من قلة اجتهاده ، فهتف بي هاتف « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » قال : فأتيته فقلت : يا سيدنا ، هل أتيت كبيرة قط ؟ قال ولا صغيرة عن تعمد ، كان رضي الله عنه ليله قائم ، ونهاره صائم ، لم يقدر مريد قط على صحبته لأنه كان يطلبه باجتهاده فيفر منه ، عاش وحيداً فريداً ليس عنده ولا له ، شديداً على النفس ، يقال له عن رحمة الصحابة بأنفسهم فيقول : لو لم يكن لهم إلا الصحبة متى نلحق بهم ، لم أر له شبيهـا إلا أبا مسلم الخولاني التابعي رضي الله عنه ، كان قد أخذ في الجد والاجتهاد ، يقطع القضبان فإذا كسل عن الوقوف في الصلاة ضرب بالقضيب ساقيه ويقول : أنتِ أحق بالضرب من دابتي حتى تنكسر القضبان كلها ، ثم يقول : أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يفوزوا بمحمد ﷺ دوننا ؟ والله لأزاحمنهم عليه حتى يعلموا أن خلفوا بعدهم رجالاً(2) . كان هذا الشكاز مليح المقابلة حسن المعاشرة ، كثير التلهف ، يحن إلى الإشارات ، سمعته يقول : انظروا في هذه الأربعة ، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وعلى الأعراف رجال ، يأتوك رجالا ، رضي الله عنهم(3) .

---

(1) باغة بلد بالمغرب وهي بالغين المعجمة .

(2) ورد هذا النص في الفتوحات ـ الجزء الثاني ص ١٨

(٣) الرجـال

دخلت عـلى شيخنا أبي محمد عبد الله الشكاز بغرناطة من بـلاد الأندلس ، وكان من اهل باغة ، وهو من أكبر من لقيته في طريق الله ، فقال لي : يا أخي الرجال

ومنهم رضي الله عنه **ابو محمد عبد الله القطان** رضي الله عنه ، المفتوح عليه في القرآن،كان يصدع بالأمر، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يرد كلام السلاطين في وجوههم أقبح الرد ، له صولة يرمي من شاء بالحق ولا يبالي ، عرض بنفسه للقتل من كثرة سبه لأفعال السلاطين وما هم عليه من مخالفة الشريعة ، له مجالس معهم يضيق الوقت عن ذكرها ، لا يتكلم إلا بالقرآن ولا يَرى غيره، لم يكتب كتاباً، سمعته يقول بمدينة قرطبة : « مساكين أصحاب المصنفات والتآليف ما أطول حسابهم غداً أليس في كتاب الله وفي حديث رسول الله ﷺ مقنع » كان يحافظ على صلاته وعلى صاحبه ، لم يتنعم قط ولا جمع بين درهمين ، وجّه السلطان فيه ليقتله فأخذه الأعوان ودخلوا به على الوزير فأقعد بين يديه فقال « يا ظالم يا عدو الله وعدو نفسه فيماذا وجهت ؟ » فقال :

اربعة : وما ارسلنا قبلك إلا رجالا ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، ورجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا يريد على ارجلهم لا يركبون ، وعلى الأعراف رجال ، فأراد بالرجال الأربعة حصر المراتب ، لأنه ما ثم إلا رسول ونبي وولي ومؤمن ، وما عدا هؤلاء فلا اعتبار لهم من حيث اعيانهم ، لأن الشيء لا يعتبر إلا من حيث منزلته لا من حيث عينه الإنسانية ، فالإنسانية واحدة العين في كل إنسان ، وإنما يتفاضل الناس بالمنازل لا بالعين ، حتى في الصورة من جميل واجمل وغير جميل ، ولهذا ما جاء رضي الله عنه في ذكر الرجال بأكثر من اربعة ، فما اراد بالأربعة إلا ما ذكرناه ، وما اراد في هذه الآية الذكران خاصة ، وإنما اراد هذا الصنف الإنساني ذكراً كان او انثى ، ولما قلت له في قوله : « يأتوك رجالاً » المراد به مَنْ اتى ماشياً على رجله ، قال رضي الله عنه : الرجل لا يكون محمولاً ، والراكب محمول ، فعلمت ما اراد فإنه قد علم ان رسول الله ﷺ ما اسري به إلا محمولاً على البراق ، فسلمت إليه ما قال ، وما اعلمته رضي الله عنه ان البقاء على الأصل هو المطلوب لله من الخلق ، ولهذا ذكره تعالى بقوله : « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً » يعني موجوداً ، يقول له : ينبغي لك ان تكون وانت في وجودك من الحال معي ، كما كنت وانت في حال عدمك ، من قبولك لأوامري وعدم اعتراضك ، يأمره بالوقوف عند حدوده ومراسمه ، فيتكلم حيث رسم له ان يتكلم ، ويتكلم بما أمره ان يتكلم ، فيكون سبحانه هو المتكلم بذلك على لسان عبده ، وكذلك في جميع حركاته وسكناته واحواله الظاهرة والباطنة ، لا يقول في وجوده إنه موجود ، بل يرى نفسه

« قد أمكن الله منك ما تعيش بعد هذا اليوم أبداً » فقال له الشيخ « إنك لا تقرب أجلا ولا تدفع مقدوراً ، كل ذلك لا يكون ، أنا الذي والله أشهــد جنازتك » فقال الوزير لوزعته : اسجنوه حتى أشاور السلطان في قتله ، فسجن تلك الليلة ، فانصرف وهو يقول : عجباً لم يزل المؤمن في سجن وإنما هذا بيت من بيوت السجن ، فلما كان في اليوم الثاني ، جلس السلطان وأخبره الوزير بقصة الشيخ وكلامه ، فأمر به فحضر بين يديه ، فرأى رجلا دميم الخلقة لا يؤبه له وما أحد من أهل الدنيا يريد له خيراً وهذا كله لقوله الحق وإظهار معايبهم وما هم عليه من الجور والفساد ، فقال له السلطان بعد ما سأله عن اسمه ونسبه : أتحفظ توحيدك ؟ فتلاه عليه من القرآن بتقاسيمه ، فتعجب السلطان وانبسط له إلى أن دخل معه في المملكة وشأنها ، فقال له السلطان : ما تقول في ملكي هذا ؟ فضحك ، فقال له : مم تضحك ؟ فقال : منك ،

على صورته في حال عدمه ، هذا مراد الحق منه بالخطاب ، فهو محمول بالأصالة غير مستقل ، فإن المحدث لا يستقل بالوجود من غير مرجح ، فلابد أن يكون محمولاً ، وأما ما ذهب إليه الشيخ (أبو محمد الشكاز) من الاستقلال وعدم الركوب ، فذلك هو الذي يحذر منه ، فإنه الاختلاس ، فإن العبد هنا اختلسته نفسه بالاستقلال ، وهو في نفسه غير مستقل ، فأخذه ذلك الاختلاس من يــد الحق ، فتخيل أنــه غير محمول .

أجمع أصحابنا اهل الكشف على صحة خبــر عن النبي ﷺ أنــه قال في آي القرآن ، أنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع ، ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال ، ولكل طائفــة من هؤلاء الطوائف قطب ، وعــلى ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف ، دخلت على شيخنا أبي محمد عبد الله الشكاز من أهل باغة بغرناطة سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وهو من أكبر من لقيته في هذا الطريق ، لم أر في طريقه مثله في الاجتهاد ، فقال لي الرجال أربعــة : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » وهم رجال الظاهر ، « ورجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » وهم رجال الباطن جلساء الحق تعالى ولهم المشورة ، « ورجال الأعراف » وهم رجال الحد ، قال الله تعالى : « وعلى الأعراف رجال » أهل الشم والتمييز والسراح عن الأوصاف ، فلا صفة لهم ، ورجال إذا دعاهم الحق إليه يأتونه رجالاً ، لسرعة الإجابة ، لا يركبون « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا » وهم رجال المطلع ــ ف ح ١٨٧/١ ــ ح ٩/٤

تسمي الهذيان الذي أنت فيه ملكاً وتسمي نفسك ملكاً ، أنت كمن قال الله تعالى فيه « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً » وإنما كان الملك الذي يُصلى اليوم بنارها ويجزى بها ، وأما أنت فرجل عجنت لك خبزة وقيل لك كلها ؛ ثم أغلظ عليه في القول بكل ما يكرهه ويغيظه ، وفي المجلس الوزراء والفقهاء ، فسكت السلطان وخجل ، وقال : هذا رجل موفق ، يا عبد الله اجلس مجلسنا ، قال : لا ، فإن مجلسك مغصوب ، ودارك التي تسكنها أخذتها بغير حق ، ولولا أني مجبور ما دخلت هنا . حال الله بيني وبينك وبين أمثالك ، فأمر له بأعطية وعافاه في نفسه ، فرد له الأعطية وقبل العفو وخرج ، فأمر السلطـان أن تدفع إلى أهله ، وما مضى زمن قليل إلا والوزير قد مات ، وخرج أبو محمد وحضر جنازته وقال : بررت في قسمي . وكان يصيح ويرفع صوته أمام أرباب الدولة ويقول : هؤلاء الفجار بغوا في الأرض ، عليهم لعنة الله والملائكة والنـاس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العـذاب ولا هم ينظرون ، صاحبت هذا الرجل وكان يحبني كثيراً ، استدعيته ليلة ليبيت عندي . فلما أخذ مجلسه جاء والدي رحمه الله تعالى وكان من أصحاب السلطان ، فلما دخل سلم عليه، وكان والدي قد شاب، فلما صلينا العشاء قدمت له الطعام وقعدت آكل وانضم والدي يغتنم بركته ، فرد إليه وجهه رضي الله عنه وقال : يا شيبة منحوسة ، أما آن لك أن تستحي من الله ؟ إلى متى تصحب هؤلاء الظلمة ؟ ما أقل حياءك . أأمنت من الموت أن يأتيك وأنت على شر حالة ؟ أما لك في ابنك هذا ، وأشار إليّ . موعظة ؟ شاب صغير في شهوته ، قمع هواه وطرد شيطانه وعدل إلى الله تعالى يصاحب أهل الله ، وأنت شيخ سوء على شفا حفرة من النار ، فبكى والدي واعترف وأنا في ذلك كله أتعجب ، وله أخبار كثيرة ، وشأنه عجيب [1] جمعت بينه وبين صاحبي عبد الله بدر الحبشي بقرطبة ومشينا معه إلى منزله رضي الله عنه ، سمعته يوماً يقول : عجبت لمن يطلب ما يركب وهو لم يشرع في شكر ما أكل وما لبس ! ! كان لا يزيد على الحاجة شيئاً في مأكله وملبسه ، كان قاصماً للجبارين . ما تفوته غزوة قط في الروم راجلا بغير زاد .

(١) ذكر الشيخ عنه انه من الملامية ـ ف ح ٣/٣٤٠

ومنهم رضي الله عنهم **ابن جعدون الحناوي** رضي الله عنه ، مات بفاس سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، جمعت بينه وبين صاحبي عبد الله بدر الحبشي ، كان رضي الله عنه واحداً من الأربعة الأوتاد الذين يمسك الله العالم بهم (١) ، سأل الله تعالى أن يسقط حرمته من قلوب العالم ، فكان إذا غاب لم يفتقد ، وإذا حضر لم يستشر ، وإذا جاء لا يوسع له ، وإذا تكلم بين قوم ضرب وسخف ، كان سبب اجتماعي به ما أذكره الآن ، وذلك أني لما وصلت مدينة فاس فكان ذكري قد بلغ من بها فأحب من بلغه ذلك الاجتماع بي ، فكنت أفر من الدار إلى الجامع فلا أوجد في الدار ، فأطلب في الجامع وأنا أراهم فيأتوني فيسألون عني ، فأقول لهم : أطلبوه حتى

---

(١) الأوتـاد

الأوتاد اربعة في كل زمان ، لا يزيدون ولا ينقصون ، الواحد منهم يحفظ الله به المشرق وولايته فيه ، والآخر المغرب والآخر الجنوب والآخر الشمال ، والتقسيم من الكعبة ، وهؤلاء يعبر عنهم بالجبال لقوله تعالى : « الم نجعل الأرض مهاداً والجبال اوتاداً » فإنه بالجبال سكن ميد الأرض ، كذلك حكم هؤلاء في العالم حكم الجبال في الأرض ، وإلى مقامهم الإشارة بقوله تعالى عن إبليس : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم » فإنها الجهات التي يأتي منها الشيطان إلى الإنسان فيحفظ الله بالأوتاد هذه الجهات ، وهم محفوظون من هذه الجهات ، فليس للشيطان عليهم سلطان ، إذ لا دخول له على بني آدم إلا من هذه الجهات ، القابهم عبد الحي ، وعبد العليم ، وعبد القادر ، وعبد المريد .

وهؤلاء الأوتاد الأربعة لهم روحانية إلهيه وروحانية إليه(*) ، فمنهم من هو على قلب آدم ، والآخر على قلب إبراهيم ، والآخر على قلب عيسى ، والآخر على قلب محمد ﷺ ، فمنهم من تمده روحانية إسرافيل ، وآخر روحانية ميكائيل ، وآخر روحانية جبريل منهم ابن جعدون الحناوي فإنه كان من العارفين الذين تمدهم رقيقة روحانية جبرائيلية ، وآخر روحانية عزرائيل ، ولكل وتد ركن من اركان البيت ، فالذي على قلب آدم عليه السلام له الركن الشامي ، والذي على قلب إبراهيم له الركن العراقي ، والذي على قلب عيسى عليه السلام له الركن اليماني ، والذي على قلب محمد ﷺ له ركن الحجر الأسود ، وهو لنا بحمد الله .

تجدوه ، فبينما أنا قاعد وعليّ ثياب رفيعة جداً وإذا بهذا الشيخ قد قعد بين يديّ ولم أكن أعرفه قبل ذلك ، فقال لي : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فرددت عليه، ففتح كتاب المعرفة للمحاسبي ، فقرأ منه كلمات ثم قال لي : اشرح وبيّن ما قال . فخوطبت بأحواله ومن هو ومقامه وأنه من الأوتاد الأربعة رضي الله عنهم ، وأن ابنه يرث مقامه ، فقلت له عرفتك فأنت فلان ، فأغلق كتابه وقام واقفاً وقال : الستر الستر ، إنيْ أحبك فأحببت أن أتعرف إليك ، فقد صح المقصود ، ثم انصرف ، فلم أكن أجالسه قط إلا إذا لم يكن معنا أحد ، وكان معقود اللسان لا يتكلم إلا عن مشقة ، فإذا تلا القرآن كان من أحسن الناس صوتاً وأبدعهم مساقاً ، كان كثير الاجتهاد ، وكان ينخل الحناء بالأجرة ، قلما تراه إلا مكحول العينين ، أشعث أغبر ؛ وإنما كان يكحل عينيه من أجل غبار الحناء .

واعلم ان هؤلاء الأوتاد يحوون على علوم جمة كثيرة ، فالذي لابد لهم من العلم به ، وبه يكونون أوتاداً ، فما زاد من العلوم ، فمنهم من له خمسة عشر علما ، ومنهم من له ولابد ثمانية عشر علما ، ومنهم من له واحد وعشرون علما ، ومنهم من له أربعة وعشرون علما ، فإن أصناف العدد كثيرة ، هذا العدد من أصناف العلوم لكل واحد منهم لابد له منه ، وقد يكون الواحد أو كلهم يجمعون علم الجماعة وزيادة ، ولكن الخاص لكل واحد منهم ما ذكرنا من العدد ، فهو شرط فيه ، وقد لا يكون له ولا لواحد منهم علم زائد ، لا من الذي عند أصحابه ولا مما ليس عندهم ، فمنهم من له الوجه ؛ وهو قوله تعالى عن إبليس : « ثم لآتيتهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم » ولكل جهة وتد يشفع يوم القيامة فيمن دخل عليه إبليس من جهته ، فالذي له الوجه له من العلوم : علم الاصطلام والوجد والشوق والعشق وغامضات المسائل ، وعلم النظر وعلم الرياضة وعلم الطبيعة ، والعلم الإلهي وعلم الميزان وعلم الأنوار وعلم السبحات الوجهية وعلم المشاهدة وعلم الفناء ، وعلم تسخير الأرواح وعلم استنزال الروحانيات العلى ، وعلم الحركة وعلم إبليس وعلم المجاهدة وعلم الحشر وعلم النشر وعلم موازين الأعمال ، وعلم جهنم وعلم الصراط ـ والذي له الشمال له : علم الأسرار وعلم الغيوب وعلم الكنوز وعلم النبات وعلم المعدن وعلم الرسوخ وعلم الثبات وعلم المقام وعلم القدم ، وعلم الفصول المقومة وعلم الأعيان وعلم السكون وعلم الدنيا وعلم الجنة وعلم الخلود وعلم التقلبات ـ والذي له اليمين

ومنهم رضي الله عنهم **أبو عبد الله محمد بن أشرف الرندي** رضي الله عنه من الأبدال (١) ، شيخ الجبال والسواحل واقتطع بها لا يأوي إلى معمور قريبا من ثلاثين سنة، كان قوي الفراسة كثير البكاء طويل القيام دائم الصمت،كثيراً ما ينكث بأصبعه في الأرض مطرقاً متفكراً ، يرفع رأسه فيتنفس الصعداء ، لصدره أزيز ، شديد الوجد غزير الدمعة ، صاحبته وعاشرته زماناً ، كان إذا وقعت عينه عليَّ فرح بي

له : علم البرازخ وعلم الأرواح البرزخية وعلم منطق الطير وعلم لسان الرياح وعلم التنزل وعلم الاستحالات وعلم الزجر وعلم مشاهدة الذات وعلم تحريك النفوس وعلم الميل وعلم المعراج وعلم الرسالة وعلم الكلام وعلم الأنفاس وعلم الأحوال وعلم السماع وعلم الحيرة وعلم الهوى ــ والذي له الخلف له : علم الحياة وعلم الأحوال المتعلقة بالعقائد وعلم النفس وعلم التجلي وعلم المنصات وعلم النكاح وعلم الرحمة وعلم التعاطف وعلم التودد وعلم الذوق وعلم الشرب وعلم الري وعلم جواهر القرآن وعلم درر الفرقان وعلم النفس الأمارة ، فكل شخص كما ذكرنا لابد له من هذه العلوم ، فما زاد على ذلك فذلك من الاختصاص الإلهي .

ف ح ١٦٠/١ ــ ح ٧/٢ ــ ح ٥١٩/٣ ، ٥٢١

(✱) الروحانية الإلهية هي روحانية اسم من الأسماء الإلهية ، والروحانية الإليّة هي روحانية ملك من الملائكة الأربعة: إسرافيل وميكائيل وجبرائيل وعزرائيل عليهم السلام.

(١) الأبدال ــ آ

كل ما نذكره من الرجال باسم الرجال قد يكون منهم النساء ولكن يغلب ذكر الرجال ، قيل لبعضهم كم الأبدال ؟ فقال : أربعون نفساً ، فقيل له : لم لا تقول أربعون رجلاً ؟ فقال : قد يكون فيهم النساء ــ فمن الرجال الأبدال وهم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون ، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة ، لكل بدل إقليم فيه ولايته ، الواحد منهم على قدم الخليل عليه السلام وله الإقليم الأول ، وأسوقهم على الترتيب إلى صاحب الإقليم السابع ، والثاني على قدم الكليم عليه السلام ، والثالث على قدم هارون ، والرابع على قدم إدريس ، والخامس على قدم يوسف ، والسادس على قدم عيسى ، والسابع على قدم آدم ، على الكل السلام ، وهم عارفون بما أودع الله سبحانه في الكواكب السيارة من الأمور والأسرار في حركاتها ، ونزولها في المنازل المقدرة ، ولهم من الأسماء أسماء الصفات ، فمنهم عبد الحي وعبد العليم وعبد المريد

واستبشر ، خرج عن مال وافر ، كان من أعين[1] مَنْ في موضعه ، خرجت وقتاً من مدينة شذونة أريد الساحل في طلب الرجال ، فتبعني شاب لا ثبات بعارضيه يريد صحبتي ، فأخذته معي فقام أمامي شخصان ، الواحد أسمر طويل يقال له عبد السلام السائح يجول في الأرض لا يقر له قرار ، ومعه آخر يقال له محمد بن الحاج من بني جواد ، وكانا يمشيان مشياً سريعاً فلحقتهما ، وكان بيني وبينهما خمسة أميال فمررت عليهما مستعجلا ، وكان يوم جمعة ، فأويت إلى قرية يقال لها روطة من أجل صلاة الجمعة ، فدخلت مسجد الجماعة ، فركعت ركعتين وهو موضع يطرقه الصالحون ، رباط حسن له بركات مشهورة، فاتفق لي بها قصة ، فلم ألبث أن جاء هذا أبو عبد الله ابن أشرف ، فلما دخل قام إليـــه ذلك السائح وصاحبه فسلما عليه وعرفاه ، وأنا مضطجع في الجامع أضرب بيدي على صدري ، وأغني شعراً :

وعبد القادر ، وهذه الأربعة هي أربعة أسماء الأوتاد ، ومنهم عبد الشكور وعبد السميع وعبد البصير ، لكل صفة إلهية رجل من هؤلاء الأبدال ، بها ينظر الحق إليهم وهي الغالبة عليه ، وما من شخص إلا وله نسبة إلى اسم إلهي ، منه يتلقى ما يكون عليه من أسباب الخير ، وهم بحسب ما تعطيــه حقيقة ذلك الاسم الإلهي من الشمول والإحاطة ، فعلى تلك الموازنة يكون علم هذا الرجل ، وسموا هؤلاء أبدالاً لكونهم إذا فارقوا موضعاً يريدون ان يخلفوا بدلاً منهم في ذلك الموضع لأمر يرونه مصلحة وقربة، يتركوا به شخصاً على صورته ، لا يشك أحد ممن ادرك رؤية ذلك الشخص انه عين ذلك الرجل ، وليس هو بل هو شخص روحاني يتركه بدله بالقصد على علم منـــه ، فكل من له هذه القوة فهو البدل ، ومن يقيم الله عنه بدلا في موضع ما ولا علم له بذلك فليس من الأبدال المذكورين ، ورأينا هؤلاء السبعة الأبدال بمكة لقيناهم خلف حطيم الحنابلة ، وهنالك اجتمعنا بهم ، فما رأيت احسن سمتاً منهم ، وكنا قد رأينا منهم موسى السدراني بإشبيلية سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وصل إلينـــا بالقصد واجتمع بنا ، ورأينا منهم شيخ الجبال محمد بن اشرف الرندي ، ولقي منهم صاحبنا عبد المجيد بن سلمة شخصاً اسمه معاذ بن اشرس كان من كبارهم وبلغني سلامـــه علينا ، سأله عبد المجيد هذا عن الأبدال بماذا كانت لهم هذه المنزلة ؟ فقال : بالأربعة التي ذكرها أبو طالب المكي ، يعني الجوع والسهر والصمت والعزلة .

(١) من أعين يعنى من السادة ومن أكبر القوم ومن أكثرهم مالاً .

ضاحك عن جمان سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان وحواه صدري

فجاء إلي وأقامني وقال : أتريد أن تستتر نفسك ، فقلت له : وكذلك تفعل أنت ، فكان كما قلت ، فأقبل إلي شيخ القرية ورغب أن أفطر عنده أنا ومن شئت ، فقال لي ابن أشرف : لا تأكل من هذا الطعام شيئاً واحمل جميع الفقراء فإذا أكلوا تأتي وتفطر معي ، فكان ذلك ، وأخبرني بأمور كثيرة ووعدني أن ألقاه بإشبيلية ، فأقمت معه ثلاثة أيام وانصرفت ، فأخبرني بكل ما يتفق لي بعد مفارقته حرفاً حرفاً ، فكان ذلك كذلك ، فلما وصلت إلى إشبيلية أقام الله بخاطري الرحلة إليه لأراه وأتنفع به ، وكان ذلك يوم الثلاثاء ، فشاورت الوالدة في السفر فأذنت لي ، فلما كان في غد قرع إنسان علي الباب فخرجت ، فوجدت إنساناً من البادية فقال : أنت محمد بن العربي ؟ فقلت له : نعم ، قال : كنت أمشي بين ملجانة ومرشانة بالأمس اثني عشر فرسخاً من إشبيلية فلقيني رجل له هيبة وهمهمة فقال : أنت تسير إلى إشبيلية ؟ قلت : نعم ، قال : سل عن دار محمد بن العربي واجتمع معه وقل له صاحبك الرندي يقرئك السلام ، وهذا كان طريقه إليك ، ولكن خطر لك الساعة أن ترحل إلى تونس فسر مسلماً عافاك الله ، واجتماعنا إن شاء الله تعالى إذا وصلت إشبيلية ، فكان كما قال ، فرحلت أنا في اليوم الثاني لزيارته وغبت عن موضعي ، ويوم وصولي أو ثانيه اجتمع بي وبت معه في دار أبي عبد الله القسطيلي ، وكان سبب شهرته رضي الله عنه أنه كان كثيراً ما يقعد في جبل شامخ على موزور ، فمشى بعض الناس فيه لحاجة ، فرأى عموداً من نور قائماً يتشعشع ولا يستطيع النظر إليه ، فقصده فوجد ذلك النور صاحبنا أبا عبد الله وهو قائم يصلي فأشهره ، وكان يحترف بجمع البابينا من الجبال ويأتي بها إلى المصر يبيعها وينصرف ، له غرائب وعجائب عاينتها ، لقيه القطاع وهو على عين قاعد فقالوا له : ألق ما عليك من الثياب أو تموت ، فبكى وقال : والله لا أحسنت عونكم على معصية ، إن أمرتم بشيء فافعلوه ، ثم أخذته غيرة في دين الله. فنظر إليهم نظرته المشهورة ففروا ، سألني يوما بالساحل عن قوله تعالى « ما أريد

منهم من رزق وما أريد أن يطعمون » فلم أجبه وتركته ، واجتمعت به بعد ذلك بأربع سنين ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، قال : نعم ، قلت : خذ جوابك ، قال : هات بعد أربع سنين وصل الوقت ؟ فأجبته فيها وتعجبت من حضوره فيها (1) ، وكنت أتمنى أبدا أن يراه صاحبي عبد الله بدر الحبشي ، فلما دخلت الأندلس معه نزلنا برندة ، فصلينا على جنازة فإذا بأبي عبد الله أمامي ، فقلت لصاحبي عبد الله : هذا فلان ، فسر بعضنا ببعض ، ودخلت به الموضع الذي نزلت به ، فقال صاحبي عبد الله : وددت أن أرى من كراماته شيئا ، فلما جاء المغرب وصلينا أبطأ الذي نزلنا عنده بالمصباح ، فقال صاحبي عبد الله الحبشي : أريد المصباح ، فقال أبو عبد الله : نعم ، ثم أخذ بيده قبضة من حشيش من البيت الذي كنا فيه ونحن ننظر ما يصنع ، فضربها بأصبعه المسبحة وقال : هذه نار ، فاشتعل الحشيش ناراً ، فأشعلنا المصباح ، وكان يغترف النار بيده من الكانون لحاجة ما ، فيمسكه ما شاء الله ولا تعدو عليه ، وكان من الأميين ، سألته عن بكائه يوماً فقال : آليت أن لا أدعو على أحد ، فأغاظني رجل فدعوت عليه فهلك فندمت على ذلك إلى الآن ، فكان رضي الله عنه رحمة للعالم ، وأخباره كثيرة يضيق وقتنا عن شرحها رحمة الله عليه .

---

(1) تفسير قوله تعالى : ((ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون)) الآية

إن الله تعالى يتنزه عن الغذاء والأكل ، فإنه سبحانه لا ينبغي له أن يطعم ، ثم إن الله تعالى علم من بعضهم انه يقوم له شبهة في السعي فيما خلق من اجله في حق الغير ، لما بلغه ان الله يقول : « جعت فلم تطعمني » وقال لما قال له العبد : « يا رب كيف تطعم وأنت رب العالمين » فقال الله له : « ألم تعلم أنه استطعمك فلان فلم تطعمه ، اما أنك لو اطعمته وجدت ذلك عندي » فأنزل الحق نفساً منزلة ذلك الجائع ، فلاحت له هذه الشبهة ، فقال : نسعى في حق الغير ونتفع بما نسعى به بحكم التبع ، فقال الله له : « ما فهمت عني — ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين لا أنتم » فما بقيت لهم حجة بتمام الآية ، وأما اعتمادهم على ذلك الخبر ، فلا يقوم لهم به حجة عند الله ، فإنه تعالى لما خلق الأشياء من اجلك التي بها قوامك ، أعطاك إياها وأوصلها إليك ، ليكون بها قوامك ، ثم أفضل لبعضهم من ذلك ما يزيد على قوامهم ليوصله إلى غيره ، ليكون به قوام ذلك الغير ، ويحصل لهذا

ومنهم رضي الله عنهم **موسى ابو عمران السدراني** رضي الله عنه ، كان من الأبدال ، وكان مجهولا له عجائب وغرائب ، كان سبب اجتماعي به أني قعدت بعد صلاة المغرب بمنزلي بإشبيلية في حياة الشيخ أبي مدين وتمنيت أن لو اجتمعت به ، والشيخ في ذلك الزمن ببجاية مسيرة خمسة وأربعين يوماً ، فلما صليت المغرب تنفلت بركعتين خفيفتين ، فلما سلمت دخل عليّ هذا أبو عمران فسلم ، فأجلسته إلى جانبي وقلت : من أين ؟ فقال : من عند الشيخ أبي مدين من بجاية ، قلت : متى عهدك به ؟ قال : صليت معه هذا المغرب فرد وجهه إليّ وقال : إن محمد بن العربي بإشبيلية خطر له كذا وكذا ، فسر إليه الساعة وأخبره عني بكذا وكذا ، وذكر ما خطر لي من رغبتي في لقاء الشيخ ، وقال لي : يقول لك أما الاجتماع بالأرواح فقد صح بيني وبينك وثبت ، وأما الاجتماع بالأجسام في هذه الدار فقد أبى الله ذلك ، فسكن خاطرك والموعد بيني وبينك عند الله ، مستقر رحمته ، وذكر كلاماً خلاف هذا ورجع إليه ، كان هذا موسى رضي الله عنه من أهل السعة في الدنيا فخرج عنها ففتح الله عليه في ثمانية عشر يوماً التحق بالأبدال ، كان يتبوأ من الأرض حيث يشاء ، وشي به إلى السلطان فأمر بتقييده فقيد بالحديد وسير به إليه ، فلما قرب من فاس ألقي في بعض المنازل في بيت وأقفل عليه وبات عليه الحرس ، فلما أصبح الصبح فتح الباب فوجدوا الحديد الذي كان عليه مطروحاً وما وجدوا أحداً ، دخل فاس وقصد دار أبي مدين شعيب فقرع عليه الباب ، فخرج الشيخ بنفسه وقال له : من أنت ؟ قال : أنا موسى، قال له الشيـــخ : وأنا شعيب ، ادخل لا تخف نجوت من القـــوم الظالمين ، أخبرني

اجر اداء الأمانة التي أمنه الله عليها ، فذلك هو الذي عتبه الحق حيث استطعمه فلان وكان عنده ما يفضل عن قوامه فلم يعطه إياه ، فما يلزم من هذا الخبر أن يسعى في حق الغير ، وهو المراد في تمام الآية بقوله تعالى : « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » وبقي الإنسان لما خلق له وهو قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ومن هذا المقام يقول العارف : « من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره » .

ف ح ٣/٧٤ ، ١٢٤

شيخي أبو يعقوب الكومي عنه أنه وصل جبل قاف المحيط بالأرض ، فصلى الضحى بأسفله وصلى العصر على ذروته ، سئل عن ارتفاعه في الهواء فقال مسيرة ثلثمائة سنة ، وأخبر أن الله طوق هذا الجبل بحية اجتمع رأسها بذنبها ، فقال له صاحبه الذي كان معه : سلم على هذه الحيـــة تردّ عليك ، قال موسى : فسلمت عليها ، فقالت : وعليك السلام يا أبا عمران، كيف حال الشيخ أبي مدين ؟ فقلت لها: وأنى لك بمعرفة أبي مدين ؟ فقالت : عجباً !! وهل على وجه الأرض من يجهل حاله ؟ إن الله تعالى قد أنزل حبه إلى الأرض ونادى به ، فعرفته أنا وغيرى ، فلا شيء من رطب ولا يابس إلا ويعرفه ويحبه [1] ، دخل هذا موسى أرضاً رأى النمل فيها على قدر المعز ، عجيبة الخلق ، ولقي عجوزاً خراسانية واقفة على البحر والأمواج تصطفق بين ساقيها وهي تسبح الله وتقدسه ، شأنه عجيب وحديثه طويل رحمه الله تعالى .

---

(١) جبل قاف والحية المحيطة به

أخبرنا صاحبنا موسى السدراني ، وكان صاحب خطوة محمولا ، قال : لما وصلت إلى جبل قاف ، وهو جبل عظيم طوق الله به الأرض ، وطوق هذا الجبل بحية عظيمة قد جمع الله راسها إلى ذنبها بعد استدارتها بهذا الجبل ، قال موسى : فاستعظمت خلقها ، قال : فقال لي صاحبي الذي كان يحملني : سلم عليها فإنها ترد عليك ، قال : ففعلت ، فردت السلام وقالت : كيف حال الشيخ أبي مدين ؟ فقلت لها : وانى لك بالعلم بهـــذا الشيخ ؟ فقالت : وهل على وجه الأرض احد يجهل الشيخ ابا مدين ؟ فقلت لها : كثير يستخفونه ويجهلونه ويكفرونه ، فقالت : عجبا لبني آدم « إن الله مذ انزل محبته إلى من في الأرض وإلى الأرض ، عرفته جميع البقاع والحيوانات ، وعرفته انا في جملة من عرفه ، فما تخيلت ان احداً من اهل الارض يبغضه ، ولا يجهل قدره ، كما هم اهل السماء في حق من احبه الله ، فلما سمعت منه هذه الحكاية قلت : أين هذا الأمر في كتاب الله ؟ قال : لا ادري ، قلت له : لما خلق الله آدم الإنسان الكامل على الصورة أعطاه حكمها في العالم حتى تصح النسبة والنسب ، فقال تعالى : « الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض » فأطلق « والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب » فعمّ الأمهات والمولدات وما ترك شيئاً من اصنـــاف المخلوقات ، فلما وصل بالتفصيل إلى ذكر الناس قال : « وكثير من الناس » ولم يقل كلهم ، فجعل عبده الصالح المحبوب في الحكم على صورته ، فأحبه بحب الله جميع

ومنهم رضي الله عنهم **ابو محمد مخلوف القبايلي** رحمه الله تعالى ، سكن قرطبة ــ حتى مات ــ عن إذن رسول الله ﷺ ، حملت إليه والدي رحمه الله تعالى فدعا له ، وأمسكنا عنده من غدوة حتى صلينا العصر وأكلنا من طعامه ، كنتَ إذا دخلت بيته أخذك الحال قبل أن تراه ، فإذا رأيته رأيت منظراً عظيماً ، عليــه ثوب صوف ، كان ذاكراً على الدوام خلاف أوراده ، كان له كل يوم خلاف ذكره كذا كذا ألف تسبيحة ، وكذلك التكبير والتحميد والتهليل ، كان يعم بدعائه أهل السموات وأهل الأرض حتى الحيتان في البحر ، كان سريع العَبرة دائم العِبرة ، أراد أن يحفر بئراً في داره فسيق إليه علج مأسور ليحفره ، فقال رضي الله عنه : هذا العلج قد خدمنا فنسأل الله في إسلامه ، فخلا بنفسه ليلته يسأل الله فيه ، فلما أصبح أقبل العلج لشغله وقد أسلم ، فسئل عن سبب ذلك فقال : رأيت النبي ﷺ وأمرني أن أؤمن به فآمنت، وقال : بشفاعة أبي محمد مخلوف فيك قبلتك أو كلام هذا معناه ، تركته في عافية وانصرفت إلى منزلي ، فلما جاء الليل وأخذت مضجعي رأيت في المنام كأني بأرض واسعة وسحاب يدنو ، فيها صهيل الخيل وقعقعة اللجم ، وأرى أشخاصاً ركباناً وعلى أقدامهم ينزلون في ذلك الفضاء حتى امتلأ بهم الفضاء ، ما رأيت قط أحسن وجوهاً منهم ولا أنقى ثياباً ولا أحسن من خيلهم ، وكنت أرى فيهم رجلا طويلا في الرجال

من في السموات ومن في الأرض على هــذا التفصيل « وكثير مــن الناس » لا كلهم ، فكفروه كما كفروا بالله ، وشتموه كما شتموا الله تعالى ، وكذبوه كما كذبوا الله تعالى .

ف ح ٣/١٣٠

حديث المحبة الإلهية

قال رسول الله ﷺ : إن الله إذا أحب عبــداً دعا جبريل فقال : إني احب فلاناً فاحبه ، قال فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، قال : ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني ابغض فلاناً فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في اهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه . قــال : فيبغضونه ، ثــم توضع له البغضاء في الأرض ــ اخرجه مسلم .

عظيم اللحية أشيب ، يده على خده ، واسع الوجه ، فكنت أخاطبه من بين الجماعة كلها أقول له : أخبرني ما هذا الجم الغفير ؟ فيقول لي : هؤلاء جميع النبيين من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام ، ما بقي أحد منهم إلا نزل ، فقلت : من أنت فيهم ؟ فقال : أنا هود صاحب عاد ، فكنت أقول له : فيم جئتم ؟ فيقول : جئنا عواداً زائرين أبا محمد ، فاستيقظت فسألت عن أبي محمد مخلوف ، فوجدته قد مرض من تلك الليلة ، فلبث أياما ومات رحمه الله تعالى .

ومنهم رضي الله عنهم **صالح الخراز** رضي الله عنه ، كان بإشبيلية من أهل الجد والاجتهاد والورع في العبادة أقبل على العبادة وهو ابن سبع سنين أو دونها ، كان مبهوتاً أبداً ما لعب قط مع الغلمان ولا كلمهم ، يعمل الخرز من أجل ورعه حتى يأكل من عمل يده ، كان له والدة وكان باراً بها ، نسخ بيده مع صغر سنه كتاب ابن العسال الكبير ، ولازم العزلة ، كان طويل الصمت ، يقول أصحابه الذين كانوا معه : ما كلمنا قط إلا فيما لابد منه ، عاشرته وأحببته وأحبني ، كان إذا قال قولا لا يرجع عنه لأنه لا يقول إلا عن صدق ، لا يقضي حاجة أبدا ولا يعمل شغلا قط لمن يعرف

اقول انا محمود محمود الغراب ، إن قصة هذه الحية وما بعدها إما ان تحمل على ما اخفاه الله عن اعين أكثر الناس مثل ما اخفى سد ذي القرنين ، ومثل ما اخفى ياجوج وماجوج ، ومثل إرم ذات العماد ، وهو ما نص عليه القرآن ووجب الإيمان به ، مع عدم ظهور ذلك إلى الآن ، ووجود المسح الجوي والتصوير بأحدث الطرق العلمية ، ومثل ما اخفى المسيح الدجال والجزيرة التي يقيم بها على ما جاء في صحيح مسلم من حديث تميم الداري ، ولا يعلم احد إلى الآن اثراً لهذه الجزيرة ، فإذا جاء وعد الله تعالى جعل السد دكا ، ومتى جاء أمر الله تعالى ظهر المسيح الدجال ، وإما ان يحمل هذا على ارض الحقيقة ارض الخيال ارض السمسمة مسرح عيون العارفين ، وهي حقيقة لمن عرف الفرق بين عالم الخيال المتصل وعالم الخيال المنفصل ، ومن هذه الحقيقة قال رسول الله ﷺ لبعض اصحابه : « إني لست كهيئتكم ، اني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني » حقيقة لا مجازاً ، والله اعلم .

راجع كتابنا الخيال ص ٢١

منه أنه يراه بعين التعظيم ، أكثر شغله إنما كان مع الغرباء الذين يطرقون المدينة ، لا يعرفونه ولا يعرفهم ، قصد إليه بعض أصحابنا بنعله وقد قطعه عمداً ليجد سبيلا إلى مكالمته ، فسلم عليه فرد عليه السلام ، فقال له : هذا نعلي اخرزه ، فقال له : إن هذا النعل بيدي أصلح شأنه لصاحبه وقد دفع إلي أجره ، وأنا واقف بحيث لا يراني ، فقال له : أمسكه عندك حتى تفرغ من هذا النعل وتصلحه ، فقال : ولعلي أموت قبل ذلك ، ترى غيري دون شغل ، ادفعه له ، فقال : ما أريد أن يصلحه أحد إلا أنت ، قال : قد قلت لك ما سمعت ، واشتغل بذكره ، قال له : تراني أقعد هنا ونعلي عندي حتى تتمه وتصلحه ، قال : ذلك لك إن شئت ولكن حتى أعرفك بأجري عليه ، قال له : قل ، قال : أجري عليه ثمن درهم ، قال له الرجل : أنا أدفع لك ربع درهم ، قال : ما يساوي ، قال له الرجل : ذلك مني مسامحة ، قال : غيري أحوج إليه مني إن كنت تعطي لله ، فإني قد أخذت قوت اليوم ، قال : لابد من ذلك ، قال له : قد صدعتني يا إنسان سر عني لا أعمل لك شغلا ، وأقبل على ذكره وشغله ، فرجع الرجل إليَّ منكسر القلب ، فقلت له : لقد طولت عليه ، ارجع إليه مرة أخرى وقل له اخرزه لي ابتغاء ثواب الله ، لا أدفع لك عليه شيئاً ، فرجع إليه فقال له ذلك ، فنظر إليه ساعة وقال له : أنت مرسول ، ثم التفت وأبصرني ، فقال له : اترك نعلك وانصرف عني ، فإذا كان العصر فأتني ، فإن وجدتني حياً دفعته لك ، وإن وجدتني ميتاً فتراني أوصي لك به هذا الجار ، ثم التفت وأشار إلي فأقبلت إليه ، فقال : هكذا تفعل الأصحاب؟! يقابلون إخوانهم بما يسوءهم ، لا تعد لمثلها ، ولولا ما جعل الله لك في قلبي من الألفة ما رأيتك ، ولكن استر عليَّ ، فلم أعرّف بعد ذلك أحداً بحاله رضي الله عنه ، انتقل إلى سكن البادية يبتغي الانفراد والعزلة .

ومنهم رضي الله عنهم **عبد الله الخياط** رضي الله عنـــه ـــ اجتمعت به بجامع العديس وهو ابن عشر سنين أو إحدى عشرة سنة ، وهو ذو طمرين ، منتقع اللون كثير الفكر ، شديد الوجد والتوله ، كنت قد فتح لي في هذا الطريق وما علم بي أحد ، فأردت الموازنة معه ، فنظرت إليه فتبسم ونظر إلي ، وأشرت إليه وأشار إلي ، فوالله

ما رأيت نفسي بين يديه إلا كدرهم زائف ، وقال لي : الجد الجد ، فطوبى لمن عرف ما خلق له ، وصلى معي العصر وأخذ نعله وسلم عليّ وانصرف ، فذهبت أشيعه أعرف منزله فلم أجد له أثراً ، فسألت عنه فلم أجد أحداً يخبرني عنه ، فما بقيت فيّ راحة دونه ، ولم أره بعد ذلك ولا سمعت به إلى الآن ، فمنهم صغير ومنهم كبير ، رضي الله عنهم •

ومنهم رضي الله عنهم **ابو العباس احمد بن همام** رضي الله عنه ، من أهل إشبيلية ، ألهمه الله رشد نفسه ، وأقبل على العبادة قبل أن يبلغ الحلم ، وكان ذا جد يبكي أبداً على نفسه كأنه الثكلى على وحيدها ، كان له والد يحول بينه وبين طريق الله ، فلما اشتد ذلك عليه قال لي : يا أخي اشتد علي الأمر ، وقد طردني أبي وقال لي : سر حيث شئت ، وأنا أريد الخروج إلى ثغور المسلمين لجهاد العدو وأرابط بموضع منها حتى أموت ، فمشى إلى ثغر منها يقال له جلمانية ولم يزل بها حتى الآن، وصل إلى إشبيلية بعد ذلك ، أخذ أسباباً يحتاج إليها ورجع يرابط بها[1] ، كان أبداً ملازماً في دار عبد الله الخياط الذي تقدم ذكره •

---

(١) السائحون

من الأولياء أيضاً السائحون ، وهم المجاهدون في سبيل الله من رجال ونساء ، قال ﷺ : « سياحة امتي الجهاد في سبيل الله ، قال تعالى : « التائبون العابدون الحامدون السائحون » والسياحة المشي في الأرض للاعتبار برؤية آثار القرون الماضية ، ومَن هلك من الأمم السالفة ، وذلك أن العارفين بالله لما علموا ان الأرض تزهو وتفخر بذكر الله عليها ، وهم رضي الله عنهم اهل إيثار وسعي في حق الغير ، وراوا أن المعمور من الأرض لا يخلو عن ذكر الله فيه من عامة الناس ، وأن المفاوز المهلكة البعيدة عن العمران لا يكون فيها ذاكر لله من البشر ، لزم بعض العارفين السياحة صدقة منهم على البيداء التي لا يطرقها إلا أمثالهم ، وسواحل البحار وبطون الأودية وقنن الجبال والشعاب ، والجهاد في أرض الكفر التي لا يوحد الله تعالى فيها ، ويعبد فيها غير الله ، ولذلك جعل النبي ﷺ سياحة هذه الأمة الجهاد ، فإن الأرض وإن لم يكفر عليها ولا ذكر الله فيها أحد من البشر فهي أقل حزناً وهماً من الأرض التي عبد غير الله فيها وكفر عليها ، وهي أرض المشركين والكفار ، فكان السياحة بالجهاد افضل من السياحة

ومنهم رضي الله عنهم **أبو احمد السلاوي** رضي الله عنه ، وصل إلينا إلى إشبيلية وأنا في تربية شيخنا أبي يعقوب ، كان هذا أبو أحمد رحمه الله قوي الحال ، صحب أبا مدين ثماني عشرة سنة ، كان كثير الاجتهاد والعبادة شديد البكاء ، بت معه شهراً كاملا بمسجد ابن جراد ، فقمت ليلة أريد أن أصلي فتوضأت وجئت إلى مسقف المسجد ، فرأيته قائماً عند باب المسقف والأنوار متصلة منه إلى السماء ، وبقيت واقفاً أنظر فلا أدري أمن السماء نزلت عليه تلك الأنوار حتى اتصلت به أو منه انبعثت حتى اتصلت بالسماء ، فلم أزل واقفاً عليه أتعجب من حاله حتى استيقظ وتوضأ وقام يصلي ، كان إذا بكى آخذ الدموع إذا سقطت من عينيه على الأرض فأمسح بها وجهي فأجد فيها رائحة المسك ، فأتخذها طيباً يشمها الناس عليّ فيقولون هذا المسك من أين اشتريته (1) .

في غير الجهاد ، ولكن بشرط ان يُذكر الله عليها ولابد ، فإن ذكر الله في الجهاد أفضل من لقاء العدو ، فيضرب المؤمنون رقابهم ويضرب الكفار رقاب المؤمنين ، والمقصود إعلاء كلمة الله في الأماكن التي يعلو فيها ذكر غير الله ممن يُعبد من دون الله ، فهؤلاء هم السائحون ، لقيت من أكابرهم يوسف المغاور الجلاء ، ساح مجاهداً في أرض العدو عشرين سنة ، وممن رابط بثغر الأعداء ، شاب بجلمانية ، نشأ في عبادة الله تعالى ، يقال له أحمد بن همام الشقاق ، بالاندلس ، وكان من كبار الرجال مع صغر سنه ، انقطع إلى الله تعالى على هذه الطريق وهو دون البلوغ ، واستمر حاله على ذلك إلى أن مات . ـ ف ح ٢/٣٣

(1) قوله تعالى : ((وانه هو أضحك وأبكى))

اعلم انه ثمّ تجل يضحك ، وما رايت احداً في هذا الطريق من اهل الضحك إلا واحداً يقال له : ((عليّ السلاوي)) سحت معه وصحبته سفراً وحضراً بالأندلس ، لا يفتر عن الضحك ، شبه الموله ، وما رايته جرى عليه قط لسان ذنب .

يحتمل ان يكون ((على السلاوي)) هو ((أبو احمد السلاوي)) ولا تعارض بين الحالين ، ويحتمل ان الوصف الذي جاء في ترجمة السلاوي هو ترجمة ((يوسف المغاور الجلا)) حيث يقول الشيخ عنه : أما البكاؤون فما رايت إلا واحداً يوسف المغاور الجلا ، سنة ست وثمانين وخمسمائة بإشبيلية ، وكان يلازمنا ويعرض أحواله علينا ،

ومنهم رضي الله عنهم **ابو إسحق إبراهيم بن احمد بن طريف العبسي** ، شيخ أبي عبد الله القرشي رضي الله عنهما ، كان بديار مصر ، وكان سمح الخلق لين الجانب، قائلا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم، من أهل الجد والاجتهاد، كان يحن إلى العزلة ولا يقدر عليها من أجل الحرفة ، كان يبيع الفخار ، قيد كثيراً من كتب الطريق ، كانت المعاملة غالبة عليه ، يحب المعارف ويحن إليها ، كان سبب موته أن رجلا مر به فقال له : يا سيدي مر عليك فلان ؟ يسأله عن إنسان من أهل البلد ، وكان ذلك قد ابتلاه الله في عنقه بداء نسميه عندنا نغنغة ، فلم يعرفه الشيخ جداً ، فألح عليه الرجل في السؤال ، فقال له : أراك والله تسأل عن ذلك الرجل صاحب النغنغة في عنقه ، قال : عنه أسأل ، قال الشيخ : فناداني الحق في سري ، يا إبراهيم ما تعرف عبادنا إلا بما نبتليهم به ؟! ما كان له اسم تذكره به ، لأميتنك بها ، فأصبح وقد خرجت في عنقه ، فقاساها يسيراً ثم مات رحمه الله تعالى ، أخبرني بهذه الحكاية ابنه محمد ، بالحرم ، وقال لي : قال لي أبي : ما غلطت في مثل هذا النوع منذ عشرين سنة[1] ، قصدته في بلده مرتين وكان يحبني ، واجتمعت به مع صاحبي عبد الله بدر الحبشي في سبتة وفي بلده ، رضي الله عنه ونفع به .

كثير الجزع ، لا تفتر له دمعة ، صحبته في الزمان الذي صحبت الضحاك ، فأحد الرجلين هو الضحاك والآخر هو البكاء . ــ ف ح ١٨٧/٢

(١) الشيخ لا ينسى أهل زمانه

الطريق يقتضي ان الشيخ لا ينسى اهل زمانه ، فكيف مريده المختص بخدمته ، فإن من فتوة اهل هــذا الطريق ومعرفتهم بالنفوس انهم إذا كان يوم القيامة وظهر ما لهم من الجاه عند الله ، خاف منهم من آذاهم هنا في الدنيا ، فأول ما يشفعون يوم القيامة فيمن آذاهم قبل المؤاخذة ، وهذا نص أبي يزيد البسطامي ، وهو مذهبنا ، فإن الذين أحسنوا إليهم يكفيهم عين إحسانهم ، فهم بإحسانهم شفعاء انفسهم عند الله بما قدموه من الخير في حق هذا الولي ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، ومن عفا وأصلح فأجره على الله ، وذلك للعافين عن الناس ، بل الولي لا ينسى من يعرف الشيخ وإن كان الشيخ لا يعرفه ، فيسأل الله تعالى ان يغفر ويعفو عمن سمع بذكره فسبه وذمه أو اثنى عليه خيراً ، وهذا ذقتــه من نفسي واعطانيه ربي بحمد الله ، ووعدني

ومنهم رضي الله عنهم **ابو محمد عبد الله بن إبراهيم المالقي** ، عرف بالقلفاط ، صاحب أبا الربيع الكفيف وغيره ، كان صديقاً لإبراهيم بن ظريف ، كان هذا عبد الله يعمل على طريق الفتيان ، ولعمري لقد ظهر فيه وبدت عليه أعلامه ، ما تراه يمشي قط إلا في حق غيره ، لا يلتفت لنفسه ولا لحقها ، يقصد إلى البلد والحكام في حوائج الناس ، داره للفقراء مباحة ، حافظ للشريعة والآداب ، مشروح الصدر أكثر من إبراهيم بن طريف ، كان ابن طريف عنده جمود اجتمعت به مراراً عديدة وكان يميل إلى جانبي كثيراً ، اتفق لي يوماً بمدينة سبتة وهو بها مع ابن طريف أن وجه إليّ السلطان أبو العلا مائدتين ، ولم أكن حاضراً ، فأخذهما الفقراء الذين كانوا وصلوا إلى الموضع من أجلي وأكلوا ، وانقبض خواص أصحابي عنها ، فلما كان في الليلة الثانية وجه إلينا كذلك مائدتين، فلم أقبل ولم أرد، وكانوا قد أتوا إلينا فقراء بالقصد لما سمعوا أن السلطان يبعث إلينا ، فأقمت صلاة العشاء فصليت ، فقال بعض الفقراء ممن يدعي التشيخ : لا صلاة بحضرة طعام ، فسكت عنه ، فغضب حيث لم أجبه ،

بالشفاعة يوم القيامة فيمن ادركه بصري ممن اعرف ومن لا اعرف ، وعين لي هذا المشهد حتى عاينته ذوقاً صحيحاً لا اشك فيه ، وهذا مذهب شيخنا ايضاً ابي إسحق ابن طريف ، وهو من أكبر من لقيته ، ولقد سمعت هذا الشيخ يوماً وانا عنده بمنزله بالجزيرة الخضراء سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وقال لي : يا أخي والله ما أرى الناس في حقي إلا أولياء عن آخرهم ممن يعرفني ، قلت له : كيف تقول يا ابا إسحق ؟ فقال : إن الناس الذين رأوني او سمعوا بي إما ان يقولوا في حقي خيراً أو يقولوا ضد ذلك ، فمن قال في حقي خيراً واثنى علي فما وصفني إلا بصفته ، فلولا ما هو اهل ومحل لتلك الصفة ما وصفني بها ، فهذا عندي من أولياء الله تعالى ، ومن قال فيّ شراً فهو عندي وليّ اطلعه الله على حالي ، فإنه صاحب فراسة وكشف ناظر بنور الله ، فهو عندي وليّ ، فلا ارى يا اخي إلا ولياً لله ، وما قال لي هذا إلا من اجل كلام جرى بيني وبينه في حق إنسان من أهل سبتة كان خلف هذا الشيخ بخلاف ما كان يلقاه به ، فهذا بلغ من حسن اعتقاده ، وكان من الشيوخ الذين تحسب عليهم انفاسهم ، ويعاقبون على غفلاتهم ، ومات في عقوبة غفلة ذكرناها في **الدرة الفاخرة** عند ذكري إياه فيها . ـ ف ح ٦١٧/١

فقلت : أنا لم أقبل ذلك الطعام ، ولا أرى أن آكله فإنه عندي حرام ، ولا يمكن لي أن آمركم بأكله ، فإني أحب لكم ما أحب لنفسي ، ثم بينت وجه الحرام فيه ، ثم قلت: هذا طعام حاضر من استحله أكله ومن لم يستحله تركه، ودخلت إلى البيت الذي كنت فيه وأدخلت معي خواص أصحابي ، فلما أصبح مشى ذلك ووشى عند الوزير بأني أقول فيهم إنهم أهل حرام وغير ذلك ، فاغتاظ الوزير وقال : إن السيد والله هو الذي يتناول توجيه ذلك الطعام بنفسه ولا يبرح حتى يحمل أمامه ، وقام لذلك وقعد، فوصلت المسألة إلى السلطان وكان عاقلا ، فقال : نحن ما قصدنا إلا الخير وهو أعرف بحاله ، لا ندخل عليه مضرة ولا ما يسوءه ، وقبض ذلك عني ، فبلغ ذلك صاحبنا القلفاط فاجتمع بي وقد خاف عليَّ وعلى أصحابي مما يعرف من البلاد ، وعاتبني على ذلك وقال : يا فلان هذا في حق نفسك حسن ، غير أن المضرة تنسحب فيه على الطائفة ، وهؤلاء القوم ما يحتملون مثل هذا ، وقد قال بعضهم « ذل من ليس له ظالم يعضده وضل من ليس له عالم يرشده » فلما رأيت أن الرحمة غلبت عليه في حق الناس وتشديد الأمور ، والأخذ بالأرجح في المصلحة الدنيوية ، قلت له : بئس العبد لله من يستند إلى عدو الله ، لا رعى الله العالم إذا لم يرعوا حق الله ، حق الله أحق ، ونفضت يدي وقمت ، فانصرف فلقيت ابن طريف والخبر عنده ، فقال لي : السياسة أولى ، فقلت له : ما دام رأس المال محفوظاً فلا بأس ، فسكت رضي الله عنه [1] ، ولولا التطويل لذكرناهم عن آخرهم ، ولكن اقتصرت على هذا المقدار رغبة في الإيجاز والاختصار، وقد أفردت لذكرهم كتاباً سميته «الدرة الفاخرة في ذكر من انتفعت به في طريق الآخرة » ذكرت فيه مثل **عبد الله بن تاحمست** [2] يعده أهل

(١) ما دام رأس المال محفوظا اعني الدين . فقال ابن طريف صدقت وسكت عني . ــ ف ح ٤/٥٤٠

(٢) عبد الله بن تاحمست كان تمده رقيقة روحانية جبرائيلية ، وهو مطاع الباطن غير مطاع في الظاهر لو أمر . لكنه لا يأمر . فإنه ما امتاز عن العامة بشيء .

ف ح ٣/١٥ ، ٣٤

إشبيلية من الأبدال ، وآخر يقال له **الشحان** كان من الأبدال ، فزلّ وبقي حزيناً لا يكلم أحداً ، كنت إذا لقيته رحمته لما أراه فيه من الكرب الشديد .

ومنهم رضي الله عنهم الشيخ العارف السائح المتجرد المنقطع الصادق الصالح المسن **ابو يحيى بن ابي بكر الصنهاجي** ، من أهل المعارف والإشارات والتمكين قلّ أن تلقى مثله ، بيني وبينه مسائل من الحقائق كثيرة يضيق الوقت عن ذكرها ، ألفت من أجله « كتاب عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب » .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو العباس بن تاجة** من المجتهدين لم يزل المصحف بين عينيه حتى مات رحمه الله .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو عبد الله بن بسطام الباغي** من أهل باغة ، كان من أهل القرآن والليل .

ومنهم رضي الله عنهم **يوسف بن يعزي** بقرمونة ، من التالين لكتاب الله لا يتركه القرآن أن يتحدث مع أحد ، صواماً قواماً .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو الحسن القنوني** بمدينة رندة ، من أهل الفتوة[1] والمعارف السنية .

---

(١) الفتوة والفتيان

الفتى هو من آثر امر ربه على هوى نفسه ، والفتوة أن يؤثر الإنسان العلم المشروع الوارد من الله على السنة الرسل على هوى نفسه وعلى ادلة عقله وما حكم به فكره ونظره إذا خالف علم الشارع المقرر له ، فالفتيان أهل علم وافر ، وهم الذين حازوا مكارم الأخلاق اجمعها ، ولا يتمكن لاحد أن يكون حاله مكارم الأخلاق ما لم يعلم المحال التي يصرفها فيها ويظهر بها ، ولما لم يكن في وسع الإنسان أن يسع العالم بمكارم اخلاقه ، إذ كان العالم كله واقفا مع غرضه او إرادته لا مع ما ينبغي ، فاختلفت الأغراض والإرادات ، وطلب كل صاحب غرض او إرادة في الفتى ان يعامله بحسب غرضه وإرادته ، والأغراض متضادة ، فلم يتمكن عقلا ولا عادة أن يقوم الإنسان في هذه الدنيا او حيث كان في مقام يرضي المتضادين ، انبغى للفتى ان يترك هوى نفسه ويرجع إلى خالقه الذي هو مولاه وسيده ، ويقول : انا عبد وينبغي للعبد أن يكون بحكم سيده لا بحكم نفسه ولا بحكم غير سيده ، يتبع مراضيه ويقف عند حدوده ومراسمه ،

ولا يكن ممن جعل مع سيده شريكاً في عبوديته ، فيكون مع سيده بحسب ما يحد له ، ويتصرف فيما يرسم له ، ولا يبالي وافق أغراض العالم أو خالفهم ، فإن وافق ما وافق منها فذلك راجع إلى سيده ، والفتى من وقر الكبير في العلم أو في السن ، والفتى من رحم الصغير في العلم أو السن ، والفتى من آثر المكافىء في السن أو في العلم ، وينبغي للفتى أن يوفي السلطان حقه الذي أوجبه الله له عليه ، ولا يطلب منه حقه الذي جعله الله له قِبَلِ السلطان مما له أن يسامحه فيــه ، إن منعه منه ، فتوة عليه ورحمة به وتعظيماً لمنزلته ، إذ كان له أن يطلبه به يوم القيامة ، فالفتى من لا خصم له ، لأنه فيما عليه يؤديه ، وفيما له يتركه ، فليس له خصم ، والفتى من لا تصدر منه حركة عبثاً جملة واحدة ، وإن كانت الحركة في غيره فلا ينظرها عبثاً ، فإن الله خلقها أي قدرها ، وإذا قدرها فلا تكون عبثاً ولا باطلاً ، فيكون حاضراً مع هذا عند وقوعها في العالم ، فإن فتح له بالعلم في الحكمة فيها فبخ على بخ ، وهو صاحب عناية ، وإن لم يفتح له في العلم بالحكمة فيها فيكفيه حضوره في نفسه أنهــا حركة مقدرة منسوبة إلى الله ، وأن لله فيها سراً يعلمه الله ، فالفتيان هم السلاطين في صور العبيد ، يعرفهم الملأ الأعلى ، فليس أحد مما سوى الإنس والجن إلا ويقول بفضله إلا بعض الثقلين ، فإن الحسد يمنعهم من ذلك ، وهم يعاملون الخلق بالإحسان إليهم مع إساءتهم لهم ، فلهم القوة العظمى على نفوسهم ، حيث لم يغلبهم هواهم ولا ما جبلت النفس عليه من حب الثناء والشكر والاعتراف .

فالفتى ابن الوقت ، مخافــة المقت ، لا يتقيــد بالزمان كما لا يحصره المكان ، لا تصحب من إذا قلت له : « باسم الله » قال لك « أين تذهب » ليس للفتى من الزمان إلا الآن ، لا يتقيد بما هو عدم ، بل له الوجود الأدوم ، زمان الحال ، لا ينقال ، لا فتى إلا عليّ ، لأنه الوصي والولي ، الفتيان رؤساء المكانة والمكان ، لهم الحجة والسلطان ، والدليل والبرهان ، عليهم قام عماد الأمر ، وهم على قدم حذيفة في علم السر ، لهم التمييز والنقد ، وهم أهل الحل والعقد ، لا ناقض لما أبرموه ، ولا مبرم لما نقضوه ، ولا مطنب لما قوضوه ، ولا مقوض لما طنبوه ، إن أوجزوا أعجزوا ، وإن أسهبوا أتعبوا ، إليهم الاستناد ، وعليهم الاعتماد ، الفتى هو صاحب الفتوح ، ما عنده جموح ، سهل الهوى والانقياد ، ومع هذا فهو مع من زاد بزاد وبغير زاد ، الفتى من لا يزال للعلم طالباً ، ومن الجهل هارباً .

ف ح ١/٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ — ح ٢/٢٣٣ — ح ٤/٣٥٧

ومنهم رضي الله عنهم **اللهم صل على محمد الحداد** بمدينـــة إشبيليـــة ، كان مشتهراً بالصلاة على النبي ﷺ دائماً لا يفتر[1] .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو اسحق القرطبي** ببجاية من أصحاب أبي مدين ، كان من الموحدين .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو عبد الله المهدوي** بمدينة فاس ، بقي نيفاً وستين سنة ما استدبر القبلة حتى مات[2] .

ومنهم رضي الله عنهم **علي بن موسى بن البقران** بمدينة فاس ، كان مجهولاً بهذه الطريقة ، كان غامضاً للناس فيها وكان لديه معرفة تامة ، كانت له فيها فراسة ، كان عند الناس مشهورا بالقراآت والروايات رحمه الله تعالى .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو الحسين يحيى بن الصائغ** بسبتة ، من المحـــدثين وهو صوفي ، وهذا من الأعجوبات محدث صوفي ، كبريت أحمر ، له بركات كثيرة عاشرته كثيراً ورويت عنه وقرأت عليه ، كان زاهداً منجرداً[3] .

---

(١) إن الله مع الصابرين

« إن الله مع الصابرين » « ولو انهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم » صاحب هذا الهجير كثير الصلاة على محمد ﷺ ، وعلى هذا الذكـر يحبس نفسه ، ويصبر حتى يخرج إليه ﷺ ، وما لقيت احداً على هذا القدم غير رجل كبير حـداد بإشبيلية كان يعرف « باللهم صل على محمد » ما كان يعرف بغير هذا الاسم ، رأيته ودعا لي وانتفعت به ، لم يزل مستهتراً بالصلاة على محمد ﷺ ، لا يتفرغ لكلام احد إلا قدر الحاجة ، إذا جاء احد يطلبه أن يعمل له شيئاً من الحديد ، فيشارطه على ذلك ولا يزيد ، وما وقف عليه احد من رجل ولا صبي ولا امراة إلا ولابد أن يصلي على محمد ذلك الواقف إلى ان ينصرف من عنده ، وهو مشهور بالبلد بذلك ، وكان من اهل الله . ـ ف ح ١٩٨٤/٤

(٢) ابو عبد الله المهدوي من رجال الاشتياق ، وهـم خمسه انفس ، وهـم رجال الصلوات الخمس ، لا يفترون عن صلاة في ليل ولا نهار ، صحبته . ـ ف ح ١٥/٢

(٣) هو من ذريـة ابي أيوب الأنصاري ، كان يقول : لأن آكل الدنيا بالدف والمزمار خير لي من اني آكلها بالدين . ـ ف ح ٣٣٤/٣ ـ ح ٤٨٩/٤

ومنهم رضي الله عنهم **ابن العاص ابو عبد الله الباجي** بإشبيليـــة رحمه الله ، كان فقيهاً زاهداً ، وهذا أيضاً غريب فقيه زاهد لا يوجد .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو عبد الله ابن زين اليابري** (١) بإشبيلية ، كان مـــن أفضل الناس ، كثير الجد والاجتهاد والتقشف ، كان يقرأ القرآن والنحو بجـــامع العديس بإشبيلية ، لا يؤبه له ، غامضاً في الناس ، اعتكف على كتب أبي حامد . قرأ ليلة تأليف أبي القاسم بن أحمد في الرد على أبي حامد ، فعمي ، فسجد لله من حينه وتضرع وأقسم أنه لا يقرأه أبداً ويذهبه فرد الله عليه بصره ، وكان من فضلاء الناس. لقيت أيضاً أخاه مثله ، نودي به عند موته جنتين اثنتين لبني زين .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو عبد الله الفران** ، إمام أهل البلاء بقرطبة ، قل أن يلقى مثله ، سألته كيف يطيب عيشه معهم ؟ فقال : لا أشم منهم إلا رائحة مسك ، أحفظ من أحواله عجائب .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو زكريا يحيى بن حسن الحسني** بمدينة بجايـــة مـــن العلماء العاملين السادة ، صاحب زهد وورع ونصيحة خلوت به يوماً عن إذنه فسألته وسألني فرأيت رجلا الغالب عليه الخوف ، له أخبار عجيبة في تقشفه وأكله : لقيته مراراً وقرأت عليه من بعض تآليفه(٢) .

---

(١) يابر مدينة بالأندلس .

(٢) مقام الحيرة

اعلم أن الأرواح النورية المسخرة لا المدبرة تنـــزل على قلوب العارفين بالأوامر والشؤون الإلهية والخيرات بحسب ما يريده الحق بهذا العبد ، فترقيه بما نزلت به إليه ترقية وتخليصاً إلى الحجاب الاقرب مـــن الحجب البعيدة ، إلى ان يتولاه الله بارتفاع الوسائط ، غير أن هذا القلب إذا فارقته التنزلات الروحية التي يشترك فيها اهل هذه الطريقة والحكماء العاملون على تصفية النفوس وتخليصها من كدر الطبع وقبل أن يتولى الحق امره بارتفاع الوسائط ، يمكث معرى عن الأمرين ، مثل الوقفة بين المقامين ، ومثل النومة العامة بين الحس والخيال ، وهو مقام الحيرة لهذا القلب . فإن الذي كان يأنس إليه ويأخذ عنه قد فقده ، والذي ياتي إليه ما رآه بعد فيبقى حائراً ، ولقد اخبرني صاحبي ابو إسحق إبراهيم بن محمد الانصاري القرطبي وفقه

ومنهم رضي الله عنهم **عبد السلام الأسود السائح** ، لا أدخل قرية إلا قيل من هنا مر فلان ، لا يقر له قرار ، سألته عن عدم قراره فقال أجد حالة طيبة في الحركة .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو عبد الله القسطيلي** بمدينة إشبيلية ، من اهل الجد والاجتهاد والغيرة في دين الله تعالى ، إذا دخلت عليه في موضعه تنشط للعبادة .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو العباس احمد بن منذر** بمدينة إشبيلية ، من أهل القرآن والعربية والفقه ، وحيداً في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ، من كراماته إذا اعتاصت عليه مسألة في المذهب يرى مالكاً يحلها له ، يتعرض إليه في داره الروحانيون والرجال يسلمون عليه ، يضيق عليه الحال فتلقى الدراهم بين يديه فيأبى أن يأخذها ويردها فترفع عنه ، غلب عليه الورع[1] ، كان مباركاً صالحاً .

الله ، عن شيخنا أبي زكريا الحسني ببجاية قال : اخبرني غير واحد من أصحابه وممن حضر موته ، أن الشيخ (يعني أبي زكريا) خرج إلى الناس وكان في المسجد الجامع معتكفا في شهر رمضان ، وقد غير لباسه الذي كان عليه ، وقد ظهر فيه التغير ، فقال لهم : ادعوا لي فإني قد فقدت الذي كان عندي ، ولم يكن بعد قد حصل له شيء مما يأتي ، وحار في أمره ، فطلب من الناس الدعاء له ، فإنه لم يكن من أهل الأذواق الإلهية لغلبة الفقه عليه ، ما تخلص له الأمر ، ثم عاد إلى خلوته ، فأبطأ عليهم خروجه ، فدخلوا عليه فإذا هو مسجى قد فارق الدنيا ، فأشار إليهم بتغيير لباسه أن الذي كان يلبسه قد جرد عنه ، والحيرة والافتقار إلى دعاء الإخوان دلت على أنه ما كان الحق تولى أمره الذي أومأنا إليه ، ففرحت له بذلك ، لعل الله يكون قد تولاه قبل موته بلحظة فقبضه إليه وهو عنده ، وحال العارف في هذه الحيرة والوقفة التضرع والابتهال إلى الله بالافتقار والخشوع المستعمل في أن يتجلى له حكم توليه إياه بارتفاع الوسائط من الوجه الخاص ، الذي بين كل موجود وبين ربه الذي لا يعرفه كل عارف .
ف ح ٦٣٧/٢

(١) اهل الورع

اهل الورع جعل الله لهم علامات يعرفون بها الحلال من الحرام في المطاعم وغيرها ، إلى أن ارتقوا عن العلامات إلى خرق العوائد عندهم في الشيء المتورع فيه ، وهذا الحال التي ارتقوا إليها لا تكون أبداً إلا من نفس الرحمن ، رحمهم بذلك الرحمن لما رآهم فيه من التعب والضيق والحرج ، وتهمة الناس في مكاسبهم ، وما يؤدي بهم

ومنهم رضي الله عنهم **موسى ابي عبد الله المعلم** بمدينة فاس ؛ وهو من قلعة بني سعيد من نظراء غرناطة ، وابنه عبد الله نشأ صالحا لا يعرف المعصية ، هو الشاب التائب لا يعرف له صبوة ، حافظ لكتاب الله •

ومنهم رضي الله عنهم **ابو العباس الخراز** ، لقيته بمكة ، صحب عبد الله المغاوري ، وانتفعت بدعائه ورأيت له بركة رحمه الله تعالى •

ومنهم رضي الله عنهم **الحاج ابو محمد عبد الله البرجاني** ، صاحبك وصديقك رضي الله عنه ، يحب السنة وأهلها ، كان صالحاً جليل القدر كثير السكون ، سمعته يوماً يقول في قوله تعالى « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته » لم تلوه هؤلاء حق تلاوته ؟ فقلت له : قل يا أبا محمد ، السؤال منك والجواب منك ، فتبسم وقال : لأنه آتاهم ، فسبقت لهم العناية ، فلما أعطوا أعينوا ، وهذه إشارة بديعة تحتها بحور تزخر لمن نظر وتفكر ؛ يقول النبي ﷺ في الإمارة « إن أعطيتها أعنت عليها ، وإن طلبتها لم تعن عليها » •

إليه هذا الفعل من سوء الظن بعباد الله ، فنفّس الرحمن عنهم بما جعل لهم من العلامات في الشيء ، وفي حق قوم بالمقام الذي ارتقوا إليه الذي ذكرناه ، فيأكلون طيباً ويستعملون طيباً ، ثم عملوا على ذلك الورع في المنطق من اجل الغيبة والكلام فيما يخوض الإنسان فيه من الفضول ، فآثروا العزلة والانقطاع عن الناس باتخاذ الخلوات وغلق بابهم عن قصد الناس إليهم ، وآخرون بالسياحة في الجبال والشعاب والسواحل وبطون الأودية ، فنفس الله عنهم من اسمه الرحمن بوجوه مختلفة من الأنس به ، أعطاهم ذلك نفس الرحمن ، **فأسمعهم** أذكار الاحجار وخرير المياه وهبوب الرياح ومناطق الطير ، وتسبيح كل أمة من المخلوقات ومحادثتهم معه وسلامهم عليه ، فانس بهم من وحشته ، وعاد في جماعة وخلق ما لهم كلام إلا في تسبيح أو تعظيم أو ذكر آلاء إلهية أو تعريف بما ينبغي ، وهو جليس لهم ، ويسمع جوارحه ، وكل جزء فيه يكلمه بما أنعم الله عليه ، فتغمره النعم فيزيد في العبادة ، ومنهم من ينفس عنه بالانس بالوحوش ، راينا ذلك ، فتغدو عليه وتروح مستأنسة به ، وتكلمه بما يزيده حرصا على عبادة ربه ، ومنهم **من يجالسه الروحانيون** من الجان ، ولكن هو دون الجماعة في

ومنهم رضي الله عنهم **ابو عبد الله محمد البابلي** ، الساكن بدار الفير ، خديمك الدي فتح الله له على يديك ، بركاتك عليه كانت ظاهرة ، رأيت له أموراً عجيبة كنت أسر بها ، لا يتسع الوقت لذكرها .

الرتبة إذا لم يكن له حال سوى هذا ، لانهم قريبون من الإنس في الفضول ، والكيّس من الناس من يهرب منهم كما يهرب من الناس ، فإن مجالستهم رديئة جداً ، قليل أن تنتج خيراً ، لأن أصلهم نار ، والنار كثيرة الحركة ، ومن كثرت حركته كان الفضول أسرع إليه في كل شيء ، فهم أشد فتنة على جليسهم من الناس ، فإنهم قد اجتمعوا مع الناس في كشف عورات الناس ، التي ينبغي للعاقل أن لا يطلع عليها ، غير أن الإنس لا تؤثر مجالسة الإنسان إياهم تكبراً فإنه يمقته الله في نفسه من حيث لا يشعر ، وهذا من المكر الخفي ، وعين مقت الله إياه هو ما يجده من التكبر على من ليس له مثل هذا ، ويتخيل أنه في الحاصل وهو في الفائت ، وما ترى احداً قط جالسهم فحصل عنده منهم علم بالله جملة واحدة ، غاية الرجل الذي تعتني به أرواح الجن أن يمنحوه من علم خواص النبات والأحجار والأسماء والحروف وهو علم السيمياء ، فلم يكتسب منهم إلا العلم الذي ذمته السنة الشرائع ، فرجال الله يفرون من صحبتهم اشد فراراً منهم من الناس ، فإنه لابد ان تحصل صحبتهم في نفس من يصحبهم تكبراً على الغير بالطبع ، وازدراء بمن ليس له في صحبتهم قدم ، وقد راينا جماعة ممن صحبوهم حقيقة ، وظهرت لهم براهين على صحة ما ادعوه من صحبتهم ، وكانوا أهل جد واجتهاد وعبادة ولكن لم يكن عندهم من جهتهم شمة من العلم بالله ، وراينا فيهم عزة وتكبراً ، فما زلنا بهم حتى حلنا بينهم وبين صحبتهم لإنصافهم وطلبهم الأنفس ، ومنهم من ينفّس الرحمن عنه ذلك الضيق بمشاهدته عالم الخيال ، يستصحبه دائماً ، كما يستصحب الرؤيا النائم ، فيخاطب ويخاطب ، ولا يزال في صور دائماً في لذة وفي نكاح إن جاءته شهوة جماع ، ولا تكليف عليه ما دام في تلك الحال لغيبته عن إحساسه ، واصدق من رايت في هذا الباب من النساء فاطمة بنت ابن المثنى بإشبيلية ، وشمس أم الفقراء بمرشانة ، وام الزهرا بإشبيلية ايضاً ، وكلبهار بمكة تدعى ست غزالة ، ومن الرجال ابو العباس بن المنذر من أهل إشبيلية ، وابو الحجاج الشبربلي ، ويوسف بن صخر بقرطبة . ـ ف ح ٢٧٣/١

ومنهم رضي الله عنهم **ابو عبد الله المرابط** ، من أهل القرآن والليل ظهرت عليه أنوارك ، جيد الذهن سريع الفهم (١) .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو وكيل ميمون بن التونسي** ، كان يجمع القرمز يعيش منه ، مرض عندنا بإشبيلية فأخذته الصالحة زينب امرأة من أطاع الله لتمرضه في دارها بنفسها ، فلما انتقل عندها مات من ليلته ، كان من رجال الله .

ومنهم رضي الله عنهم **ابو محمد عبد الله بن خميس الكناني** ، جرايحي بمدينة تونس ، لقيته وزرته حافياً على قدمي في شدة الحر تأسياً بشيخي أبي يعقوب وأبي محمد ، قالا لي إنهما زاراه على هذه الحالة ؛ له بركات وحسبي علمك بحاله (٢) .

ولقيت بمكة **الأشخاص السبعة** نفع الله المسلمين بهم جالستهم بين حطيم الحنابلة وصفة زمزم، وهم خاصة الله حقاً لا يطرفون، عليهم السكينة والهيبة ، لقيتهم وهم في حال المشاهدة ، فلم يقع بيني وبينهم مكالمة في معرفة ، ولقد رأيت من سكونهم ما لا يتصور أن يسكنه أحد (٣) .

---

(١) جاء ذكره في الفتوحات المكية ج ١/٧ ، ١٠

(٢) كان من سادات القوم مرابطا بمرسى عبدون ــ ف ح ١/١٠ ، ١٨٦

(٣) الأبدال السبعة ــ ب

اعلم أن الله جعل هذه الأرض سبعة أقاليم ، واصطفى من عباده المؤمنين سبعة لا يزيدون ولا ينقصون ، سماهم الأبدال ، لكل بدل إقليم يمسك الله وجود ذلك الإقليم به ، فالإقليم الأول ينزل الأمر إليه من السماء الأولى من هناك ، وتنظر إليه روحانية كوكبه ، والبدل الذي يحفظه على قلب الخليل عليه السلام ، والإقليم الثاني ينزل الأمر إليه من السماء الثانية وتنظر إليه روحانية كوكبها ، والبدل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام ، والإقليم الثالث ينزل إليه الأمر الإلهي من السماء الثالثة وتنظر إليه روحانية كوكبها ، والبدل الذي يحفظه على قلب هارون ويحيى عليهما السلام بتأييد محمد عليه الصلاة والسلام ، والإقليم الرابع ينزل الأمر إليه من قلب الأفلاك كلها ، وتنظر إليه روحانية كوكبها الأعظم ، والبدل الذي يحفظه على قدم إدريس عليه السلام ، وهو القطب الذي لم يمت إلى الآن ، والأقطاب فينا نوابه ،

ومنهم رضي الله عنهم شمس أم الفقراء بمرشانة الزيتون ، اختلفت إليهـا مراراً ، ما لقيت في الرجال مثلها في الحمل على نفسها ، كبيرة الشأن في المعاملات والمكاشفات ، قوية القلب ، لها همة شريفه ، لها التمييز[1] ، تستر حالها جداً ، كانت تبدي منه في السر أشياء إلي لما حصل عندها مني من المكانة ، وكنت أفرح لها بذلك، لها بركات كثيرة ظاهرة ، اختبرتها مراراً في باب الكشف فوجدتها متمكنة ، الغالب عليها الخوف والرضى ، وتحصيل هذين المقامين في وقت واحد عندنا عجيب يكاد لا يتصور .

والإقليم الخامس ينزل إليه الأمر من السماء الخامسة وتنظر إليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظ الله بـه ذلك الإقليم عـلى قلب يوسف عليـه السلام ويؤيـده محمد ﷺ ، والإقليم السادس ينزل الأمر إليه من السماء السادسة ، وتنظر إليـه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب عيسى روح الله ويحيى عليهما السلام ، والإقليم السابع ينزل الامر إليه من السماء الدنيا وينظر إليه روحانية كوكبها ، والبدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه السلام ، فهؤلاء الأبدال عارفون بما أودع الله سبحانه في الكواكب السيارة من الأمور والأسرار ، في حركاتها ونزولها في المنازل المقدرة ، ولهم من الأسماء اسماء الصفات ، فمنهم عبد الحي وعبد العليم وعبد المريد وعبد القادر ، وهذه هي أربعة اسماء الأوتاد ، ومنهم عبد الشكور وعبد السميع وعبد البصير ، لكل صفة إلهيه رجل من هؤلاء الأبدال ، بهـا ينظر الحق إليهم ، وهي الغالبة عليه فللأبدال حفظ السبع الصفات في تصريف صاحبها لها ، إذ لها تصرف في الخير وتصرف في الشر ، فتحفظ على صاحبها تصريف الخير وتقيه من تصريفها في الشر ، واجتمعت بهؤلاء الأبدال السبعة ، بحرم مكة ، خلف حطيم الحنابلة ، وجدتهم يركعون هناك ، فسلمت عليهم وسلموا علينا ، وتحدثت معهم ، فما رايت فيما رايت احسن سمتا منهم ، ولا أكثر شغلا منهم بالله . — ف ح ٢/٧ ، ٤٥٥ — ح ٣/٥٢١

(١) الأواهون

من الأولياء الأواهون من رجال ونساء رضي الله عنهم ، لقيت منهم امراة بمرشانة الزيتون من بلاد الأندلس تدعى شمس ، مسنة ، تولى الله هذا الصنف بالتأوه مما يجدونه في صدورهم من ردهم لقصورهم من عين الكمال والنفوذ ، ويكون عن وجود او عن وجود وجـد على مفقود ، فالأواه هو الذي يكثر التأوه لبلواه ، ولما يقاسيه ويعانيه مما يشاهده ويراه ، وهو من باب الغيرة والحيرة . — ف ح ١/٢٧٣ — ح ٢/٣٥

وكذلك لقيت **فاطمة بنت ابن المثنى** بإشبيلية ، أدركتها في عشر التسعين قد أسنّت لا تأكل إلا ما يطرح الناس على أبوابهم من الأطعمة ، قليلة الأكل جداً ، كنت إذا قعدت معها استحيي أن أنظر إلى وجهها من عظيم تورد وجنتيها ونعمتها وهي في عشر التسعين سنة ، كانت سورتها من القرآن الفاتحة ، قالت لي أعطيت الفاتحة أصرفها في كل أمر شئته ، بنيت لها بيتا من قصب تسكنه ، كانت تقول : لا يعجبني أحد ممن يدخل عليّ غير فلان ، تعني إياي ، فيقال لها : بم ذاك ؟ فتقول : ما منكم أحد يدخل عليّ إلا ببعضه ويترك بعضه في أغراضه من داره وأهله إلا محمد بن العربي ولدي وقرة عيني ، فإذا دخل دخل عليّ بكله وإذا قام قام بكله وإذا قعد قعد بكله ، لا يترك خلفه من نفسه شيئاً ، وهكذا ينبغي أن يكون الطريق ، عرض الله عليها ملكه فلم تقف مع شيء منه ، إنما تقول : أنت أنت ، كل شيء دونك مشؤوم علي ، كانت والهة في الله تعالى (١) ، من رآها يقول عنها حمقاء ، فتقول : الأحمق من لا يعرف ربه ، كانت رحمة للعالمين ، ضربها أبو عامر المؤذن بالدرة في الجامع ليلة العيد فنظرت إليه وانصرفت متغيرة النفس عليه ، فبات تلك الليلة ، فلما كان السحر سمعت ذلك المؤذن يؤذن فقالت : رب لا تؤاخذني ، تغيرت نفسي على رجل يذكرك في دياجي الليل والناس نيام ، هذا ذكر حبيبي يجري على لسانه ، اللهم لا تؤاخذه بتغيري عليه ، فلما أصبح دخل فقهاء البلد بعد صلاة العيد على السلطان ليسلموا عليه ؛

---

(١) محبة عارفة

خدمت أنا بنفسي امرأة من المحبات العارفات بإشبيلية يقال لها فاطمة بنت ابن المثنى القرطبي ، خدمتها سنين ، وهي تزيد في وقت خدمتي إياها على خمس وتسعين سنة ، وكنت أستحي أن انظر إلى وجهها وهي في هذا السن من حمرة خديها وحسن نعمتها وجمالها ، تحسبها بنت اربع عشرة سنة من نعمتها ولطافتها ، وكان لها حال مع الله ، وكانت تؤثرني على كل من يخدمها من امثالي وتقول : ما رايت مثل فلان إذا دخل عليّ دخل بكله لا يترك منه خارجا عني شيئاً ، وإذا خرج من عندي خرج بكله لا يترك عندي منه شيئاً ، وسمعتها تقول : عجبت لمن يقول إنه يحب الله ولا يفرح به وهو مشهوده ، عينه إليه ناظرة في كل عين ، لا يغيب عنه طرفة عين ؛

فدخل ذلك المؤذن في جملتهم رغبة في الدنيا ، فقال السلطان : من يكون هذا ؟ قيل : مؤذن الجامع ، فقال : ومن أمره بالدخول مع الفقهاء ، أخرجوه ، فصفع وأخرج ، فشفع فيه عند السلطان ، فخلى سبيله بعد ما أراد أن يعاقبه ، فقيل لها : اتفق لفلان مع السلطان كذا وكذا ، فقالت : علمت ، ولولا أني سألت التخفيف عنه لقتل ، شأنها عجيب ماتت رحمها الله تعالى .

فهؤلاء البكاؤون كيف يدعون محبته ويبكون ؟! اما يستحيون ، إذا كان قربه مضاعفاً من قرب المتقربين إليه ، والمحب أعظم الناس قربة إليه فهو مشهوده ، فعلى من يبكي ؟ إن هذه أعجوبة !! ثم تقول لي : يا ولدي ما تقول فيما أقول ؟ فأقول لها : يا أمي القول قولك ، قالت : إني والله متعجبة ، لقد أعطاني حبيبي فاتحة الكتاب تخدمني ، فوالله ما شغلتني عنه ، فذلك اليوم عرفت مقام هـذه المراة لما قالت : إن فاتحة الكتاب تخدمها . فبينا نحن قعود إذ دخلت امراة فقالت لي : يا أخي إن زوجي في شريش شذونة أخبرت أنه يتزوج بها فماذا ترى ؟ قلت لها : وتريدين أن يصل ؟ قالت : نعم ، فرددت وجهي إلى العجوز وقلت لها : يا أماه ألا تسمعين ما تقول هذه المراة ؟ قالت : وما تريد يا ولدي ؟ قلت : قضاء حاجتها هذا الوقت . وحاجتي ان يأتي زوجهـا ، فقالت : السمع والطاعة ، إني أبعث إليـه بفاتحة الكتاب وأوصيها أن تجيىء بزوج هذه المراة ، وانشأت فاتحة الكتاب فقرأتها وقرأت معها ، فعلمت مقامها عند قراءتها الفاتحة ، وذلك أنها تنشيها بقراءتها صورة مجسدة هوائية ، فتبعثها عند ذلك ، فلما انشأتها صورة سمعتها تقول لها : يا فاتحة الكتاب تروحي إلى شريش وتجيئي بزوج هذه المراة . ولا تتركيه حتى تجيئي به . فلم يلبث إلا قدر مسافة الطريق من مجيئه فوصل إلى أهله . وكانت تضرب بالدف وتفرح . فكنت أقول لها في ذلك ، فتقول : إني أفرح به حيث اعتنى بي وجعلني من أوليائه . واصطنعني لنفسه . ومن أنا حتى يختارني هذا السيد على أبناء جنسي . وعزة صاحبي لقد يغار عليّ غيرة ما أصفها . ما التفتُ إلى شيء باعتماد عليه من غفلة إلا أصابني ببلاء في ذلك الذي التفت إليـه . ثم ارتني عجائب من ذلك ، فما زلت أخدمها بنفسي . وبنيت لها بيتاً من قصب بيدي على قدر قامتها . فما زالت فيـه حتى درجت . وكانت تقول لي : أنا أمك الإلهية ، ونور أمك الترابية . وإذا جاءت والدتي إلى زيارتها تقول لها : يا نور هذا ولدي وهو ابوك . فبريه ولا تعقيه . ـ ف ح ١/٢٧٣ ـ ح ٢/٣٤٧

فهذا يا نفس قد قصصت عليك حالة من تقدم وحال بعض من لقيته من رجال ونساء ، وسكتُّ عن كثير ممن لقيته ، وما وجدت لك قدماً معهم ، ففي أي نمط تتميزين ؟! ثم أرجع إليك يا ولي يا أبا محمد ، فإني إنما ذكرت لك هؤلاء فرحاً أن الزمان والحمد لله لم يخل من الرجــال الجارين على أسلوب المتقدمين باختلاف أحوالهم ، فقد ذكرنا منهم ما حصل به المقصود من الفائدة والاختصار ، أما أنت فلا يتمكن لي أن أخاطبك بأحوالك ومقصودي بهذه الرسالة إبراز معرفة نفسانية وربانية، تحرّض على الكلم الطيب والعمل والله نفسي، وأنبهك وأريد أبناء جنسي وعني أكني، فلا تغتر النفس عن الذكرى فإنها الذليلة ، ولا تعمى عن حظها الإلهى بتصاممها عن هذه الفضيلة .

مسألة ــ فمن ذلك « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » « وإن في ذلك لآيات للعالمين » لتعلم أن الله تعالى خلق كل ما سوى الإنسان باليد الواحدة،وقد جاء التنبيه عليها في مواضع من الشريعة في جنة عدن أنها خلقها بيده ، وهنا بحر طامس ، خلق الأسباب كلها بيده وخلق المسببات أيضا بيده ، لكن الأسباب الأول ليست في المرتبة كالأسباب الثواني إلى آخر سبب ، وقال في خلقه الأسباب والمسببات « ألا له الخلق والأمر » وقال في الأسباب وحدها « فتبارك الله أحسن الخالقين » ، « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » فذكر الأمر دون الخلق، فألق بالك لكلامي هذا فإنه عويص ، وأنا غيور أحب أن أوضح وأحب أن أستر ، فخلق المَلَك والجنّة وما يتعلق بهذا الجنس من الشرف والرفعة بجانب الطور الأيمن ، فافهم ما أومأنا إليه من صفة الجمال ، وخلق إبليس والنار وما يتعلق بهذا الجنس من الوضاعــة والسفل بالجانب الغربي من كلتا يديه يمين ، فافهم ما أومأنا إليه من صفة الجلال ، وتمهدت المملكة باليدين ، وظهر وجودها في العين على التوحيد المطلق ، من حيث كل واحد منهم يرجع خلقه إلى يد واحدة ، فعبد ربه من حقيقته واشتغل بطريقته ، فلم يتصور معصية ولا مخالفة ، إلى أن خلق الإنسان بيديه وهداه نجديه وأوضح سبيليه وأظهر به كلمتيه وأبان به عن قبضتيه ، فنظر إلى العالم ونظر إليه العالم في مملكتيه ، الكبرى والصغرى ، فعرف كل واحد ما رأى منه ، لأنه رأى ما يقابله ،

فالساكن من العالم في الجانب الغربي رأووا سفله ، فلم يقم عندهم قيمته ، فظهرت في ذلك قبضتهم ليعلموا أنهم أشقياء ، والساكن من العالم في جانب الطور الأيمن رأووا علوه ، فقامت عندهم عظمته ، وظهرت في ذلك قبضتهم ليعلموا أنهم سعداء ، ثم لما كانوا في نور التجريد، لم يستطيعوا أن يعرفوا نور التمريج، ولما كانت حقيقتهم صادرة عن اليد الواحدة ، شهدوا لأنفسهم بالتقديس والتحميد ، ولما رأوا توجه اليدين على الإنسان عرفوا أنه لابد من المنازعة لإمضاء الحكم ، وإذا كانت المنازعة فلابد من الفساد ، فنظروا حقاً وقالوا صدقاً صلوات الله عليهم ، فأعرض الله عن إجابتهم في نفس كلامهم ، إعراضاً صحيحاً ، من جهة جعلهم الكل جزءاً ، وحكموا عليه بصفة النقص ، فتركهم الحق وما عدلوا إليه ، وأراد أن يبين لهم حقيقة ما فطره عليه ، وأن الإنسان هو القبضة الجامعة ، للعاصية والطائعة ، وأن كل العالم على النصف منه ، فهو أيضا على النصف من الحضرة الإلهية ، وأن الإنسان كل ، فهو على الكل من الحضرة الإلهية ، فجمع له ما بين يديه لتكمل صورته ، وتصح خلافته، وتبين مرتبته ، ويعلم أنه أشرف موجود ، وأعلى مقصود ، ولهذا مدحه لمن نظره بعين النقص بقوله : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » في معرض الثناء ، فعرض في أدبه بغيره ، وهو الذي حكم عليه بالفساد وسفك الدماء ، فما أحسن أدبه ، عرض في آداب الملائكة بإبليس ، فطالبهم بعلم الأسماء ، وجعل الإنسان عالم العلماء ، وعرض في آداب إبليس بالملائكة ، بخلقه بيديه المقدسة والبيضاء ، فاتعظ إبليس بأدبه وآداب الملائكة ، واتعظت الملائكة بأدبهم وأدب إبليس ، فهؤلاء اتعظوا بامتثال الأمر ففازوا ، وهذا اتعظ بعد المخالفة فما نفعته موعظته وخسر ، فلا شيء أنكى على إبليس من ابن آدم في جميع أحواله في صلاته من سجوده ، لأنها خطيئته ، فكثرة السجود تحزن الشيطان ، وطوله ، وليس الإنسان بمعصوم في صلاته إلا في سجوده، فإنه إذا سجد تذكر الشيطان معصيته ، فحزن فاشتغل عنه بنفسه ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « إذا سجد ابن آدم اعتزل الشيطان يبكي » فالعبد في سجوده معصوم من الشيطان وليس بمعصوم من النفس ، فخواطر السجود كلها إما ربانية

أو ملكية أو نفسية ، وليس للشيطان عليه من سبيل ، وإذا رفع من سجوده غابت تلك الصفة عن إبليس ، فزال حزنه واشتغل بك ، ولعل وليّ رضي الله عنه يقول : والنفس أيضا تزول في السجود ، والملك يزول ، ولا يبقى إلا الحق ، فإنه يقول : « واسجد واقترب » فقد صحت القربة بالسجود، وفني الساجد بالموجد عن الموجود، فأقول له : نعم يا وليّ ما نظرت ، وبحالك ومقامك قضيت ، ونحن إنما نتكلم بما تعطيه الحقائق ، وكيف ارتبطت الرقائق ، ولو كان الأمر على ما قاله وليّ ، لكان كل إنسان في سجوده بالله عارفاً ، ومعه واقفاً ، فانياً عن الإحساس ، بعيداً عن الالتماس ، ولم يصح منه دعاء ولا ثناء ، ولا تضرع ولا بكاء ، فإن التضرع والدعاء نداء على رأس البعد بالحجاب ، والمشاهدة للبهت من غير اكتساب ، فإن وجد وليي مقام البهت في سجوده ، فتلك حالة لا تطرد حكماً ، فإن غيره في سجوده يقول : رب اغفر لي مغفرة عزماً ، فهذا مع الملك حتماً ، وآخر في سجوده يتحدث مع شريكه في دكانه حرباً وسلماً ، فهذا مع نفسه إما وإما .

رجعنا إلى كلامنا ، فأضاف الإنسانَ إلى يديه ، ووكل أمره إليه ، وسخر له ما في السموات وما في الارض وحجبه عن التوكل عليه ، فظهر الإنسان لنفسه في نفسه إماما ، فالسعيد من لازم الباب لرفع الحجاب ، والشقي من نبذ ذلك الباب وراء ظهره ، فحسبه جهالة ما جهل من أمره ، لا ما جهل من غيره .

ولما قام الإنسان خليفة في الأرض دون السماء ، لحملها العالمين[1] على السواء ، فقد جمعت جميع العالم وهي أقل الاجزاء ، فمن ولي الأرض ولي السماء والنار والماء والهواء ، ومن ولي السماء فما ولي الأرض ، وما له من الميزان سوى الرفع وليس له نصيب في الخفض ، دليلي على ذلك أيها الوني المالك ، أن الأرض تحمل الملائكة الكرام ، وليس السماء بمحمل للشياطين ولا لعوالم الأجسام ، ولهذا كانت الأرض حضرة الخلافة ومنزل الخليفة ، والسموات فردوس من فراديسه ، ومنتزه من منتزهاته ، مسرح روحه المقدس ، فإن السماء وأعني به العالم العلوي موجود من

(١) يعني عالم السعداء وعالم الاشقياء .

الرحمة الخالصة ، وإن الأرض وأعني به السفل حيث أنزل آدم عليه السلام بعد أحسن تقويم إلى أسفل سافلين موجود من الغضب الخالص ، فإن قلت : فهذه الرحمة الظاهرة فيها ؟ فتلك رحمة الإنسان ، ولهذا إذا لم يبق إنسان عليها زالت الرحمة بزواله ، وتوجه عليها فأعدم عينها وهلكت في الهالكين ، وانتقلت العمارة إلى الدار الآخرة بانتقال الإنسان ، فإن قلت : وقبل الإنسان قد كانت الأرض موجودة ، فذلك لحقيقتين ، لأن ذلك كان زمان التمهيد للخليفة ، والحقيقة الأخرى لحقيقة البرزخية فيها ، لأنها تشبه العدم لكونها تؤول إلى الفناء ، وتشبه دار البقاء لأنها قد وجدت يوماً ما ، فهذه النفحة الرحمانية في الوجود هي التي أمسكتها حتى ظهر الإنسان فافهم ، ولا تقتصر بهذا على آدم عليه السلام فحسب ، فكل صالح من المؤمنين وغيرهم في وجوده قطب ، ولم يبق إلا خليفة جائر وخليفة عادل ، فإما إلى عذاب غير زائل ، وإما إلى نعيم طائل ، ومن هنا وقع الخوف على الخلفاء وأنت من جملتهم .

فنرجع إلى نفوسنا في هذه الحالة العمياء ، ونقيم عليها ميزان القضاء والحكم على السواء ، بمرتبتها التي وجدت لها ومنزلتها العالية السناء ، فأقول : يا نفس يا برزخاً بين الضراء والسراء ، اصطفاك الله دون أهل الأرض والسماء ، وجمع لك بين يديه إما للشرف الذي لك عنده أو للابتلاء ، ومحال أن يكون الشرف لقبضة الأشقياء ، وإنما الشرف فيه موطن في مقابلة الخصماء ، فلم يبق أن يكون ذلك إلا لمجرد الابتلاء ، قال تعالى : « خلق الموت والحياة ليبلوكم » ولم يقل ليشرفكم ، خطاب يشمل جميع المأمورين والأمراء ، فمن نصب هذا المنصب ، وذهب به هذا المذهب . كيف يطيب له معاشه ، أو يستقر بـه فراشه ، وهو لا يدري أي اليد من اليدين يحكم عليه ، ولا بأي العين من العينين ينظر إليه ، فواجب عليك يا ولي محافظة السر والوقت ، مخافة أن تفجأك نظرة المقت ، وأنت لا تشعر بذلك ، فتكون عند الناس السعيد المالك ، وعند الله الشقي الهالك ، وحكم الله أمضى ، وحاكمه أقضى ، فالويل لمن اغتر ولو بُشر ، والويل كل الويل لمن اغتر وهو لم يبشَّر ، هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصلب القوي الذي ليس للشيطان عليه سبيل ، حسب

الشيطان أن ينجو منه ، نزل القرآن موافقاً لحكمه ، وأداه أن يقول « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً » ما يعرفه من إيمانه وعلمه ، قد جمع بين العلم والعيان ، وتبرز في صدر مشاهدة الأعيان ، ليس أحد من وقته إلى يوم القيامة يبرز أمامه ، ولا يكون في حالة من الأحوال إمامه ، قد اهتز لموعظة أويس القرني خير التابعين همة وقال ما أداه إليه كشفه وعلمه المعصوم « ليت عمر لم تلده أمه » فكيف ينبغي أن تقول أنت وأنا ؟ إلى متى هذه القبيحة على الله تعالى ؟ أما آن لنا أن نرجع ؟ أما حان لنا أن نرعوي ونقلع ؟! وقد دعينا بالعارفين بالله ، ونحن في حزب إنا لله ، أترضى لنفسك أن تكون صاحب حال فيحكم عليك هواك ، وتغلب دنياك ويلتبس عليك أن ذلك من مولاك ، هلا أقمنا عليها ميزان العدل ، وطالبناها بصحة النقل ، فإنها لا تخلو في اتساعها في دنياها بعد ضيقها ، وراحتها بعد جهدها من أحد أمرين ، إما أن تكون في ذلك تستر مقامها عن الناظرين ، وتعمي مكانتها عن أبناء الدنيا المعتكفين ، وتصول بذلك على المترفين ، وتسعى في الكسب حتى لا يكون عليها يد لأحد من المحجوبين ، فإن كان هذا ، فيا جهل هذه النفس ويا حسرتها ، فلا مجال لها ولا مقام ، عظمت الدنيا وأبناؤها في عينها فصادمتهم وقابلتهم ، وأين هي من جناح البعوضة ومن تشبيه النبوة لها بالمزبلة والجيفة [1] ؟! ، إلى هذا بلغت منزلة هذه النفس الركيكة ، مع دعواها أنها السيدة المليكة ، إن كنت تقول الحق وعزمت على مصادمة الدنيا ومنازعة أبنائها ، فاستند إلى الحق في خرق العوائد ، فإن الناس كلهم ينفقون من الجيب ،

---

(١) أيهما أفضل الغني الشاكر أم الفقير الصابر

قال ابو الربيع الكفيف المالقي : لو ان رجلين كان عند كل واحد منهما عشرة دنانير ، فتصدق احدهما من العشرة بدينار واحد وتصدق الآخر بتسعة دنانير من العشرة التي عنده ، ايهما افضل ؟ فقال الحاضرون : الذي تصدق بالتسعة ، فقال : بم فضلتموه ؟ فقالوا : لانه تصدق بأكثر مما تصدق به صاحبه ، فقال : حسن ولكن نقصكم روح المسألة وغاب عنكم ، قيل له : وما هو ؟ قال : فرضناهما على التساوي في المال ، فالذي تصدق بالاكثر كان دخوله إلى الفقر اكثر من صاحبه ، ففضل بسبقه إلى جانب الفقر .

وصاحب الحال إنما ينفق من الغيب ، فإذا رأيت نفسك تحيد عن ذلك فلا تغالط ، وكن لها المجاهد والمرابط ، ولا يغرنك حالة طرأت عليك في بدايتك وافقت وقت صدق منك ، فتتخيل أنها أبقيت عليك ، والعادة طبيعة خامسة ، وما عسى الدنيا وأبناؤها حتى تشاركهم فيها ، وتقول : أرى أن لا يأكلوا عندي ولا آكل عندهم ، ولا يزوروني ولا أزورهم ، كل ذلك حظ نفساني ، وتلبيس شيطاني ، فإن كنت عبدت الله ليقيك فقد حصل لك أجرك في الدنيا ، وساء منقلبك في العقبى ، وإن كنت عبدت الله لحظ نفسك في الآجل ، إما لكونها عبداً فتحشر مع النبيين ، وإما لكونها أجيزت الحسنة بعشرة أمثالها فتحشر مع المؤمنين ، فأزور وأزار ، وأقصد وأُقصد ، وهذا حال النبي ﷺ ، كان يزور ويزار ، ويحمل الكَلّ ويعين الضعيف ، ويقري الضيف ولا يبيت على معلوم ، ولا يجزع من الفقر، ألا إن الفقير العارف من لا يبكي غده من أجل رزقه ، فكيف مَنْ مِنْ أجل خلقه ، وبهذا تغالط النفس فتقول : إنما أمسك هذا الشيء في حق الغير لا في حق نفسي ، قال الله تعالى يكذبها : « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق » ومحال أن الله يطعَم ، فلم يبق إلا أن يطعم من أجله ، فمنع من ذلك السادات الكبراء ، وأبقى ذلك في حالة العامة الضعفاء ، ونفسي تدعي الخروج عن العامة ، فقد لزمها أن تخرج عن السعي

هذا لا ينكره من يعرف المقامات والأحوال ، فإن القوم ما وقفوا مع الأجور وإنما وقفوا مع الحقائق والأحوال ، وما يعطيه الكشف ، فرجحوا الفقر إلى الله على الغنى بالله ، وبهذا فضلوا على علماء الرسوم ، ولو تصدق بالكل وبقي على أصله لا شيء له كان أعلى ، فنقصه من الدرجة والذوق على قدر ما تمسك به ، قال الشارع : « سبق درهم ألفاً » لأن صاحب الدرهم لم يكن له سواه فبذله لله ورجع إلى الله لأنه لم يكن له مستند يرجع إليه سواه ، وصاحب الألف أعطى بعض ما عنده وترك ما يرجع إليه فلم يرجع إلى الله ، فسبقه صاحب الدرهم إلى الله ، وهذا معقول فلو بذل صاحب الألف جميع ما عنده مثل صاحب الدرهم لساواه في المقام ، فما اعتبر الشارع قدر العطاء ، وإنما اعتبر ما يرجع إليه المعطي بعد العطاء ، فهو لما يرجع إليه .

ف ح ١/٥٧٧ — ح ٣/١٠٥

والادخار في حق الغير ، فإنه شرك محض وطعن في القدرة ، كما أن المتسبب إذا لم يقدر على الجلوس مع الله مطعون في إيمانه ، فهذا هو الأمر الواحد من الأمرين ، فقد بطل دعواها فيه في اتساعها في الدنيا بعد تضيقها ، وإن كان يريد الإنصاف من نفسه ــ وهو عند الأكابر مقام نازل ــ ولكن لهذا أن يفعله ، فإنه ليس من الأكابر، حيث رأى للدنيا وأبنائها حظاً وقدراً فيصول عليهم ويتعزز ، هلاَّ شغلته عبوديته مع عزة الله عن عزته مع ذلة الخلق ، ولقد فاته حظه من الله ، نسأل الله جميل العاقبة ، وأن يطعم الخلق ولا يأكل منه البتة ، فإن أكل فلنفسه سعى ولها ادخر •

وأما الأمر الآخر الذي وسعت به النفس عليها بعد تضييقها ، فهو أن يتخيل أن ذلك لا يؤثر في مقامها ولا ينقص لها من مكانتها ، ولما كانت غير عاملة للثواب ، وإنما عملت للعبودية ، فلا تبالي في أي واد مر بها إذا صح حالها مع الله ، وليس ثم أمر ثالث والحمد لله ، فإن كانت فعلته لهذا ، فلا تشك أصلا في جهلها ومعزتها في نفسها ، لوجوه كثيرة تدل على جهالتها ، منها جهلها بالموطن حيث عاملته بما لا يليق به ، فإن الدنيا سجن الملك ، وهي سجن المؤمن ، وأنت تدعي أنك فوق الإيمان ، وأنا ما أسلمه ، ولكن صاحب السجن قد أرسلك إليه وأدخلك مع المؤمنين وسجنك معهم بما حجره عليك ، فلا تقدر أن تشرب خمراً ، ولا أن تكذب في حديث ، ولا أن تخلف وعداً ، ولا أن تحلف فاجراً ، ولا أن تنكح خمس حرائر ، وتوجه عليك ما توجه عليك مثل المؤمنين المسجونين ، فالحكيم يتنبه ويعرف أن ذلك موطن التكليف ، وقد لزمه ما لم يكن لزمه وهو خارج السجن ، فيقول : هل هنا أحد من حضرة الملك من طوري وممن هو أرفع مني ؟ فيجد الأولياء والأنبياء والمرسلين ، فيقول : لنا فيهم اقتداء وأنا منهم ، وهذا أكبر الدعاوي وأنا أسلمها ، وبهذا أمر الله نبيه أفضل الخلق ، فذكر الأنبياء وما أعطاهم ثم قال له « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » فتنظر في حال الأنبياء ، فتجد سيدهم وإمامهم اختار الفقر على الغنى ، والذل على العز للمؤمنين ، وقد خيره حين نزل عليه إسرافيل فقال : إن الله خيرك إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكاً ، فأشار إليه جبريل أن تواضع ، فقال : نبياً عبداً ، قال عليه الصلاة والسلام : لو قلت نبياً ملكاً لسارت معي الجبال ذهباً

وفضة ، فأعطته المعرفة والهمة حين أشار إليه شيخه بالأولى ، تمنى العبودية ، فلازم الفقر والذلة والخضوع ، حتى كان يشد الحجارة على بطنه من الجوع ، فهلا اقتدى بهم هذا الشخص ولا يذهب طيباته في حياته الدنيا ، ولو علم أن المراتب في الجنة على قدر المراتب عند الله ، لسعى لنفسه ولعقله ، وكان من الملوك في الجنة وعند الله تعالى ، ولا كان يتكل على معرفته ويقول بكمال عقله ، ويجنح إلى الراحات ، ويكب على الشهوات ، ويتنعم في لين الثياب ، ولذيذ الطعام والشراب ، وأخوه المؤمن لا يجد ما يأكل ، فيقال له : واسه ، فيقول : حتى يخطر لي ، ما يلقي الله عندي فيه شيئاً ، ما أجهله بخواطر الحق ، إنما يفعل العارفون ذلك فيمن لم تبد منه حاجة ، ويظهر عليه الغنى وهو فقير ، فيخطر الله للعارف أنه فقير وهو كشف ، وأما من ظهر حاله وبانت فاقته ، فهي الخاطر الذي أعطاك الله فيه وأنت لا تشعر ، وهي أقوى حجة عليك ، فلا تغتر يا من زاحم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بجهله سليمان ويوسف عليهما السلام ، ولا بقوله تعالى : « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » وأنا أقول مثل ذلك في العارف الذي يرى أن يده عارية في المنع والعطاء ، وأن الحساب عنه مرفوع ، ولكن الموطن يعطيه أنه إذا كسب الدنيا أنه يتأخر عن درجة الذي لم يكتسب ضرورة في الشفاعة وفي دخول الجنة وفي المنزلة عند الله تعالى وفي الدنيا،فإن الغني يزور الزاهد،والأمراء الصادقون يزورون الفقراء الصادقين[1]،

---

(١) الفقير

اعلم وفقك الله تعالى أن الله يغار لعبده المنكسر الفقير أشد مما يغار لنفسه ، واعلم أن تجلي الحق عند الفقير أعلى وأجل من تجليه عند الملوك ، قال تعالى في الحديث القدسي : أنا عند المنكسرة قلوبهم ، وقال : ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ، وقال تعالى لنبيه ﷺ : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » فأنزل الله هذه الآية غيرة لمقام العبودية والفقر أن يستهضم بصفة عز وتأله ظهر في غير محله ، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا جالس هؤلاء الأعبد وأمثالهم لا يقوم حتى يكونوا هم الذين يقومون من عنده ، ولو أطالوا الجلوس ، فهذا من غيرة الله لعبده الفقير المنكسر ، وهو

وهنا سر عال أخاف من الفتنة في كشفه وإيذاعه فسترته رحمة بالعالم ، حكمت علينا به الحقائق ، يؤيده من الأخبار « ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن » هذا باب ، فالفقير يدعوه إلى السكون كسر فقاره ، فابحث عن السر ولا تفشه ، ولا تعتمد ، ولا تجعل حقيقته تحكم عليك ، فإن الموطن لا يعطيه ، ولا تترك حقائق جمة كثيرة يعطي استعمالها سعادة لحقيقة واحدة يعطي استعمالها إما شقاوة وإما نقصاً في المرتبة[1] ، فالله الله عليها ، كن لها كتوماً إن وقفت عليها ، وقد نبهتك على طرف منها والله المستعان ، ويكفي هذا المقدار من الوجوه الذي يحتمله هـذا الأمر الآخر .

أعظم دليل على شرف العبودة والإقامة عليها ، فإن جميع النفوس يكبر عندهم رب الجاه ورب المال لأن العزة والغنى لله تعالى ، فحيثما تجلت هذه الصفة تواضع الناس وافتقروا إليها ، ولا يفرقون بين ما هو عز وغنى ذاتي ، وبين ما هو منهما عرضي ، إلا بمجرد مشاهدة هذه الصفة ، ولهذا يعظم في عيون الناس من استغنى عنهم وزهد فيما في أيديهم ، فترى الملوك على ما هم عليه من العزة والسلطان كالعبيد بين يدي الزهاد ، وذلك لغناهم بالله ، وعدم افتقارهم إليهم في عزهم وما في أيديهم من عرض الدنيا . ــ ف ح ٣/١٨

(١) الفقر والغنى

يشير الشيخ هنا إلى حقيقة الغنى بالله وحقيقة الفقر إلى الله ، فالغنى صفـة تخرج العبد عن صفته الحقيقية ، والرجل إنما هو من عرف قدره وتحقق بصفته ، ولم يخرج عن موطنه ، وأبقى على نفسه خلعة ربه ولقبه واسمه الذي لقبه به وسماه فقال : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد » فلرعونة النفس وجهالتها أرادت أن تشارك ربها في اسم الغني ، فرأت أن تتسمى بالغني بالله ، وتتصف به حتى ينطلق عليها اسم الغني ، وتخرج عن اسم الفقير ، وهذا من غوائل النفوس المبطونة فيها ، عزة الإيمان أعلى وعزة الفقر أولى ، فإن الفقير المؤمن هو مجلى حقيقتك، وأنت مأمور بمشاهدة نفسك حذر الخروج عن طريقها ، فالفقير المؤمن مرآتك ترى فيها نفسك ، وما أحسن قول النبي ﷺ حيث قال : « أنزلوا الناس منازلهم » أو قال : « أمرت أن أنزل الناس منازلهم » ومنازل الناس والله معلومة ، ولم يقل « كل أحد منزلته » وإنما قال « الناس » فالصفة التي تعمهم هي التي أمر النبي ﷺ أن ننزلهم فيها ، وهي الذلة والافتقار . ــ ف ح ٣/١٩ ، ٢٠

فهذا الابتلاء الذي ذكرناه يوجب علينا الجد والاجتهاد والتجرد عن الدنيا وأسبابها والتفرغ للعبادة ، كما كان الأنبياء والأولياء والسادة النجباء ، مثل أبي بكر وغيره وقد مضى طرف من أخبارهم في أول هذه الرسالة ، وأما إن لم تنظر في خلقه لك بيديه ابتلاء ، ونظرته شرفاً ورفعة وهو نظر جهل ، كما حمل الأمانة لحقيقته ولم يحملها غيره ، ولكن قيل فيه « ظلوماً جهولاً » فلو حملها جبراً لما نسب إليه الظلم والجهل ، ولما حملها اختياراً نسب إليه ذلك ، فاعلم هذا ، وأنا أسلم لنفسي هذا الجهل وأقول لها : إنما خلقك بيديه لشرفك على جميع الموجودات ، وجعلك إنساناً ولم يجعلك ملكاً ولا شيطاناً ، فاتصلت على النصف من المعرفة ، انظري يا نفس إلى حال من خلقت نشأته على نصف المعرفة كيف قال الله فيهم : « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » ، « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » ، « لا يعصون الله ما أمرهم » هذا شكرهم على معرفتهم وهي نصف المعرفة ، وأنت قد أنشئت في مقام المعرفة بكمالها،والصورة الإحاطية والاستخلاف الإلهي،فكان ينبغي أن يكون شكرك أتم من شكرهم ، وزكاتك أعظم من زكاتهم ، لأن معرفتك كلية ، فكان الأولى بك أن تقوم الركعة الواحدة مقام عبادة أهل السموات والأرض ، فإياك أن تحجب نفسك بأن تقول يا أخي : كاتب هذه الرسالة ما عرف مقامي ، ولا من أنا ، فما قصدتك بالكلام ، وإنما تكلمت على ما تقتضيه الحقائق وحصرتها حصراً إحاطياً ، وكشفتها كشفاً اعتصامياً ، لم يبق ملك ولا رسول ولا نبي ولا ولي ولا أحد إلا دخل في هذا الحصر ، فلابد أن تكون يا قارىء هذه الرسالة واحداً من هؤلاء الأقوام والطبقات، وادع فيمن شئت ، فقد سلمت لك ، ولو ادعيت الملكية وحدها أو الرسالة أو النبوة أو ما ادعيته فالحقائق تحكم عليك قسراً ، وتردك إلى العبودية وإلى الموطن إن عصمت ، وإن خذلت عميت عن الحقائق ، واستعجلت الآجلة وأجلت العاجلة وجعلت غيرك المحجوب وأنت العاقل عن الله المصيب ، فإذا انقلبت وجدت عملك هباء منثوراً، وطردتك الحقائق السعادية عن بابها ، وقالت : لا أعرفك ، فإنك ما صاحبتني في الدنيا ، ولا تعرفت إليّ ، ودعاك خيالك الفاسد القاصر فرمى بك في سواء الجحيم،

فكيف ما نظرت في خلق الحق لك بيديه ، إن كان ابتلاء فلابد من الحذر والوزن مخافة النقص والتطفيف ، وإن كان شرفاً ورفعة فلابد من الجد والاجتهاد في الشكر، كما قال عليه الصلاة والسلام : « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلا » وكما قال بعض العارفين وقد رأى صوفياً يضحك ملء فيه : لا يخلو أن تكون بشرت بسعادتك أم لا ، فإن كنت لم تؤمَّن فما هذه حالة الخائفين ، وإن كنت أمِّنت فما هذه حالة الشاكرين ، فقد ناط به الذم من الطرفين في ضحكه ، فكيف لو رآه متنعماً مترفاً ويجمع ويدخر ويمني نفسه بالغرور ، وقد تقدم حديث سلمان الفارسي في وقت ذكره لما فتح الله به على بعض الصحابة والتابعين من كنوز كسرى وقيصر ، وأن الله ما اختار لنبيه الدنيا ، بل اصطفاه فقيراً لا يبيت على معلوم في البيت ، حتى مات عليه الصلاة والسلام ، وأشباه ذلك .

فإياك يا وليي والمغالطة ، فإن الناقد بصير وإليه تصير الأمور ، وقد مضت العبارات ، وطاحت الإشارات ، وما بقي إلا تسبيحات ، فلا يغتر العالم بعلمه ما لم يستعمله ، ولا يغتر باستعماله ما لم يخلص فيه ، ولا يغتر بإخلاصه ما لم يفن عنه[1] ،

---

(١) « وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » الآية

الإخلاص النية ولهذا قيدها بقوله له، لا لغيره ولا لحكم الشركة، وفي النية نقول :

الروح للجسم والنيات للعمل	تحيا بها كحياة الأرض بالمطر
فتبصر الزهر والأشجار بارزة	وكل ما تخرج الأشجار من ثمر
كذلك تخرج من أعمالنا صور	لها روائح من نتن ومن عطر
لولا الشريعة كان المسك يخجل من	أعرافها هكذا يقضي به نظري
إذ كان مستند التكوين أجمعه	له فلا فرق بين النفع والضرر
فالزم شريعته تنعم بها سوراً	تحلها صور تزهو على سرر
مثل الملوك تراها في أسرتها	أو كالعرائس معشوقين بالبصر

روينا من حديث رسول الله ﷺ انه قال « إنما الأعمال بالنيات وإنما لامرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » فالنية لجميع الحركات

هذه مسألة من تحقق بها وبمعانيها لم يسكن له جأش ، ولا يطيب له عيش ، يشغله شأنه عن كل شأن ، لما يؤول إليه حاله ، فإن قوارع القرآن تزعج العاقل اللبيب ، وتنغص حياة الفطن المصيب ، مثل قوله تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » وقوله : « أيحسب الإنسان أن يترك سدى » وقوله تعالى : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » وأمثال هذه القوارع والزواجر المتلوة في المحاريب والمحاضر ، تقرع أسماعنا آناء الليل وأطراف النهار ، فلا معرفة ثابتة في القلوب فيردعنا الحياء ، ولا خوف فيكفينا الوعيد والتقرير ، فلا ندري في أي نمط تتميز

والسكنات من المكلفين للأعمال كالمطر لما تنبته الأرض ، فالنية من حيث ذاتها واحدة وتختلف بالمتعلق وهو المنوي ، فتكون النتيجة بحسب المتعلق به لا بحسبها ، فإن حظ النية إنما هو أمرعارض ميزه الشارع وعينه للمكلف فليس للنية اثر البتة من هذا الوجه خاصة ، وإنما النية سبب في ظهور الأعمال الصالحة وغير الصالحة ، وليس لها إلا الإمداد ، وحقيقتها تعطى تعلقها بالمنوي ، وكون ذلك المنوي حسناً أو قبيحاً ليس لها ، وإنما ذلك لصاحب الحكم فيه بالحسن والقبح ، فالمخاطب المكلف إن نوى خيراً اثمر خيراً . وإن نوى شراً أثمر شراً ، وما أتي عليه إلا من المحل ، من طيبه وخبثه ، فالإخلاص هو النية ، فإن فاتتك النية فاتك الخير كله ، فكثير ما بين فاعل بنية القربة إلى الله ، وبين فاعل بغير هذه النية ، والعبادة عمل وترك ، فالإخلاص مأمور به شرعاً .

قال تعالى : « ليسأل الصادقين عن صدقهم » من حيث إضافة الصدق إليهم ، لأنه قال « عن صدقهم » وما قال عن الصدق ، فإن اضاف الصادقُ إذا سئل عن صدقه إلى ربه ، لا إلى نفسه ، وكان صادقاً في هذه الإضافة انها وجدت منه في حين صدقه في ذلك الأمر في الدنيا ، ارتفع عنه الاعتراض ، فإن الصادق هو الله ، وهو قوله المشروع « لا حول ولا قوة إلا بالله » فإذا كانت القوة به ، وهي الصدق ، فإضافتها إلى العبد إنما هو من حيث إيجادها فيه وقيامها به ، وإن قال عند سؤال الحق إياه عن صدقه ، انه لما صدق في فعله او قوله في الدنيا لم يحضر في صدقه أن ذلك بالله كان منه ، كان صادقاً في الجواب عند السؤال ، ونفعه ذلك عند الله في ذلك الموطن ، وحشر مع الصادقين في صدقه ، لهذا قال تعالى « ليسأل الصادقين عن صدقهم » فإذا ثبت لهم جازاهم به ، وهو قوله تعالى « ليجزي الله الصادقين بصدقهم » .

ف ح ٢٠٩/١ – ح ٢٨/٢ – ح ٤٧٩/٤

ولا بأي فرقة نلحق ، نسأل الله لنا ولكم وللمسلمين في جميع الأحوال هنا وعند الموت وفي المآل العافية .

ومما يحض العقل السليم على الاجتهاد ، ويحول بين جفنه وبين الرقاد ، نظره في النعم المترادفة عليه إذا حققها ، وذلك يا ولي أبقاك الله تعالى ، أن أول نعمة عقلتها من ربك إخراجك من العدم إلى الوجود ، وقد عدد هذا المقام عليك من جملة نعمه فقال : « أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » ثم خاطب بهذا المقام الخاصة الرفيعة من عباده الذين نحن أتباع لهم ، فقال لنبيه زكريا عليه السلام في وقت تعجبه من قدرة الله تعالى على حكم العادة في إيجاد ابنه يحيى عليه السلام « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً » فإياك أن تتوهم أن هذا الخطاب لزكريا في حق نفسه ، لإبطال المعنى فيه ، فإن خلق ابنه أعجب من خلقه في حكم العادة ، لأن زكريا عليه السلام قد أظهر العلة ، فلو أحاله على خلق نفسه لما أتاه بأعجب مما تعجب منه ، وإنما أشار إليه بذلك أن ينظر في أول موجود ، وهي الحقيقة الإنسانية قبل كل شيء ، وهي أم الأشياء كلها ، وليست من شيء ، وهي سبب كل شيء ، وليست مسببة عن شيء ، ولهذا قال له : « ولم تك شيئاً » فإن هذا الخلق الترابي الآدمي مسبب عن أشياء نبه عليها عليه الصلاة والسلام بقوله : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » ولا يكون العدم بين أمرين موجودين لانحصاره ، والمعدوم لا يوصف بالحصر في شيء ، وقال الله تعالى في خلق الجسد الآدمي « خلقكم من تراب » ثم قال « من طين » وهو خلط الماء والتراب ، وقال « من حمأ مسنون » وهو المتغير الريح وهو جزء الهواء ، وقال « من صلصال كالفخار » وهو جزء النار ، فهـذه أمهات الجسد الآدمي وهي كثيرة ، فلا يصح على هذا قوله « ولم تك شيئاً » فإنه قد كان شيئاً وانتقل في أطوار العالم من شكل إلى شكل حتى صار على هذه الصفة ، وكذلك قال في جسد ابن آدم كما قال في الجسد الآدمي من توقفه على شيء وأن أصله ذلك الشيء ، والصورة عرض فيه فقال : « فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » .

وإياك أن تقول : في وقت كنا كذا ، لم نكن كذا ، وقد نبه تعالى على أنك هو ذاك ، وأن أصل جسمانيتك من شيء فقال : « ولقد خلقنا الإنسان من تراب » وهو الأب إن شئت « ثم من مضغة » تمييز أيضاً آخر في طور آخر ، وقال : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » فجعلك من شيء وهذا طور « ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » هذا طور آخر « ثم خلقنا النطفة علقة » هذا طور آخر وكله الإنسان « فخلقنا العلقة مضغة » هذا طور آخر « فجعلنا المضغة عظاماً » هذا طور آخر « فكسونا العظام لحماً » هذا طور آخر « ثم أنشأناه خلقاً آخر » هذا طور آخر « فتبارك الله أحسن الخالقين » أثنى على نفسه ، يعلمك صورة الثناء عليه لتشكره لا لتكفره ، وهذا كله إنما ذكره ليعدد نعمه التي اختصك بها وحباك ، وهذه كلها أشياء علق وجود بعضها على بعض ، فقوله على ما تعطيه الحقائق ، ويعظم التعجب عند زكريا عليه السلام « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً » إنما يشير إلى البروز الأول من غير شيء ، لأن زكريا عليه السلام إنما تعجب من بشراه له تعالى بيحيى على كبره وامرأته عاقر ، فذكر له ما هو أعجب من ذلك ، وهو إخراج الشيء من العدم إلى الوجود ، فإن النقلة في مراتب الوجود من وجود إلى وجود باختلاف الأحوال أهون من إبراز المعدوم ، فلهذا كان أعجب مما تعجب منه زكريا ، ومن هذا تعجبت امرأة إبراهيم عليه السلام حين بشرت بإسحاق عليه السلام • فقالت : « يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب » وهذا يا ولي إذا نظرته من الأسرار العجيبة ، فتنبه له عسى أن تعثر على الفضل بينهما ، وذلك أن الله قد أخبرنا عن زكريا عليه السلام بما أخبرنا عن امرأة إبراهيم عليه السلام ، فشرك بين المرأة والرجل في هذا التعجب ، فشرك بينهما في العلم لأن التعجب على قدر العلم ، ومعلوم فضل الرجل على المرأة في الميراث والشهادة والصوم والصلاة ، وللرجال عليهن درجة ، وهذه المسألة مسألة مفزعة لتعلقها بباب المعرفة ، وقد اشترك فيها نبي الله زكريا عليه السلام وامرأة ليست بكاملة ، فحقق خاطرك يا ولي في هذه المسألة عسى تعثر عليها ، وكنت أذكر لك وجه الفضل بينهما وأبينه ولكني رأيتك تحب أن تأخذ العلم من

ربك فتأدبت معك وأبقيتها مهملة ، قال الله تعالى جواباً لزكريا عليه السلام : « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً » وقال تعالى جواباً لامرأة إبراهيم عليه السلام «أتعجبين من أمر الله » ولوحنا لك وألقيناك على الطريق فادرج عليه ، فإن ما بينك وبين العلم إلا كلمة واحدة ، وهذا غاية ما قدرنا عليه في حقك من تقريب المسألة إلى هذا . وسترناها خلف حجاب واحد رقيق ، والخطاب على قدر العقل فانظره [1] .

---

(١) **قول إبراهيم وهاجر ومريم عليهم السلام**

ليس أعجب من حال زكريا عليه السلام ، وهو الذي ظهر فيه سلطان الإنسانية حين يقول « رب هب لي من لدنك ذرية طيبة » فما سأل حتى تصور الوقوع ، فأين هذه الحالة من قوله « رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً » فإن لم يكن ثم قرينة حال جعلته أن يقول مثل هذا القول حتى يقال له في الوحي « كذلك الله يفعل ما يشاء » فيكون قصده إعلام الله بذلك حتى يعلم غيره أن الله يفعل ما يشاء في المعتاد أن يخرقه كما وقع ، وإن كان القول الذي قال زكريا عليه السلام من نفسه فقد أعطته الإنسانية قوتها ، فإن الإنسان بذاته كما ذكره الله في كتابه ، فما ذكره الله في موضع إلا وذكر عند ذكره صفة نقص تدل على خلاف ما خلق له ، « قال ربك » لزكريا عليه السلام « هو علي هين وقد خلقتك » أي قدرتك « من قبل ولم تك شيئاً » المقصود هو شيئية الوجود ، لأنه جاء بلفظة « تك » وهي حرف وجودي ، فنفاه بـ « لم » أي ما كانت لك شيئية الوجود ، وهي على الحقيقة شيئية الظهور ، فقوله « ولم تك شيئا » يعني ولم تك شيئا موجوداً ، فظهر لعينه وإن كان في شيئية ثبوته ظاهراً متميزاً عن غيره بحقيقته ، ولكن لربه لا لنفسه فإنه لما كانت أحدية الله ذاتية لا نسبة بينها وبين الممكنات ، ومن المحال أن يعقل العقل وجود العالم من هذه الأحدية ، فنظر فيه من كونه إلها يطلب المألوه ، وهو تركيب الأدلة وترتيبها ، ولما كان يجب على الرجل الجمع بين العلم بتلك الأحدية وبين العلم بكونه إلها ، قال تعالى لزكريا عليه السلام « كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا » فتعدد الأحكام على المحكوم عليه مع أحدية العين، إنما ذلك راجع إلى نسب واعتبارات فعين الممكن لم تزل ولا تزال على حالها من الإمكان ، فلم يخرجها كونها مظهراً حتى انطلق عليها الاتصاف بالوجود عن حكم الإمكان فيها ، فإنه وصف ذاتي لها ، والأمور لا تتغير عن حقائقها لاختلاف الحكم عليها لاختلاف النسب ، لذلك قال « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا » فنفى الشيئية عنه وأثبتها له ، والعين هي العين لا غيرها .

فهذا يا ولي أول نعمة أنعم بها عليك ، لو كلفك الله شكر هذه النعمة وحدها وجعل معك أهل السموات والأرض بعبادتهم مؤيدين لك عمرك الأخروي الذي لا نهاية له ما قمت بشكرها ، كيف وقد انضاف إليها نعم كثيرة غيرها ، ثم طالبك في الشكر والعبادة على قدر استطاعتك خاصة ، فأبيت الإنصاف وتكاسلت وتخاذلت وتعاميت وتصاممت ، ما هذا ممن يدعي العقل والمعرفة بحسن ، إنما يقع الاعتراف بالتقصير بما ينبغي لجلال الحضرة من الاجتهاد بعد بذل المجهود ، وإياك وشطحة من شطح لسكر غلب عليه فقال : إني أغار على جمال القديم أن يراه المحدث من تدنيس رؤيته ، فهذه كلمة ليس لها مدخل في الرجولية ، وإنما هي شطحة من صورة وقف القائل معها ، تردها الحقائق (1) ، أو تغتر أيضا بقول القائل : من ظن أنه

فأحاله إلى النظر والاستدلال ، ولم يقل ذلك للمراة وهي مريم ، بل قال لها « كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امراً مقضياً » فإن المراة تنقص عن الرجل في العلم بالأحدية الذاتية ، فلم يكلفها النظر في الجمع بينها وبين العلم بالله من كونه إلها ، بل قال لها « وكان امراً مقضياً » مع انه متعين على مريم العلم بالأحدية الذاتية وعلم الأحدية الإلهية التي هي احدية الكثرة ، فإنها ممن تحصل له درجة الكمال .

اعتبار — يقول الحق تعالى لزكريا عليه السلام : فكن معي في حال وجودك من عدم الاعتراض في الحكم والتسليم لمجاري الأقدار كما كنت في حال عدمك ، ويقول للإنسان : ينبغي أن تكون وأنت في حال وجودك من الحال معي كما كنت في حال عدمك من قبولك لأوامري وعدم اعتراضك ، يأمره بالوقوف عند حدوده ومراسمه ، فيتكلم حيث رسم له أن يتكلم .

ف ح ١/٢٠٢ ، ٤٥٨ — ح ٢/٥٦ ، ٦٧٢
ح ٣/٢٥٤ ، ٥٠٩ — ح ٤/١٠ ، ١٦٧

(1) الغيرة على الله تعالى

كان الشبلي رضي الله عنه ممن يقول بالغيرة على الله ، فاعلم أيدنا الله وإياك ، ان الله تعالى أبدع امناءه من اسمه اللطيف ، وتجلى لهم في اسمه الجميل ، فاحبوه تعالى ، والغيرة من صفات المحبة في المحبوب والمحب بوجهين مختلفين ، فستروا محبته غيرة منهم عليه ، وسترهم بهذه الغيرة عن ان يعرفوا ، والغيرة نعت إلهي ، ورد في

بالجهد يصل فهو متعن ، فقد قال هذا أيضاً « ومن ظن أنه يصل بغير الجهد فهو متمن » فقد أشار إلى ما ندبناك إليه من بذل المجهود وصحة القصد ، ولا وصول إلا برحمة الله ، قال الله تعالى في المتمني : « وغرتكم الأماني » فذمه وقال في المتعني « فنعم أجر العاملين » « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » فمدح المتعني ، فإن كان ولابد فالتعني أولى ٠

الخبر ان رسول الله ﷺ قال في سعد : « إن سعداً لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني ، ومن غيرته حرم الفواحش » فالغيرة اثبتها الشرع ، وهي في الحيوان من اثر شح الطبيعة ، واعظمها في حقيقة نفس الإنسان ، لما ركبه الله عليه في نشأته من وفور العقل وتحكيم القوى الروحانية والحسية منه ، فانجرت الغيرة المصاحبة للشحالطبيعي فكان اكثر الحيوان غيرة ، لان سلطان الشح والوهم فيه اقوى مما في سواه ، والعقل ليس بينه وبين الغيرة مناسبة في الحقيقة ، ولهذا خلقه الله في الإنسان لدفع سلطان الشهوة والهوى الموجبين لحكم الغيرة فيه ، فإن الغيرة من مشاهدة الغير المماثل المزاحم له فيما يروم تحصيله ، أو هو حاصل له من الأمور التي إذا ظفر بها واحد لم تكن عند غيره ، وقد جبله الله على الحرص والطمع ان يكون كل شيء له وتحت حكمه ، لإظهار سلطان الصورة التي خلق عليها ، فإن من حقيقتها أن يكون كل شيء تحت سلطانها ، حتى إن بعض الناس ارسل حكم غيرته فيما لا ينبغي أن يرسلها فغار على الله ، وما خلق وما كلف إلا أن يغار لله لا على الله ، فهذا بلغ من العبد سلطان استحكامهافيالإنسان فالحقته بالجاهلين ، والعقل الكامل يعلم أنه خلق لربه لا لغيره وعلم بذاته ان من خلقه لا يمكن ان يزاحمه في أمر ولا يعارضه في حكم ، فيقول هو هو على ما هو عليه في نفسه ، فليس كمثله شيء ، وانا انا على ما انا عليه في نفسي ، ولي امثال من جنسي ، فليس له فيما انا عليه قدم إلا التحكم ، وليس لي فيما هو عليه إلا قبول الحكم ، فلا مزاحمة ولا غيرة ، فالإنسان بما هو عاقل إن كان تحت سلطان عقله فلا يغار ، لانه ما خلق إلا لله ، والله لا يُغار عليه ، فإذا غار العاقل فإنما يغار من حيث إيمانه ، فهو يغار لله ، ولها موطن مخصوص شرعه ، لا يتعداه ، فكل غيرة تتعدى ذلك الحد فهي خارجة عن حكم العقل منبعثة عن شح الطبيعة وحكم الهوى، فالغيرة اثبتها الإيمان بأداة مخصوصة، وهي اللام الأجلية ، أو من ، او الباء ، وتستحيل بأداة على ، وهي التي وقعت من الشبلي ، إما غلطة وإما قبل أن يعرف الله معرفة العارفين ، فالغيرة في طريق الله هي الغيرة لله أو بالله أو من اجل الله ، والغيرة على الله محال ، فالغيرة لله ومن اجل الله

وإن أسقطت الدعوى مع وجود التعني وعدم الالتفات إلى نتائجه إنما يكون خالياً من جميع أعماله ، وهو فيها متعرض لنفحة من نفحات الربوبية ، لأن العبادات بحكم التسخير إنما هي للفقهاء العامة الذين أعماهم الله عن الحقائق ، فقيل لهم : قدموا لتجدوا ، وهؤلاء هم الجهال عندنا ، وعليهم توجه التكليف مطابقاً لاسمه ، فيدخل عليهم في أداء العبادات من الكلفة والمشقة ما لا يعلمه إلا الله ، وذلك لعدم معرفتهم بمعبودهم واشتغالهم بشهوات نفوسهم وحظوظها عاجلة وآجلة ، وأما هذه الصوفية المحققون ، فعبادتهم لا بحكم التسخير لكن من طريق الشكر بشاهد الفناء عن ملاحظة العمل ونتائجه ، فلم يقدموا أعمالهم ليجدوها ويلحقوا بها ، وإنما عملوا لأن السيد قال لهم : اعملوا ، فلهم العمل والطرح ، وللسيد إن شاء القبول وإن شاء الرد ، فهؤلاء توجه عليهم التكليف وارتفع عنهم معناه ، أي ما فيه من الكلفة والمشقة ، لقوة معرفتهم بمعبودهم واشتغالهم بحقوق معبودهم عن حقوق نفوسهم ، فلم يتصور لهم أن يطلبوا أجراً لهم ، إنما هو في كل نفس مشتغل بما كلف في ذلك ، فهو يجني والباري تعالى يدخر له[1] ، والفقيه الضعيف الجاهل صاحب علم الرسوم

وبالله هو ان يرى الإنسان ما حده الحق أن يتعداه الخلق ، فيقوم به صفة الغيرة لله لا لنفسه ، ومن أجل الله لا من أجل نفسه إذ علم أن الخلق عبيد الله ، وأنه من حكم العبد ان لا يتعدى حد ما رسم له سيده ، واما ان يغار على الله فإن الغيرة ستر يحجب المغار عليه حتى لايكون إلا عنده خاصة ، وطريق الله مبني على أن ندعو الخلق إلى الله وان نردهم إليه ونحببه إليهم ونعرفهم به وبمكانته ، وبهذا امرنا ، والغيرة الكونية تأبى ذلك كله لجهلها بالمغار عليه الذي لا يستحق الغيرة عليه ، فالغيرة على الله ليست بصحيحة ، والقائل بذلك قصد الخير ولكن ما علم طريقه ، وإنما التبس عليه الغيرة لله بالغيرة على الله .

ف ح ١/١١٥ ، ٧٤١ – ح ٢/٢٤٤

(١) العبيد والأجراء

اعلم أن من الناس عبيداً ومنهم أجراء ، ولاجل الإجارة ، نزلت الكتب الإلهية بها بين الأجير والمستأجر ، فلو كانوا عبيداً ما كتب الحق كتابا لهم على نفسه ، فإن العبد لا يوقت على سيده ، إنما هو عامل في ملكه ومتناول ما يحتاج إليه ، فالأجراء

الذي قد ختم الله على قلبه بشهواته ، فتراه يلتفت يميناً وشمالا في صلاته ، ويحرم الإمام ويبقى هو بعده بقدر ركعة في حضور نيته للصلاة لكثرة شغله عنها بهذيانه ودنياه وكثرة غفلاته ، ثم يكرر التكبير مرتين وثلاثاً وأربعاً لشكه في النية لعدم صفاء قلبه وترادف ظلماته ، فإذا سهل الله عليه وأدى ما كلفه الله تعالى فهذه حالة المجتهد الحازم ، وساق هذه الجناية المسودة الوجه بعدم الحضور فيها مع الله تعالى ، وسوء ظنه بربه ، كيف يكون له ذلك العمل مدخراً عند الله تعالى حتى يجده عنده ؟ لعدم تطلعه إلى فضل الله عليه ، فيجنح إلى عمله ، وهذه كلها علالات فاسدة ، ولكن كما قال الله تعالى « وقد خلقكم أطواراً » فكذلك أكثر الشريعة تجري عليهم رحمة بهم لضعفهم ، وهم في عماية عن ذلك ، بل من عظيم جهلهم أنهم ما عقلوا عن الله رحمته هذه بهم ، وتخيلوا أنهم إذا فعلوا هذا واقتصروا عليه أنه لا شيء أعلى منه ، والخلق دونه لحفظه الحديث والفقه ، ويقال له : يا فقيه ما تقول في رجل حلف على كذا ؟ فيحكم فيها بحكم الله المشروع ، ويحجبه ذلك المنصب عن القلب المختوم عليه بحب الدنيا وتعظيمها ، ونظره الفقراء وأولياء الله تعالى بعين الازدراء والجهل ، لكونهم لا يعرفون مسائل العتق والطلاق والنكاح ، فهم الأغمار الجهلاء ، فهذا وأشباهه حجبهم عن الله وطردهم عن بابه ، وما زالت الفقهاء في كل زمان مع المحققين بمنزلة الفراعنة مع النبيين .

لهم أجرهم والعبيد لهم نورهم ، وهو سيدهم ، فإنه نور السموات والأرض فقوله تعالى « والشهداء عند ربهم لهم أجرهم » يعني الأجراء ، وهم الذين اشترى الحق منهم أنفسهم « ونورهم » وهم العبيد والإماء ، فبرالله عز وجل الصديقين من الاعواض وطلب الثواب ، إذ لم يقم بنفوسهم ذلك لعلمهم أن أفعالهم ليست لهم أن يطلبوا عوضا ، بل هم العبيد على الحقيقة والأجراء مجازاً ، فقال عز وجل « والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون » ولم يذكر لهم عوضا على عملهم ، إذ لم يقم لهم به خاطر اصلا لتبريهم من الدعوى ، ثم قال « والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم » فهم العاملون على الأجرة ، جعلنا الله وإياكم من أعلاهم مقاما واحبهم إليه ، إنه الولي المحسان .

ف ح ١/٦٥٨ــ مواقع النجوم

ثم ننتقل يا ولي إلى الأم الثانية من هذه النعم الثانية ، وهي أن تنظر إلى كونه أوجدك متغذياً نامياً ، ولم يجعلك جماداً صلداً ، وإن كانت الحجارة والجمادات عندنا على خلاف ما يراها الناس ، كما قال الله تعالى : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله » فوصفها بالخشية وغيرها وقال تعالى « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله » وقال تعالى « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها » وقال تعالى للسموات والأرض « إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » وقال تعالى « يا جبال أوبي معه والطير » أي رجعي معه التسبيح وسيري معه ، وقال « فسخرنا له الريح تجري بأمره » وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأعرف حجراً كان يسلم علي » وقال في أحد « هذا جبل يحبنا ونحبه » وقال موسى عليه السلام « ثوبي حجر ثوبي حجر » يناديه ، وسبح الحصى في كفه ﷺ وما أشبه ذلك ، فالجمادات عندنا عالمة بالله تعالى ناطقة به في عالمها ، وهي على حسب أفقها وفلكها ، ولها نذير من جنسها ، وهي عندنا أمة من الأمم ، قد فضل الله بعضها على بعض ، فكانت القدرة ممكنة لما أوجدتك ولم تك شيئاً ، أن تنزلك في أمة الجمادات ، ولكن مقام النبات أعلى وأمته أفضل ، فجعلك متغذياً نامياً ولم يجعلك جماداً ، وهذه نعمة كبيرة لا يؤدى شكرها ولا يقدر قدرها ، فاجتهد عافاك الله جهدك ، فإنك مسؤول على قدر معرفتك وتدقيقك ، فإن العوام ما تسأل عن هذه النعم التي ذكرناها ونسأل نحن عنها فسؤالنا أشد فينبغي أن يكون عملنا أتم ، ولا تكن يا ولي كقوم رأيتهم فأبنت لهم ما لله عليهم من النعم ليجتهدوا وأمرتهم بما أمرتك وأمرت به نفسي فأبوا قبول ذلك ، وقال كل واحد منهم لما أراد الله خذلانه : إن العبد لا يفي أبداً بشكر نعمة واحدة مما أنعم الله به عليه ، فكيف أن يستغرقها ، فالتعني لا فائدة له ، فقلت : صدقتم في أن أحداً لا يفي بشكر الله تعالى ، فإن الشكر منه على النعمة نعمة ، ولنا في هذه المعرفة ذراع أطول من ذراعكم وأزيد مما

عرفتموه ، ولو عرفتموه ما عبدتم الله أبداً مما ترون من الحقائق[1] ، وأنتم قاصرون ، ولكن ينبغي للعبد أن يبذل الطاقة التي أعطاه الله تعالى في مرضاته على الاستيفاء ، فإذا لم يبق له اتساع ، حينئذ يقول : إنه لا يفي ، وأن ذلك عقد في القلب ، والجوارح تتصرف بالأعمال ، فإياك والبطالة ، فقد تقدمك النبيون والمرسلون والملأ الأعلا من الملائكة والعارفون وصالحو المؤمنين بالاجتهاد والكد مع صحة التوحيد والمعرفة والقصد ، وما قال بقولك هذا إلا الإباحية والمنحلة عقائدهم ، الذين قالوا بإسقاط الأعمال ، نسأل الله لنا ولكم وللمسلمين العصمة في الحال والمآل .

ثم زادك الله نعمة على هذه النعمة بأن نقلك من أمة النبات والشجر إلى أمة الحيوان ، فجعلك حساساً فوجب عليك من الشكر والعبادة ما وجب على الجماد والنبات والحيوان ، فإنك قد جمعت حقائقهم وزدت على كل واحد منهم ، فينبغي لك أن تعمل على كشف عبادة العالم سفله وعلوه وما هم فيه ، فتأخذ نفسك بعبادة كل طائفة منهم ، فإنك مشارك لهم في حقيقتهم ، ولهذا أنت الأمم الجامعة لحقائقهم ، ثم إنه ما منها من أمة من الجماد والنبات والحيوان وغير ذلك إلا ولهم عبادتان ، عبادة تعم الأمة كلها ، وعبادة تخص آحاد الأمة ، كما قال تعالى « وما منا إلا له مقام معلوم » فهذه عبادة الأشخاص على الانفراد ، وأنا لا أطالبك بعبادة الأشخاص ، وإنما أطالبك بالعبادة التي يشترك فيها جنس تلك الأمة ، وإنما يتوجه عليك عبادة أشخاصها إذا أوقفك الحق مع واحد منها فحينئذ ، وفي جملة أشياخنا الذين انتفعنا بهم في طريق الآخرة في هذه الأمم ميزاب رأيته في مدينة فاس في حائط ينزل منه ماء السطح مثل ميزاب الكعبة فوقفت على عبادته وأجهدت نفسي عسى أجزي معه في

---

(١) مقالة ابي يزيد البسطامي

اعلم أن الحق تعالى ما استوى على العرش إلا بالاسم الرحمن ، فلما عمت رحمة الله أبا يزيد البسطامي ، ولم ير للكون فيها أثراً يزيل عنها حكم العموم ، قال للحق « لو علم الناس منك ما أعلم ما عبدوك » وقال له الحق تعالى « يا أبا يزيد لو علم الناس منك ماأعلم لرجموك » يعني لقالوا بكفرك ورجموك لاعتقادك هذا .

ف ح ٤/٤٨

ذلك ، ومنهم ظلي الممتد من شخصي أخذت منه عبادتين قد أخذ نفسه بهما وأشباه ذلك[1] ، وأما الحيوانات فلنا منهم شيوخ ومن جملة شيوخنا الذين اعتمدت عليهم الفرس فإن عبادته عجيبة ، والبازي والهرة والكلب والفهد والنحلة وغير ذلك ، فما قدرت قط أن أتصف بعبادتهم على حد ما هم عليها ، وغايتي أن أقدر على ذلك في وقت دون وقت، وهم في كل لحظة، مع اعتقادهم بسيادتي عليهم يوبخوني ويعاتبوني، ولقد ألقى منهم شدة لما يرونه من نقص حالي في عبادتهم ، وربما يغتاظ بعضهم علي حتى تحجبه غيرته في دين الله تعالى من أجل تقصيري فيهم ، ويغيب عن سيادتي عليه لمعصيتي وسوء معاملتي مع الله ، فتزول طاعتي من عليهم ، وأعذرهم في ذلك وأسلم لهم في إخلاصهم ، فإن أبا بكر رضي الله عنـــه قد قال لما ولي الخلافة « أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم » وقال الحقّ ، فينبغي لك يا ولي إذا آذاك حيوان من الحيوانات من كلب أو دابة أو حنش وغير ذلك من الأمة الحيوانية ، أو آذاك عود من شجرة أو ورقة من الأمة النباتية ، أو آذاك حجر بأن تعثر فيه أو يسقط عليك من حائط أو يرميه صبي أو أحد على شيء فيترك الحجر المشي لما رمي له وينصرف إليك ، فلا تغضب وأنصف وارجع مع نفسك على حالك وأقم عليها ميزان العدل فيما كلفها الله من مراقبته والحضور معه ، فلابد ضرورة أن تجد قصورا أو تفريطا فيك في العبادة التي توجهت عليك مما تعبد به ذلك الذي

---

(١) اعتبار من الظل

ظلك على صورتك ، وأنت على الصورة ، فأنت ظل قام الدليل على أن التحريك للحق لا لك ، كذلك التحريك لك لا للظل ، غير انك تعترض فلم تعرف قدرك وظلك لا يعترض ، فيا من هو ظله اعلم بقدره منه متى تفلح ؟ ما مدت الظلال للاستظلال ، وإنما مدت لتكون سلما إلى معرفة الله معك ، فأنت الظل وسيقبضك إليه ، فمن نظر إلى ظله عرف أن حكمه في الحركة والسكون من أصله ، فأراد الحق منك أن تكون معه كظلك معك ، من عدم الاعتراض عليه فيما يجريه عليك ، والتسليم والتفويض إليـــه فيما تصرف فيك به ، وينبهك بذلك أن حركتك عين تحريكه ، وأن سكونك كذلك ، ما الظل يحرك الشخص ، كذلك فلتكن مع الله فإن الأمر كما شاهدته ، فهو المؤثر فيك.

ـ كتاب التراجم ـ .

آذاك من حيوان أو نبات أو حجر ، فاستغفر الله وتب وأخلص واعزم على أن لا تعود فإنه يذهب عنك ذلك الألم من حينه ، فإن تقويت خاطبك ذلك الذي آذاك ، فتسمى كرامة ، وليست الكرامة على الحقيقة إلا تنبهك لهذا وتوبتك وهروبك إلى مواطن الموافقــة .

فلا يغرنك يا ولي قوله تعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه » فإنه لم يقل فعلت ذلك لبسعدكم ولا أيضاً ليشقيكم ، فبقيت على قدر الحذر والغرور واقفاً فتحفظ ، فإنها آية فتنة يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء، قال كليم الله موسى عليه السلام « إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء » فلا يغرنك رفعتك على جميع الموجودات من جهة الحقائق التي أنشئت عليها علواً وسفلا ، فإنها ليست برفعة إلهية ، وإنما هي رفعة تعطيها الحقائق لا تعصم من نار ولا تدخل نعيماً ، ولا يدخل بها أهل الجنة في جنتهم ولا أهل النار في نارهم ، فلا فائدة فيها ولا سلطان لها على السعادة ، وبها زلت أقدام أكثر أهل هذه الطريقة وهي التي أخرجتهم عن الشريعة ، وإنما يغتر الإنسان بالرفعة الإلهية الاختصاصية الصفاتية الزائدة على الإنسانية وهي قوله تعالى : « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » على ذلك عول أئمتنا وساداتنا من المعصومين الأنبياء والمحفوظين من الأولياء ، وما ثم من يقتدى به إلا هؤلاء ، قال الله تعالى : « فبهداهم اقتده » وقال تعالى : « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً » فهذه نعمة يجب عليك نظر قوي فيها .

ثم زادك الله تبارك وتعالى نعمة أخرى إلى هذه النعم ، فجعلك ناطقاً وفضلك على الحيوان الحساس خاصة ، فزدت معرفة بما لا يعرفه الحيوان ، فتزداد عبادة واجتهاداً على حسب الطور الذي انتقلت إليه ، رهنا عليك نعمتان كبيرتان ، النعمة الواحدة بأن أعطاك بنطقك حقيقة الملك ، وهو الاشتراك في العقل الإلهي ، فوجب عليك ما وجب على المَلَك من جهة روحك ، وقد سمعت بعبادة الملائكة التي أخبرنا الله تعالى بها على مراتبهم ، وقد دخلت أنت بعقلك معهم ، فتوجه عليك في روحك العقلي وسرك اللطيف الملكي ما توجه على الملك ، فأنت مطالب بالحضور الدائم ،

وشاركت النازلين عنك من عالم الأجسام ، جمادهم ونباتهم وحيوانهم ، في حقائقهم التي لم يشاركهم فيها ملك، فتوجهت عليك كما ذكرناه عبادتهم، فكل عبد لله مطلوب في عبادته بحقيقته ، فالملك مطلوب في عبادته بحقيقته ما عليه مزيد ، والحساس مطلوب في عبادته بثلاث حقائق ، بحقيقة انفصاله من النبات والجماد ، وبحقيقتي اشتراكه مع عالم النبات والجماد ، وعالم النبات مطلوب في عبادته بحقيقتين ، حقيقته التي انفصل بها عن الجماد ، وحقيقة اشتراكه مع عالم الجماد ، وعالم الجماد مطلوب في عبادته بحقيقته فإنه لا شيء أنزل منه ، والملك مطلوب بحقيقة واحدة أيضا في عبادته لأنه لا شيء أرفع منه ، ولهذا أبداً يقابل العلو السفل ، والأول الآخر ، والشيء نقيضه أبداً ، وأنت يا ولي الذي هو الإنسان، مطلوب في عبادتك هذه بخمس حقائق. حقيقة الملك فإنها فيك ، وحقيقة الحساس ، وحقيقة النبات ، وحقيقة الجماد . وحقيقة الجمعية لهذه ، فإذا وفيت بشكر هذه الحقائق وتأيدت بها وعبدت الله على مقدار ما أعطاك من التمكين في الكشف من معرفتها — إن كنت مريداً صادقاً — بعد هذا تنتقل إلى أول قدم من ظاهر الشريعة ، ولا تقل أنك أرفع من الجماد . ولا أشرف من الملك ، ولا أحط منه ، فإنك في طور آخر مفرد يخصك . وذلك أن الله تعالى قد وهبك سر الجمعية العامة ، وهو الذي حجبك عن عبوديتك ، وبه ترأست ، حتى قيل في الملائكة « بل عباد مكرمون » فإنهم ما ترأسوا قط لعدم سر الجمعية العامة الكبريائية من حقائقهم ، فكانوا عبيداً ، وكذلك من نزل عنهم من طبقات العوالم إلا أنت ، فإن سر الجمعية الكبريائية مثبوت فيك[1] وبهذا صح لك مقام الخلافة على العوالم ، وبه طلبت التقدم والرياسة ، واحتجبت عن الله تعالى . وهو قوله ﷺ « وأعوذ بك منك » فإن سر الجمعية العامة الكبريائية هو الذي حجبك عنه تعالى ، ولو أبقاك كما أبقى العالم معرى عنه لكنت عبداً ، فنبه نفسك ،

---

(١) هو خلق الإنسان على الصورة الإلهيه كما جاء في الحديث الصحيح « خلق الله آدم على صورته » .

ولما علم سبحانه أن سر الألوهية في الإنسان داء عضال ، كثَّر الأدوية فيه ، فما زال ينبهك في كتابه العزيز على أدويتك لهذا الداء ، لتستعملها فتبرأ منه ، فقال تعالى : « أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » فهـذه حقيقتك الملكية[1] وفي هذه الآية لم تزل الملائكة ، وقال تعالى : « الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثـم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة » فالضعف الأول ـ بحكم التحقيق لا بحكم التفسير ـ خلقه إياك على فطرة العالم كله ، والقوة نفخه سر الجمعية العامة الكبريائية فيك بعد تسويتك ، والضعف الثاني والشيبـة هو ما حصل لك من شرب دواء المعرفة الذي أعطاك فاستعملته ، وبهذا تقع الفائدة ، فلست من نمط العالم في شيء ، ولا تتميز معهم البتة ، فإنك انفصلت عنهم بسـر الألوهية، فإن استعملته ولم تشرب من هذه الأدوية شيئاً خرجت مع فرعون والنمرود، وكل من ادعى الربوبية على قدره من كلمة فرعون إلى قول الإنسان : لولا ما قلت له كذا لاتفق كذا ، لولا أنا لهلك العيال ، وهي أدنى المراتب في الألوهية ، حتى الشيخ في هذه الطريقة يقول : لولا همتي في فلان أصحبته إياها وإلا فقد كان هلك، وهذه كلها علل وأمراض من داء سر الألوهية ، وكل واحد من هذه الأصناف معاقب على قدره ، إما بالعقوبة الكبرى ، وإما بنقص الحظ ، فلابد من العقوبة ، ولهذا يعلو البقاء عندنا على الفناء ، وهذه حقيقة لم يشعر بها من تقدم من أصحابنا ، فاعرفها يا ولي .

---

(١) أو لا يذكر الإنسان ـ الآية

الإنسان عالم بالذات إلا انه ينسى ، فكل علم يحصل له إنما هو تذكر ، ولا يشعر به انه تذكر ، إلا اهل الله ، فإن الله اودع في الإنسان علم كل شيء ، ثم حال بينه وبين أن يدرك ما عنده مما أودع الله فيه ، ولقد خاطب الحق الإنسان وحده في هذه الآية ، لأنه المعتبر الذي وجد العالم من أجله ، وإلا فكل ممكن بهذه المثابة ، فما هو الإنسان مخصوص بهذا وحده ، بل العالم كله على هذا ، وهو من الاسرار الإلهية التي ينكرها العقل ويحيلها جملة واحدة ، وقربها من الذوات الجاهلة في حال علمها قرب الحق من العبد ، وهو قرب لا يدرك ولا يعرف إلا تقليداً ، ولولا إخباره ما دل عليه عقل ،

فإذا لم يتميز الإنسان مع العالم لسر الجمعية الكبريائية فلا يقال من أشرف الملك أو الإنسان ؟ فصار الإنسان يزاحم الألوهية لوقوفه على الأسماء كلها من جهة سر الجمع العام الكبريائي المثبوت فيه وخلافته ، فعظم حجابه ، وسجد له العالم أجمع من أجل ذلك السر ، فالقوي منا المتمكن هو الذي يخرق حجاب سر الجمعية العامة الكبريائية بينه وبين ربه ، حتى يشاهد ألوهية ربه دون ألوهيته ؛ فيعرف عبوديته فيكون أقوى العالم وأشد ؛ لرفعه ذلك الحجاب الأقوى ؛ فتكون منزلته

فكل ما يعلمه الإنسان دائما وكل موجود فإنما هو تذكر على الحقيقة وتجديد ما نسيه. وليس المحال تعلق العلم بما لا يتناهى ، وإنما المحال دخول ما لا يتناهى في الوجود ، لا تعلق العلم به ، فإن الخلق أنساهم الله ذلك كما انساهم شهادتهم بالربوبية في أخذ الميثاق مع كونه قد وقع ، وعرفنا ذلك بالإخبار الإلهي ، تعلم الإنسان دائماً إنما هو تذكر ، فمنا من إذا ذكرته أنه قد كان علم ذلك المعلوم ونسيه ، ومنا من لا يتذكر ذلك مع إيمانه به أنه قد كان يشهد بذلك ، ويكون في حقه ابتداء علم ، ولولا انه عنده ماقبله من الذي أعلمه ، ولكن لا شعور له بذلك ، ولا يعلمه إلا من نوّر الله بصيرته « أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً »وكل ممكن بهذه المثابة ولكنالإنسان هو المعتبر الذي وجد العالم من أجله،ومن وجه آخر أنه ما ادعىالألوهية سواه من جميعالمخلوقات، وأعصى الخلائق إبليس وغاية جهله أنه رأى نفسه خيراً من آدم لكونه من نار ، لاعتقاده انه أفضل العناصر ، وغاية معصيته أنه أمر بالسجود لآدم فتكبر في نفسه عن السجود لآدم لما ذكرناه وأبى ، فعصى الله في أمره فسماه الله كافراً ، فإنه جمع بين المعصية والجهل ، والإنسان ادعى أنه الرب الأعلى ، فلهذا خص بالخطاب في قوله « أو لا يذكر الإنسان انا خلقناه من قبل » أي قدرناه في حال شيئيته المتوجه عليها امره إلى شيئية اخرى ؛ لقوله تعالى « إنما قولنا لشيء إذا أردناه » يعني في حال عدمه « أن نقول له كن فيكون » وكن كلمة وجودية من التكوين ، فسماه شيئاً في حال لم تكن فيه الشيئية المنفية بقوله « ولم تك شيئا » نبهه على أصله ، فأنعم عليه بشيئية الوجود ، فأحاله على هذه الصفة أن يكون مستحضراً لها ، فإن الله لما امتن علينا بالاسم الرحمن ، وتولانا منه سبحانه ابتداء الرحمة ، أخرجنا من الشر الذي هو العدم إلى الخير الذي هو الوجود ؛ ولهذا امتن الله تعالى بنعمة الوجود فقال « أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه

أعلى لأن قوته أعظم ، وهناك يتميز ويتجارى مع العالم في الرفعة والانحطاط ، وهناك رأيت مبلغ العالمين العارفين ، وأما المدرك الذي أومأنا إليه فبعيد أن تسمعه في غير هذه الرسالة على درج هذا التحقيق ، لكن نجده مبدداً في أشياء كثيرة تومي إليها ولا توضح مثل هذا الإيضاح ، وكما توجه إليك بمشاركتك أطوار العالم أن تقوم بالجامع الكبريائي معهم في عبادتهم ، كذلك توجه عليك بالسر الجامع الكبريائي المثبوت فيك أن تجريه على ما أجراه الله تعالى من نفسه في خلقه ، فهو اللطيف بعباده فكن كذلك ، وهو الرحيم الغفور فكن كذلك ، وبهذا وصف نبيه ﷺ فقال « بالمؤمنين رؤوف رحيم » فسر الألوهية أثمر لك هذا بعد خرقه ، وأما قبل أن تخرقه فإنه أثمر لك ما أثمر للجبارين المتكبرين ، قال تعالى : « كذلك يطبع الله على

من قبل ولم يك شيئا » يريد منك في شيئيتك أن تكون معه لما كنت وانت لا هذه الشيئية ، فالمراد من كل ما سوى الله أن يعبد الله ، فإن الإنسان لما قال منكراً « ائذا ما مت لسوف أخرج حيا » أحاله الله تعالى على نشأته الأولى فقال « أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » وهذا فيه وجهان ، الوجه الواحد أن هذا الذي يقال له إنسان لم يك قبل ذلك إنساناً ، فشيئا هنا معناه إنساناً ، كما تقول في جسد الإنسان إذا ما مات إنه إنسان بحكم المجاز ، اي قد كان إنسانا ، فإنه لا يتغذى ولا يحس ولا ينطق ، ومتى بطلت الأوصاف الذاتية بطل الموصوف ، فقد كان الإنسان قبل أن يطلق عليه اسم إنسان ترابا وماء وهواء وناراً وروحاً قدسياً إلهياً ، وقد كان دماً ثم انتقل نطفة وهي نشأة الأين ، وقد كان ذلك الدم براً ولحماً وشحماً وفاكهة وغير ذلك من المطعومات ، فقد كان الإنسان أشياء لكن لم يكن إنساناً ، والوجه الآخر ن يكون قد أحاله على حقيقته الأولى التي هو فيها الإنسان بالقوة ، وهو أول البدء ، وهو شيء من لا شيء ولا كان شيئا ، واحاله في هذه الآية على النظر الفكري الذي يستدل به على معرفة الفاعل .

خلق الله الأرواح قبل خلق الأجسام بألفي عام ، قال ﷺ « أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر » هذه هي الحقيقة الملكية ، فالأرواح بالأصل لها الطهارة والتقديس والعقل قبل أن تحل في الأجسام .

ف ح ٢/١٣ ، ٦٢ ، ٩٥ ، ٦٨٦ – ح ٣/٤١٥

كل قلب متكبر جبار » فمن أجل سر الألوهية ختم عليه بالشقاء ، فتحقق هذا الفصل وتحفظ منه (١) .

واعلم أن التوبة والتوكل وما أشبه ذلك قد اختص الله بها هذا العبد الإنساني، فإن الملك طاعة بلا معصية ، والشيطان معصية بلا طاعة ، فكلاهما قد فقد حلاوة التوبة ومقامها وسرها ومعرفتها وشوقها ومحبتها، فإن الملك لا يعصي فيتوب فينالها ، والشيطان لا يجنح إلى الطاعة ولا يحدث بها نفسه فيتوب من مخالفته فينالها ، وقد اختص بها هذا العبد المجتبى ، ولهذا كانت من كمال آدم عليه السلام حتى عم جميع المقامات ، فقال : « وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » كذلك التطهير الذي اقترنت به محبة الله تعالى، فإن الملك مطهر، والشيطان مدنس لا يتطهر، وعلق الله محبته الاختصاصية بالمتطهر فنالها الإنسان ، فما لنا يا ولي نغفل عن شكر هذه النعم ونحن منها في مزيد ، فهذه النعم كلها هي التي تعطيها حقيقة الإنسان بما خلق عليه سواء كان سعيداً أو شقياً .

ثم ننتقل إلى نعم الاختصاص بالسعداء التي تميزك عن الأشقياء من جنسك ، فأولها أن جعلك موحداً ولم يجعلك مشركاً لا ليد تقدمت لك عليه ، ولكنه أيدك وقواك حتى خرقت حجاب الجمع العام الكبريائي الذي استودعه فيك منه ، فنفذت من ورائه إلى عبوديتك ، فعاينت ألوهية الحق المقدسة الجلال فوحدته ولم تشرك، وهؤلاء هم أهل لا إله إلا الله المقطوع لهم بسعادتهم المنبه عليهم في كتابه العزيز « إن الله لا يغفر أن يشرك به » وهنا بحور عظام هلك فيها عالم كثير من أهل طريقتنا لعدم التحقق ووقوفهم مع سر الجمعية العامة الكبريائية الذي فيهم ، فحجبتهم الرياسة عن استيفاء الخدمة ، فهذا اختصاص ، إذ قد قسم جنسك إلى موحد وإلى مشرك ، وجعلك من حزب الموحدين ، وهذا فيه تفصيل كثير نخاف من طول العجالة

(١) كن على ما خلقك الله من أجله ولا تكن على ما خلقك الله عليه ، قال تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » فالزم العبودية ، ولا تكن على ما خلقك الله عليه من الصورة ، فتدعي الألوهية .

في إيراده فتركناه ، وهذا هو أول قـدم في الشريعة ، فإن الشارع أول ما أتى به « لا إله إلا الله » فلم يجبه إلا من خرق حجاب سر الجمعية الكبريائية منه ، وبهذا يقع الاشتراك وتتباين مراتب أهل « لا إله إلا الله » على حسب رفع حجابهم ، فمنهم من يقولها ابتداء معه من غير نظر وهو الإمام ، ومنهم من يقول معه ذلك بعد رؤية برهان • فهذا جاهل بنفسه ، فإن « لا إله إلا الله » من مدركات العقل بالنور الإلهي، فتوقفه دليل على التقليد وفقد ذلك النور ، ولكن سعد بإجابته ولو ببرهان ، قال الله تعالى : « لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى » فاعبد الله يا ولي واجهد على شكر نعمة التوحيد الأولية في الشرع لأهل التقليد ، ثم زادك إلى هذه النعمة نعمة أخرى وهو إيمانك بالرسول ﷺ ، ولم يجعلك مكذباً برسوله كما فعل بغيرك من أبناء جنسك حيث كفر برسوله ، مثل فرعون وآله بموسى عليه السلام ، والنمرود وآله بإبراهيم عليه السلام ، وأبي جهل وأصحابه بمحمد عليه الصلاة والسـلام ، وعذاب كل فرعون على مقدار نعيم نبيه الذي كفر به ، وسفله على قدر علو نبيه ، وكذلك العارفون الصالحون من المنكرين عليهم من الفقهاء علماء الرسوم ينقص من حظ نعيمهم في الدار الآخرة على قدر مرتبة العارف الذي أنكروا عليه ، وعليهم نقص نعيم أتباعهم في ذلك المقلدين لهم ، فينقص للفقيه صاحب علم الرسم إذا أنكر على الولي العارف ما لا يبلغه علمه من نعيمه في الجنان إذا سعد على قدر مرتبـة ذلك الولي في المعرفة بالله وقدر السر الذي أنكره عليه وعلى قدر من اتبعه في إنكاره من المقلدين ، ومن هذا كان يفزع شيخنا **موسى أبو عمران المارتلي** كان من أهل علم الرسوم وعلم هذه الطريقة وهو الذي ذكرناه في جملة أشياخنا من أهل الطريقة في هذه الرسالة ، نحا منحى المحاسبي ، دخل عليه **أبو القاسم بن عفير** خطيب إشبيلية فتكلم معه فيما يأتي به أهل هذه الطريقة من المعارف التي تقصر أفهام علماء الرسوم عنها ، لأنها علوم نبوية ، وهذه العلوم الخبرية لا يقوم دليل العقل عليها ، فلم يبق إلا مجرد الإيمان بها ، لأنها علوم أخبارية تحتمل الصدق والكذب ، وكذلك إذا أتى

بها الرسول يتلقاها الفقهاء بالقبول ، فلو أحالها العقل لردت أبداً في كل حال ، وما يشعر الفقهاء بهذا القدر ، فقال أبو القاسم الفقيه لشيخنا : أما أنا فأنكرها ، فقال له الشيخ أبو عمران : أما أنا فأومن بها كلها ، وإياك يا أبا القاسم أن يجمع الله علينا فيها حرمانين ، لا نراها من أنفسنا ولا نصدق بها من غيرنا ، فيكون العامي أحسن حالا منا في ذلك عند الله ، فتنبه الفقيه أبو القاسم الخطيب وقال : نبهتني رضي الله عنك ، ولم أحضر هذا المجلس ولكنه أخبرني به أبو القاسم الفقيه المذكور المنكر ، ومن ذلك الوقت صار يحبني وينظرني بعين التعظيم ، فقد حبانا الله يا ولي بالإيمان بالنبي ﷺ حين خذل غيرنا ، ففرض علينا شكر الله وعمل زائد بمزيد هذه النعمة ، ثم نعمة أخرى،لما جعلك مؤمناً بنبي جعلك من أمة محمد ﷺ ولم يجعلك من أمة غيره من الأنبياء ، وهنا نِعَم" : منها أن ألحق هذه الأمة بدرجة الأنبياء باتباعهم محمداً ﷺ ، وعيسى عليه السلام من جملة أمة محمد ﷺ وهو رسول الله وروحه وكلمته وقد دخل في عددنا وهذا مقام ، والنعمة الأخرى أن جعلك شهيداً على سائر الأمم وهي مرتبة النبوة فإنهم الشهداء على أممهم ، قال تعالى : « ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء » فالأنبياء شهداء على أممهم، وقيل فينا « لتكونوا شهداء على الناس » فقد شركنا معهم في هذا ، فهذه مواطن نحشر فيها غداً مع النبيين وقال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وقال تعالى: « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » فوصفنا بالعدالة « لتكونوا شهداء على الناس » وإن شئت جعلته من الشيء بين الشيئين شهادتك على الناس وشهادة الرسول عليك وأنت بينهما ، ونعمة أخرى لم يعطها أحداً قبلك من الأمم فإنك مؤمن بنبيك آخر الأنبياء وبمن تقدم إلى آدم ، وغير ذلك من النعم التي يتضمنها هذا المقام ، ولكل نعمة شكر يخصها وعمل يطابقها ، فلتجهد في تحصيله أو تحصيل ما أمكن منه .

ثم بعد هذا أن قسم أمة نبيه بين مبتدع ومحفوظ ، فحفظك من البدعة وميزك في ديوان السنة ، فهذا اختصاص ، ثم أهل السنة قسمهم قسمين ، عالم وجاهل ، فجعلك عالماً بما تعبدك به من شريعته ولم يجعلك جاهلا بذلك ، فهذه نعمة يجب أيضاً

شكرها ، ثم جعل العالمين على قسمين طائع وعاصي ، فجعلك من الطائعين ولم يجعلك من العاصين ، فهذه نعمة عظيمة ، والطاعة على مقاماتها أن عصمك من الشيء بنقيضه وذكره يطول ، ثم جعل الطائعين على قسمين عارف وعابد ، فجعلك من العارفين العابدين ، فهذه نعمة يجب الشكر عليها ، ثم قسم العارفين قسمين وارث وغير وارث، وجعلك من الوارثين ، والوارثون على حسب مراتبهم ، فقد غمرت النعم ولا يتسع الليل والنهار لأداء شكر واجبات هذه النعم ، وإنه إن اشتغلنا بواحدة منها فغايتنا أن تقطع ضياءنا وظلامنا ببعض ذرة من واحدة منها ، فعلى هذا ، يجب علينا الذي يمكننا أن نفعله، أن لا يرانا الله وقتاً واحداً بطالين، ولا متصرفين في مباح إلا حاضرين بقلوبنا على الدوام ، مكفوفي الجوارح عن التصرف المحظور علينا ، مطلوقين الألسنة بالذكر وبإظهار العلم والشكر عليه ، والاعتراف بالتقصير دائماً ، وتوبيخ النفوس الذي أراده الحق منا ، لا تعديلها وتزكيتها ، فقد أفلح من زكاها بالأعمال الصالحة، وقد خاب من دساها مثلي فأدخلها في الصالحين وليست منهم .

فهذه يا أخي نصيحتي لي ولك ، لما رأيتك مثلي وأحببتك في الله تعالى ، وأعجبني إنصافك ، وتعشقت معاشرتك ، وودت اليوم أن أكون معك حيث كنت ؛ تنصحني وأنصحك ، وتوبخني وأوبخك ، ونكون رفيقين في الله تعالى ، محبين فيه حتى فموت ، فما أحبني فيك وأشفقني عليك ، رضي الله عنك ، ولقد تمنيت أن أكون معك كما حدثنا أبو محمد يحيى بن أبي الحسن رضي الله عنه قال : ثنا أبو الفتح عبد الباقي بن أحمد بن سلمان حدثنا أبو الفضل أحمد بن الحسين بن خيرون حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان حدثنا أبو الحسن بن عبد العزيز الخرزي حدثنا أبو حفص التنسي ، حدثنا أبو معبد قال : سمعت بلال بن سعيد يقول : أخوان في بني إسرائيل خرجا يتعبدان ، فلما أراد الطريق يفرق بينهما قال أحدهما لصاحبه : خذ أنت في هذا الطريق وآخذ أنا في هذا الطريق ، فإذا كان رأس السنة فهذا الموعد بيني وبينك ، فخرجا يتعبدان ، فلما كان في رأس السنة اجتمعا في ذلك المكان ، فقال أحدهما لصاحبه : أي ذنب فيما عملت أعظم ؟ قال : بينما أنا أمشي

على الطريق إذ بسنبلة فأخذتها فألقيتها في إحدى الأرضين ، أرض عن يميني وأرض عن شمالي ، ولا أدري هي للأرض التي ألقيتها فيها أم للأخرى ، قال ثم قال المسئول للسائل : أي ذنب عملت أعظم ؟ قال : لا أعلم إلا أني كنت أقوم إلى الصلاة فأميل مرة على هذه الرجل ومرة على هذه الرجل ، فلا أدري أكنت أعدل بينهما أم لا ، فسمعهما أبوهما من داخل الدار فقال : اللهم إن كانا صادقين فأمتهما ، فخرج فإذا بهما قد ماتا ، فهكذا يا ولي يكون اجتماع أهل الله ومخاطباتهم على ذكر المعايب والإنصاف ، لا على وجه المدحة والاتصاف ، هل يذكر في السجن إلا ما يليق به ، إذا ترحلت ونزلت في مستقر الرحمة وجنيت ثمرة عملك ، هنـالك تذكر ما يليق بموطن الحسنى من محاسنك ، وأما هنا فلا ، فإنها دار البلا والاقتراف والاجتراح ، والإنسان فيها من نبي وغير نبي مسجون على دمه ، لا يخرج منها إلا بالقتل ، ولولا التطويل لتكلمنا على مراتب السجن والمسجونين بما تعطيه الحقائق الثابتة والعارية ، ويكفي هذا القدر فيما بيني وبينك ، ويعلم الله لولا ودي فيك وحرمتك التي لك في نفسي ما خاطبتك بشيء من هذا كله ، ولا ذكرت اسمك ، ولتركتك مهملا في جملة عباد الله تعالى ، ولكن الله قد عرف بيني وبينك روحاً وجسماً ، ومعنى ورسماً ، فلم أتمكن أن أخاطبك إلا بما يقتضيه الود الصريح والدين الخالص الصحيح ، وأما فضلك وتقدمك في طريقك عندي فمشهور ، وفوق كل ذي علم عليم ، ويختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وقَلّ اليوم من يصحبك لله ، فأكثر الصحبة معلولة في زمانك من أجل هذه الأعراض ، واستحكام سلطان الأغراض ، وعبد الله قليل ، ولنا في معنى هذا أبيات وهي هذه :

انظر إلى هـذا الوجود المحكم ... ووجودنا مثـل الـرداء المعـلم
وانظـر إلى خلفـائه في ملكهـم ... من مفصـح طلق اللسـان وأعجم
ما منهـم احـد يحب إلهــه ... إلا ويمزجـه بحـب الـدرهـم
فيقـال هـذا عبـد معرفـة وذا ... عبـد الجنـان وذا عبيـد جهنم
إلا القليـل من القليـل فإنهـم ... سكرى به من غير جنس توهـم
فهـم عبيـد الله لا يـدري بهـم ... احـد سـواه لا عبيـد المنعـم

إلى آخر القصيدة . فأجهد نفسك يا ولي في أن تتحلى بحلية قوم بكى رسول الله ﷺ شوقاً إليهم ، لا يؤثر فيك كلام المغرورين من الفقهاء علماء السوء ، الدين لبسوا رقاق الثياب وتناولوا لذيذ المطاعم ، فإذا قلت لهم في ذلك تلوا عليك « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » فقد أخبر النبي ﷺ أنهم سيقولون هذا إذا قلت لهم في ذلك ، على ما كتب فيه إلينا شيخنا أبو محمد بن محمد بن سعد الله بن محمد البجلي البغدادي الحنفي رضي الله عنه من حديث سعيد بن زيد بن نفيل قال : سمعت النبي ﷺ وأقبل على أسامة بن زيد فقال : يا أسامة عليك بطريق الجنة وإياك أن تختلج دونها ، فقال : يا رسول الله وما شيء أسرع ما يقطع به ذلك الطريق ؟ قال : الظمأ في الهواجر ، وكسر النفس عن لذة الدنيا، يا أسامة وعليك عند ذلك بالصوم ، فإنه يقرب إلى الله عز وجل ، إنه ليس من شيء أحب إلى الله عز وجل من ريح فم الصائم ، ترك الطعام والشراب لله عز وجل ، وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل ، فإنك تدرك شرف المنازل في الآخرة وتحل مع النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ، تفرح بقدوم روحك عليهم ، ويصلي عليك الجبار تبارك وتعالى ، وإياك يا أسامة وكل كبد جائع يخاصمك إلى الله عز وجل يوم القيامة ، وإياك يا أسامة ودعاء عباد قد أذابوا اللحوم وأحرقوا الجلود بالريح والسمائم وأظمأوا الأكباد حتى غشيت أبصارهم ، فإن الله عز وجل قد نظر إليهم وباهى بهم الملائكة عليهم السلام ، بهم تصرف الزلازل والفتن ، ثم بكى النبي ﷺ حتى اشتد نحيبه ، وهاب الناس أن يكلموه حتى ظنوا أن أمراً قد حدث بهم من السماء ، ثم تكلم فقال : ويح هذه الأمة !! ما يلقى منهم من أطاع الله ربه عز وجل فيهم كيف يقتلونه ويكذبونه من أجل أنه أطاع الله تعالى ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله والناس يومئذ على الإسلام ؟ قال : نعم ، قال : ففيم إذن يقتلون من أطاع الله وأمرهم بطاعة الله ؟ فقال : يا عمر ترك الناس الطريق، وركبوا الدواب ، ولبسوا لين الثياب ، وخدمتهم أبناء فارس ، يتزين الرجل منهم تزين المرأة لزوجها ، ويتبرج النساء ، زيهم زي الملوك الجبابرة ، ودينهم دين كسرى

وهرمز ، يتسمون بالجشأ ، فإذا تكلم أولياء الله عز وجل عليهم العباء ، منحنية أصلابهم ، قد ذبحوا أنفسهم من العطش ، فإذا تكلم منهم متكلم كذب ، وقيل له : أنت قرين الشيطان ، ورأس الضلالة ، تحرم زينة الله والطيبات من الرزق (١) ويتلون كتاب الله عز وجل على غير علم ، استذلوا أولياء الله عز وجل ، اعلم يا أسامة أن أقرب الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة من أطال حزنه وعطشه وجوعه في الدنيا ، الأخفياء الأبرياء الذين إذا شهدوا لم يقربوا ، وإذا غابوا لم يفتقدوا ، تعرفهم بقاع الأرض ، يعرفون في أهل السماء ويخفون عن أهل الأرض وتحف بهم الملائكة ، تنعم

---

(١) التنعم بالحلال في الدنيا

فإن قلت : المتنعم في الدنيا المباح ، له التنعم في الحلال ، قلنا : لا نمنع ذلك في حق غير العارف ، ولكن العارف تحت سلطان التكليف ، فما من نعمة ينعم الله بها عليه باطنة كانت أو ظاهرة إلا والتكليف من الله بالشكر عليها يصحبها ، فذلك التكليف ينغص على العارف التنعم بتلك النعمة لاشتغاله بموازنة الشكر عليها ، فلا يزال متعوب الخاطر في إقامة الوزن بالقسط ، أن لا يخسر الميزان ، ومن هذه حالته كيف ينعم ؟ فظاهرها نعمة وباطنها غصص ، وهو لا يبرح يتقلب في نعم الله ظاهراً وباطناً ، ولا تؤثر عنده إلا ألماً وتنغيصاً ، والعامة تفرح بتلك النعم وتتصرف فيها أشراً وبطراً ، والعارف مسدود عليه في الدنيا باب الراحة في قلبه ، وإن استراح في ظاهره فهو يموت في كل نفس ألف موتة ولا يشعر به ، يقول عمر بن الخطاب ما ابتلاني الله بمصيبة إلا رأيت لله علي فيها ثلاث نعم ، إحداها أن لم تكن في ديني ، الثانية حيث لم تكن أكبر منها ، الثالثة ما وعد الله عليها من الثواب ، ومن كان في مصيبة واحدة يرى ثلاث نعم فقد انتقل إلى مصيبة أعظم من تلك المصيبة ، فإنه يتعين عليه إقامة ميزان الشكر على ثلاث نعم ، فابتلاه الله بمصيبة واحدة ليصبر عليها ، وابتلته معرفته في تلك المصيبة بثلاث مصائب كلفه الله الشكر عليها ، حيث أعلمه بتلك النعم في تلك المصيبة الواحدة ، فانظر إلى معرفة عمر رضي الله عنه كيف اوجب على نفسه مثل هذا ، وانظر إلى ما فيها من الأدب ، حيث عدل عن النظر من كونها مصيبة إلى رؤية النعم ، فتلقاها بالقبول ، لأن النعمة محبوبة لذاتها ، فرضي ، فكان له مقام الرضا والاستسلام والتفويض والصبر والاعتماد على الله ، وأين الناس من هذا الذوق الشريف .

ف ح ١٥/٣

الناس بالشهوات وتنعموا هم بالجوع والعطش ، لبس الناس لين الثياب ولبسوا هم خشن الثياب ، وافترش الناس الفراش وافترشوا الجباه والركب ، ضحك الناس وبكوا ، يا أسامة لا يجمع الله عز وجل عليهم الشدة في الدنيا والآخرة ، لهم الجنة فيا ليتني قد رأيتهم ، يا أسامة لهم الشرف في الآخرة ، ويا ليتني قد رأيتهم ، الأرض بهم رحبة ، والجبار عنهم راض ، ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوا ، الراغب من رغب إلى الله مثل رغبتهم ، والخاســر من خالفهم ، تبكي الأرض إذا فقدتهم ، ويسخط الله على كل بلدة ليس فيها مثلهم ، يا أسامة إذا رأيتهم في قرية فاعلم أنهم أمان لأهل تلك القرية ، لا يعذب الله عز وجل قوماً هم فيهم ، اتخذهم لنفسك عسى أن تنجو بهم ، وإياك أن تدع ما هم عليه فتزل قدمك فتهوي في النار ، طلبوا الفضل في الآخرة ، تركوا الطعام والشراب على قدرة ، لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيفة ، شغل الناس بالدنيا وشغلوا أنفسهم بطاعة الله عز وجل ، لبسوا الخلق وأكلوا الفلق ، تراهم شعثا غبرا ، يظن الناس أن بهم داء وما ذاك بهم ، ويظن الناس أنهم خولطوا وما خولطوا ، ولكن خالط القوم حزن ، وتظن أنهم ذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ، ولكن نظروا بقلوبهم إلى أمر ذهب بعقولهم عن الدنيا ، فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول ، يا أسامة عقلوا حين ذهبت عقول الناس ، لهم الشرف في الآخرة » حدثنا بهذا الحديث بطوله المهذب أبو محمد عبد الكريم بن يوسف بن الحسن ، فانظر يا ولي وصف حبيب الله ورسوله لأولياء الله وكيف نعتهم ، فعلى هذا الوصف ينبغي أن نعتكف ، وبه نتصف ، حتى ننقلب إلى الله ونحن بهــذا النعت منعوتون ، وبهذه الحلية متحلون ، فاجتهد يا أخي في ذلك ولا تتأخر عنهم ، ومدّني بالدعاء والهمة ، فإن الصاحب المطلوب اليوم معدوم جداً ، ولما رأيت القرين الصالح معدوماً ، والطبيب المشفق الناصح غير موجود ، تأسفت لذلك ، ولحظت كل إنسان مسروراً بما هو فيه ، لا يتنبه لعيب أخيه فيتنبه ذلك لعيبه ، فيتصاحبان بالنصيحة ، وتحصل لهما المرتبة الصحيحة ، فعملنا في عدم القرين الناصح وفتنة الإنسان بحاله أبياتاً وهي :

ذكرت ذنبي فابكاني وحيرني ... لما غدا من جوار الله يطردني
كيف الخلاص وما ضيعت من عمري ... به المهيمن يوم الحشر يطلبني
يا ليت اذني لم تسمع حديث هوى ... يا ليت عيني لم تنظر إلى حسن
يا ليت كفي لم تخلق ولا قدمي ... ولا لساني وليت القلب لم يكن
اوليت إذ كان خلقي كان يسعدني ... توفيق ربي في سر وفي علن
ولا اهيم بشخص ليس ينفعني ... يوم النشور إذا الرحمن يسائلني
ولا ندبت دياراً كنت آلفها ... ولا حننت إلى ربع ولا سكن
ولا تغزلت في ورقاء صادحة ... على الأراك تغني وهي تندبني
ولا شربت حميًا ضن حابسها ... بها على الشرب من عهد ابن ذي يزن
ولا تمنيت شيئاً لست مدركه ... ولا قطعت بأسباب الردى زمني
ولا تكلمت في علم ومعرفة ... حتى دعيت به بالعالم الفطن
وظل إبليس الملعون يلعب بي ... وحرقة الذنب في الأحشاء تحرقني
كم ذا اقيم على العصيان مكتتماً ... وانت سبحانك اللهم تحفظني
امسي واصبح في شيء يقربني ... إلى الشقاء ومن سعدي يبعدني
كم ذا ابارزه بالذنب مستتراً ... عن العباد وعين الله تنظرني
ولا حياء من الرحمن يقبضني ... عن المعاصي التي لو شاء تهلكني
ولا خليل من الإخوان يوقظني ... من نومة لعذاب الله تحملني
سوى خليل رآني في تغربه ... فحلّ مني محل الروح من بدني
فلا ازال إذا يلهو أبصره ... ولا يزال إذا اسهو يذكرني
فليس خلي إلا من يرى زللي ... فلا يزال مع الأحيان ينصحني
فالصاحب الحق كالصابون يذهب ما ... في الثوب من دنس الأقذار والدرن
لما سمعت رقيبي وهو يطعنني ... من عن يميني وينهاني ويزجرني
يا سيدي ورعاك الله تسمعني ... كم مرة جئت والبواب يمنعني
وليس شخصاً فتؤذيه وتضربه ... لكنه فعلك المرفوع في الكفن
فانظر إليه وحسن خلق صورته ... فهو الأنيس إذا استوحشت في الجنن
وهو الذي يدفع الخصمين عنك إذا ... ما افتناك وذا من أعظم الجنن
فعندما سمعت نفسي مواعظه ... حنت وقالت ترى الرحمن يقبلني
فقلت يا نفس مهما كنت ساعية ... إليه هرول بالآلاء والمنن

فياولي أبقاك الله تعالى

لقد كنت اخشى ان تقول بحرقة — مقالة عبد خالف الحق في القصد
انوح على نفسي وأبكي لغفلتي — واندب قلباً حاد عن سنن الرشد
إذا كان قربي من إلهي مفارناً — لقرب فؤادي من إلهي فيا بعدي
فإن هو جازاني على فعلتي فما — جزائي سوى الإقصاء بالعنف والطرد
ولكنني ارجوه سراً وجهرة — فإن كان هذا الوجد يجدي فياجدي
وإن كنت بدراً اذهب الجهل نوره — فعما قريب ينعم الله بالرد
ولم يقصني ذنبي ولا سوء فعلتي — فإتيان سوء الذنب اليق بالعبد
كما الجود والصفح الجميل مع الرضى — لأليق شيء في الوجود بذي المجد
وقد ثبت المجد الكريم لخالقي — وقد ثبت الإيمان عندي فيا سعدي

فهذا يا ولي ما أمر الله وليك وصفيك أن يخاطبك به ، والله لا يستحي من الحق وحق الله أحق ، واعلم أن هذه الرسالة من أعظم منن الله عليك ، ومن أسنى تحفه إليك والسلام الطيب المبارك على النبي ورحمة الله وبركاته ، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعليك ورحمة الله وبركاته والسلام علينا ، وكذلك يخصكم بالسلام الأتم عبد الله بدر الحبشي وجميع إخواننا ، وسلامي يتردد على أبنائك وأصحابك وأوليائك ، الشيخ المبارك السعيد بخدمتك أبو عبد الله بن المرابط ، والشيخ الموفق أبو عتيق ، والجار الصالح الحاج معافا ، وأبو محمد الحافظ ، والزكي المجتهد أبو القاسم القابسي ، والفقير الصادق القريح عبد الجبار ، والخديم المبارك الناصح عبد العزيز البابلي ، ووليي وصفيي الذي واخيت بيني وبينه أبو عبد الله القطان ، وقد نعيت إليكم محمداً التائب رحمه الله تعالى ، مات بين مكة والمدينة على مرحلة من مكة بين مرو وعسفان، زائراً نبي الله ﷺ، شهيداً بين الحرمين، يحشر يوم القيامة آمناً ، وكتب اليكم وليكم بهذه الرسالة من مكة حرسها الله وشرفها في شهر ربيع الأول سنة ستمائة ، وطاف بها أسبوعاً ، وألمسها الحجر الأسود والملتزم والمستجار ، وأدخلها البيت والمواضع الفاضلة تيمناً وتبركاً ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وصفوة المرسلين ، وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين وجميع عباد الله الصالحين ، وسلم تسليماً .

(انتهى)

* * *

Al-Ghurab has chosen this book of Ibn 'Arabi's as the second complete book for his commentary, the first being the *Fusûs al-Hikam*. As the commentator rightly states it is generally considered one of 'Arabi's easier works and therefore could be accessible to a larger number of readers than some of his writings. It is, of course, of great value to students of Ibn 'Arabi for its historical account of the people of God, and also because of the insights it provides of the intention and meaning behind their words, endeavours, and the various forms their individual paths take towards perfection.

This remains as much of value to seekers of the Truth as it has always been in the past. Lastly, gratitude should be expressed to Al-Ghurab for giving us this opportunity to gain further understanding of Ibn 'Arabi's life and meaning.

Layla Shamash

Risâlat Ruh al-Quds has three main themes: the first is the lessons learned through the states and stations of saints who lived before the Shaikh's own time, for example, the Khalifas Abu Bakr, Omar, Uthman, Ali, and others like Uwais al-Qarani for whom the Shaikh felt a particular affinity; the second theme covers saints and people of God's way whom the Shaikh had met during his lifetime. English readers are familiar with this part of the work through the excellent translation by Dr R. Austin, published as the *Sufis of Andalusia*. Finally the third part consists of a description of the Gifts (*Ni'am*) God has given his *walî* and the appropriate thanks due to God.

The gifts which impel the perfect mind to achieve the complete and appropriate worship are: the gift of existence; the gift of existing as an eating and growing being and not as a stone; the gift of raising you from the vegetable world to the animal world; the gift of speech in preference to the animal with senses; the secret of divinity (*ulûhiyyah*) and servanthood in man; the gift of repentance (*tawbah*), trust (*tawakkul*) and purification; the gift of realising that there is "no God but God" (*la ilâha illa Allâh*); the gift of belief in the Prophet; the gift of making you of the nation of Muhammad; the gift of making you of the people of the Law (*sunnah*), and the gift of making you obedient, a knower, a worshipper and an inheritor. These gifts were related by Ibn 'Arabi to his *walî* friend, who was urged to give due thanks.

Al-Ghurab's commentary on the entire text is excellent, never too long and not too brief. His explanations take the form of footnotes with references based almost entirely on Ibn 'Arabi's other works, for example, *Al-Futûhât al-Makkiyah, Kitab al-Mubashshirat* and many others. Therefore, Al-Ghurab allows Ibn 'Arabi to explain his own meaning which is illuminating and satisfying. His chosen quotations from Ibn 'Arabi's other works to explain difficult points are very apt. For they, as usual in the Shaikh al-Akbar's writing, go to the heart of the matter and contain the highest meaning. Where Al-Ghurab makes his own comments, which is seldom, as in the explanation of Mount Qaf, he bases them on his great and deep understanding of Ibn 'Arabi's work.

نص ما جاء في مجلة جمعية محي الدين ابن عربي في أكسفورد ببريطانيا، في العدد السادس الصادر عام ١٩٨٧م، تعليقاً على كتاب «شرح رسالة روح القدس»

Commentary on a message "The Holy Spirit's Evaluation of the Self" from the words of Muhyiddin Ibn 'Arabi, compiled and edited in Arabic by Mahmud Mahmud Al-Ghurab, printed by Zain bin Thabit, Damascus, 1985.

Al-Ghurab has based this edition of "*Risâlat Ruh al-Quds fi Muhâsabat al-Nafs*" or "*fi Munâsahat al-Nafs*" on a manuscript in the Library of the University of Istanbul dated 600 H / 1179 AD.

Risâlat Ruh al-Quds was written with the benefit of a brother in God and a friend of the Shaikh al-Akbar Ibn 'Arabi called Abu Muhammad Abdul-Aziz bin Abu Bakr Al-Qurshi Al-Mahdawi who lived in Tunis. Ibn 'Arabi addresses himself directly to his friend throughout the *Risâlat* which contains a continuing dialogue between the Shaikh al-Akbar and his self (*nafs*). This dialogue consists of stories of the paths of saints whom he had met in the flesh or in the spirit, or saints whose lives are recounted by reliable witnesses. These examples are used as a way of teaching the self which in its turn aspires to but feels inadequate to emulate.

The Shaikh informs his friend that he had been ordered to give advice. Al-Ghurab comments quoting Ibn 'Arabi himself in *Kitab al-Mubashshirat* that he had been ordered to advise in general through the words of the Prophet and specifically through direct instruction by God in Mecca and Damascus. His earlier attempts at advice, according to him, were done without acknowledging his own authorship as he felt that the intention was that people should benefit according to their measure whether or not they knew who the author was. However, this led some people to ascribe the unsigned works to Al-Ghazali, for which he received insults from critics. When this became apparent to Ibn 'Arabi he felt he had to declare his authorship from then on, so that no one would receive any blame on his behalf.

ترجمة النص الذي جاء في مجلة جمعية محي الدين ابن عربي

شرح رسالة «روح القدس في محاسبة النفس» من كلام محي الدين بن عربي، تأليف ونشر محمود محمود الغراب ـ باللغة العربية ـ طباعة مطبعة زيد بن ثابت، دمشق عام ١٩٨٥.

استند الغراب في إصدار «رسالة روح القدس في محاسبة النفس» أو «في مناصحة النفس» على مخطوطة مكتبة جامعة استامبول المؤرخة ٦٠٠هـ/ ١١٧٩م.

كتبت «رسالة روح القدس» لفائدة أخ في الله وصديق للشيخ الأكبر ابن عربي يدعى أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي، كان يعيش في تونس، ويخاطب ابن عربي صديقه بصورة مباشرة، على امتداد الرسالة، التي تتضمن حواراً بين الشيخ الأكبر وبين نفسه. يتكون هذا الحوار من حكايات عن سلوك الأولياء الذين اجتمع بهم بالجسم أو الروح، أو الأولياء الذين رويت قصة حياتهم من قبل شهود ثقات. وهذه الأمثلة تستعمل كطريقة لتعليم النفس التي بدورها تشعر بالتقصير في مضاهاتهم.

ويخبر الشيخ صديقه بأنه قد أمر بتقديم النصيحة، ويشرح الغراب مقتبساً كلمات ابن عربي ذاتـه في كتـاب «المبشرات» أنه قد أمر بالنصح العام كما جاء في الحديث النبوي، وأنه أمر على الخصوص بأمر مباشر من الله في مكة ودمشق، وأن محاولاته الأولى في النصح ـ حسب قوله ـ كانت تجري دون أن يعزوها لنفسه، إذ كان يعتقد أن المقصود هو أن ينتفع الناس وفق مقاييسهم، سواء علموا أم لم يعلموا من هو المؤلف، إلا أن هذا قد أدى ببعض الناس لعزو الأعمال المغفلة من التوقيع إلى الغزالي الذي أخذ يتلقى السباب بسببها من النقاد، وحين بلغ ذلك ابن عربي، شعر بأن من الواجب عليه أن يصرح بتأليفه منذ ذلك الحين، حتى لا يغدو أحد عرضة للوم نيابة عنه.

تشتمل «رسالة روح القدس» على ثلاث فكرات رئيسة:

الفكـرة الأولى: هي الـدروس المستفادة من أحوال ومقامات الأولياء الذين عاشوا قبل زمن الشيخ، كالخلفاء: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، على سبيل المثال، والأولياء الآخرين مثل أويس القرني، الذي كان الشيخ يحس بانجذاب خاص إليه.

والفكرة الثانية: تتناول الأولياء وأهل طريق الله الذين قابلهم الشيخ في حياته، وقراء الأنجليزية على اطلاع على هذا الجزء من الكتاب من خلال الترجمة الممتازة التي قام بها الدكتور ر. أوستن، والمنشورة باسم «متصوفة الأندلس».

وأخيراً يتألف القسم الثالث من وصف للنعم التي منحها الله لوليه، والشكر المناسب لها، والواجب عليه لله. والنعم التي تدفع العقل الكامل إلى تأدية العبادة الكاملة والمناسبة هي: نعمة الإيجاد؛ نعمة إيجادك متغذياً نامياً وليس جماداً؛ نعمة نقلك من عالم النبات إلى عالم الحيوان؛ نعمة جعلك ناطقاً وتفضيلك على الحيوان الحساس؛ سر الألوهية والعبودية في الإنسان؛ نعمة التوبة والتوكل والطهارة؛ نعمة إدراك أنه «لا إله إلا الله»؛ نعمة الإيمان بالنبي؛ نعمة جعلك من أهل السنة؛ نعمة جعلك طائعاً عارفاً وارثاً، هذه النعم يسردها ابن عربي لوليه، ويحثه على أداء الشكر الواجب لهذه النعم.

إن تعليق الغراب على النص بمجمله ممتاز، ليس مفرطاً في الطول ولا في الاختصار، وتأخذ تفسيراته شكل ملاحظات أسفل الصفحات مع مراجع تعتمد بالكامل تقريباً على أعمال ابن عربي الأخرى، مثل «الفتوحات المكية» كتاب «المبشرات» والعديد من الأعمال، لهذا فإن الغراب يترك ابن عربي يفسر بنفسه معانيه التي تتسم بالوضوح والإقناع. كما أن الشواهد التي يختارها من أعمال ابن عربي الأخرى من أجل تفسير النقاط الصعبة مناسبة جداً، حيث أنها ـ كما هي العادة في كتابات الشيخ الأكبر ـ تتجه إلى قلب الموضوع وتتضمن أسمى المعاني. وحينما يصوغ الغراب تفسيراته الخاصة وهي نادرة ـ كما فعل في تفسير جبل قاف ـ فإنه يبني هذه التفسيرات على فهمه العظيم والعميق لأعمال ابن عربي.

وقد اختار الغراب هذا الكتاب لابن عربي ليكون ثاني كتاب يقوم بشرحه كاملاً، حيث أن الكتاب الأول هو «فصوص الحكم». وكما ينص الشارح، وهو مصيب في ذلك، فهو يُعْتَبر بوجه عام واحداً من أسهل أعمال ابن عربي، ولذا فهو يمكن أن يقع في متناول عدد كبير من القراء أكثر من بعض كتاباته الأخرى. وهو بالطبع ذو قيمة عظيمة لدارسي ابن عربي بسبب وصفه التاريخي لأهل الله، ولما يوفره من كشف للنوايا والمعاني الكامنة وراء كلماتهم وجهودهم، ولمختلف الأشكال التي اتبعوها في سلوكهم الفردي تجاه الكمال.

ويظل هذا يحظى بنفس القدر من القيمة للباحثين عن الحقيقة، كما كان دائماً في الماضي، وأخيراً، ينبغي التعبير عن الامتنان للغراب لمنحه إيانا هذه الفرصة للحصول على فهم أفضل لحياة ومعاني ابن عربي.

ليلى شماش

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد عبده بن غلبون
P.O.Box 3, Manchester M20 8QE, England

محمود محمود الغراب المحترم
ص ٠ ب ٢٣٣
دمشق ـ سوريا

١٠ جمادى الثانيه ١٤١٢
١٦ ديسمبر ١٩٩١م

السلام عليكم

ظننت انه لا يمكن ان يعد راى عمل يتناول ابن العربي يمتاز عن او يتساوى مع "المعجم الصوفي ـ الحكمة فى حدود الكلمه" الذى وضعته الدكتورة سعاد الحكيم استاذة التصوف فى الجامعة اللبنانيه ، ونشرته دار ندرة من بيروت سنة ١٩٨١م ، حتى رأيت مجموعة كتبكم ٠

ان اعادة ترتيبكم لأراء الشيخ الاكبر بهذه الكيفية وتجميعها فى كتب وابواب خاصة بكل موضوع على حده ، سيكون ذو نفع كبير لسالكى طريق الحق وراغبى العلوم الروحيه والاسرار على مدى القرون القادمة وستصلكم دعواتهم ما دامت الدنيا ، بارك الله لكم ٠

ذلك منهاجكم المميز فى الدفاع عنه وبسط افكاره سيدفع عنهم خطر المشككين ويزودهم بحجج واضحة دامغة للذب عن طريقهم ٠

اما بخصوص اغلب المكفّرين والمبدّعين فاننى لا اظنهم سيستفيدون من مجهوداتكم ، فاننى لا اظن ان سوء الفهم هو المسئول عن مواقفهم ٠

لسيادتكم فائق الاحترام

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على رسوله الهادي اليه

مشيخة
الطريقة الشاذلية اليشرطية

التاريخ ١ /المحرم/ ١٤١١ هـ
٢٣ / تموز / ١٩٩٠ م

فضيلة العالم العامل ، الاخ في جانب الله ، الاستاذ محمود محمود غراب ، حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ،

فقد تلقيت ، بيد الشكر والامتنان ، سفركم الجديد (رحمة من الرحمن في تفسير واشارات القرآن) — للشيخ محيي الدين بن عربي) الذى قمتم بجمعه وترتيبه

ولقد اضفتم هذا السفر الجديد الجليل الى باقي اسفاركم عن الشيخ الامام سيدى الشيخ محيي الدين بن عربي ، الذى نذرتم نفسكم لاحياء سيرته وسيرته ، عن طريق احياء ارثه وتراثه . فالشيخ الاكبر ، رضي الله عنه ، علم من اعلام العقيدة ، وركن من اركان التصوف ، ومحيي للدين ، كما هو اسمه ، وباعث لسنة الرسول الكريم ، كما هي عقيدته وحياته .

وتشاء ارادة الله ، سبحانه وتعالى ، ان لا تندثر آثار هذا العالم البحر ، فهيأتكم الارادة الالهية ، للتفرغ الى هذه المهمة العظيمة الجليلة . فحملتم الامانه ، وعاد الشيخ الاكبر الى حيث يجب ان يكون ، من خلال تلك الدراسات العديدة التي تناولت حياته وعلمه وفقهه في العمق ، والتي قمتم بها عن عقيدة وايمان ، في حين تعجز فيه المجموعات والمؤسسات عن الاتيان بمثلها أو ببعض منها .

ولا أكتمكم سرا ، انه ، من شدة تقديرى لمؤلفاتكم المتعلقة بالشيخ محيي الدين ، ولاعجابي الكبير بتلك المؤلفات ، فقد قررت ان أزود بها كافة المكتبات في زوايا طريقتنا الشاذلية اليشرطية ، في مختلف انحاء العالم ، في الاردن وسوريا ولبنان والبرازيل وكذا وجزر القمر ومدغشقر وغير ذلك لتكون تلك المؤلفات بين أيدى ابناء طريقتنا ومريديها ، وليسهل على هؤلاء الابناء والمريدين التعرف الى الشيخ الاكبر وفقهه وعلمه .

بارك الله بكم ، يا فضيلة الاخ الكريم ، وأخذ بيدكم في خدمة العلم والحقيقة ، وتوضيح الصحيح ، وبيان الصواب . وأسأل الله ، سبحانه وتعالى ، ان يجمعنا على خيره وأن يجعلنا من عباده المؤمنين المخلصين الصالحين . والله الموفق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفقير اليه تعالى
احمد اليشرطي
شيخ الطريقة الشاذلية اليشرطية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد

وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان

إلى

فضيلة العلامة السيد محمود محمود الغراب

ص.ب 331 دمشق . سوريا .

سلام الله عليكم ورحمة منه تعالى وبركات

وبعد ،

فلقد هيأ لي الله عز وجل فرصة حسنة فاطلعت على كتابكم القيم الممتع " شرح الكلمات الصوفية " المودع بمكتبة العلامة سيدي عبد الله كنون ، فرأيت فيه علما كثيرا غزيرا يزيل من قلب كل مؤمن شبهات تقض مضجعه أثارتها أقلام حداد تدفقت طعنا في الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه ، أقلام لم يتذوق أصحابها طعم المنهل الصافي الذي حبا الله به أولياءه وأحباءه رضي الله عنهم ، ووددت لو كان الكتاب ملك يدي لأرجع إليه متى اشتاقت نفسي إلى الارتشاف من مورده النقي الذي لا يزيد المومن إلا ايمانا إذ تتلألأ منه أنوار تنفذ إلى الأعماق طهارة وسلاما .

فإلى فضيلتكم رجائي في أن تبعثوا إلي بكتابكم هذا الجليل ولكم الشكر الجزيل مصحوبا بكتبكم التالية :

- الفقه عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي.
- الانسان الكامل.
- القطب الغوث الفرد .

مقابل ثمنها الذي سأرسله إلى فضيلتكم حوالة بواسطة البريد المضمون وذلك إلى العنوان التالي: المختار التمسماني

مكتبة عبد الله كنون . 9 ، شارع عمرو

بن العاص . طنجة . المملكة المغربية .

وفي انتظار ردكم الجميل تقبلوا أزكى عبارات التقدير لشخصكم الكريم ورمضان مبارك والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

طنجة في 12 رمضان 1407 إمضاء: المختار التمسماني

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام
على سيدنا محمد

بركلي كاليفورنيا
في ٢٨/٤/١٩٨٧

السيد المحترم/ محمود محمود الغراب
السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ... اما بعد
حصلت على بعض الكتب التي نشرتها سيادتكم و وجدتها
بحرا عميقا من العلم الالهي يزيد العطش لمن كان له قلب
مصقول و عقل مستعد . و ايضا اهتم صديقي و زميل لي
اسمه ويليام شيتيك اهتماما جدا الى ان يأخذ على
فيض من الفيوضات الربانية التي تشتمل كتب سيادتكم
على شيخ الاكبر (قدس الله سره العظيم) . و اذا كان من الممكن ان
ترسل اليه مجموعة ما نشرتها على شيخ الاكبر (قدس سره) كلها
سيشكرك شكرا كثيرا . و تحتوي هذه الرسالة مبلغ
ثلاثين دولارا امريكيا لقيمة البريد

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

عبد الحق جادلاس

Abd al-Haqq Alan Godlas
Near East Studies Dept.
609 EVANS
UNIVERSITY OF CALIFORNIA
BERKELEY, CALIFORNIA 94720
U.S.A.

William Chittick
556 W. BROADWAY
PORT JEFFERSON
NEW YORK
U.S.A.

رسالة الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح الأستاذ بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر، والأستاذ بكلية الشريعة بجامعة قطر

٢٧ شعبان ١٤١٢هـ
٢٤ مارس ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ الجليل محمود محمود الغراب حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

فقد تسلمت بيد التقدير كتاب «رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن» من كلام الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي بأجزائه الأربع. من مكتب بريد جامعة قطر. ويعلم الله سبحانه وتعالى أنني أحسست عند التفرس في أجزاء الكتاب أعماقا وأبعادا أنني حصلت على كنز وذخيرة. والكنز كان مفقودا فوفقك الله يا شيخ محمود إلى وجوده لتبرزه في الوقت المناسب ليكون ذخيرة للسالكين والسائرين، وروّاد المعرفة. وأسأل الله أن تبرز لنا كنوز الشيخ الأكبر فلا زال هنالك «الفتوحات المدنية» وغيرها.

بارك الله فيك وأطلب منك أن تدعو لي وبإذن الله سأعمل على التعريف به. وسوف أحيطك علما بذلك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص
د/ أحمد عبد الرحيم السايح
قطر - جامعة قطر
ص ب ١٢٠٢٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

عدنان الخطيب
الأمين العام لمجمع اللغة العربية
الأمين العام المساعد
لاتحاد
المجامع اللغوية العلمية العربية

الى فضيلة الأستاذ محمود محمود غراب المكرم

تحية طيبة مباركة وبعد :

فقد تلقيت كتابك الفذ (رحمة من الرحمن في تفسير واشارات القرآن) ، الذى ختمت به سلسلة كتبك الرائعة ، تفسر أو تأول التراث الفكرى الغزير للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى ، فلك من الشكر جزيله على ماصنعت فأوفيت ، وعلى ماتفضلت به فأهديت .

ان صنيعك في كتابك الأخير كان فريدا في بابه ، لايقدر مثله الا من آتاه الله العزم على اقتحام اللجج الصاخبة ومصارعة الأمواج العاتية ، وقليل من منّ الله عليه بمثل هذا .

ان كل جهد يبذل ممن يريد خدمة الاسلام ، وكان يرى فيه صالح المسلمين من تقريب وجهات نظرهم المتباينة ، أو في توحيد كلمتهم المشتتة ، وهم جميعا يقفون في مواجهة التحدى الكبير الذى يقوم به اعداؤهم كرها بالاسلام ، انما هو جهد خيّر يستحق الاشادة به والتنويه بفضله ، مما يدفعني الى ازجاء خالص الشكر لك على هديتك القيمة ، وأنا أشيد بعملك الرائع المفيد ، وفقك الله عز وجلّ الى تأييد شريعته السمحاء ، وزادك تحلياً بمكارم الأخلاق التي سنّها الرسول الامام صلى الله عليه وسلم .

وتفضل أيها الأخ الكريم بقبول خالص التحية مع فائق التقدير ،،،

دمشق في ٢١/١٢/١٤١٠هـ
١٤/٧/١٩٩٠م

عدنان الخطيب

رسالة الدكتور داود جريل أستاذ اللغة العربية بجامعة بروفنس في فرنسا

داود بن عبد الله
Denis GRIL
Clos La Pâquerette - Bât. D
Avenue Philippe Solari
13090 AIX EN PROVENCE
Tél : 42 63 01 38

بسم الله الرحمن الرحيم

١٩٩٢/٧/٧
١٤١٢/١/٦

إلى الأستاذ المحترم والشيخ الفاضل محمود محمود غراب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد وصلتني والحمد لله الأجزاء الأربعة من "رحمة من الرحمن" فجزاكم الله عنا وعن محبي سيدي محيي الدين خير الجزاء والحمد لله الذي وفقكم إلى إتمام هذا العمل الذي كنتم تطمعوننا منه قبل سنوات عديدة

وكنت حريصا بالخصوص على مطالعة "إيجاز البيان" إذ أعددت للنشر منذ سنوات بعض الرسائل لسيدي محيي الدين رضي الله عنه في تفسير الفاتحة والآيات الأولى من سورة البقرة كما أعد ترجمة لمختلف تأويلات الفاتحة له وإن كان قد عطلني أسباب كثيرة من اتمام هذا العمل إلى الآن فأرجو من الله أن يوفقني إلى نشره عن قريب إن شاء الله. وبالعموم فكتابكم هذا لا يستغني عنه من الآن أحد يدرس مؤلفات سيدنا الشيخ الأكبر

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يمدكم بالصحة والعافية وعلو الهمة لاعداد مثل هذه الكتب النافعة

وعسى أن نلتقي قريبا إن شاء الله والأرواح على كل حال جنود مجندة فالحمد لله على التآلف بين قلوب المؤمنين

ودمتم بخير

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الفقير إلى الله داود بن عبد الله

المراجع

١ ــ الفتوحات المكية الطبعة الميمنية .

٢ ــ كتاب التراجم .

٣ ــ كتاب الكتب

٤ ــ كتاب المبشرات .

٥ ــ كتاب النجاة عن حجب الاشتباه .

٦ ــ الديـوان .

٧ ــ كتاب المعراج (شجرة الكون) .

٨ ــ كتاب مسامرة الأخيار ومحاضرة الأبرار .

٩ ــ كتاب الإسراء إلى مقام الأسرى .

١٠ ــ مواقع النجوم .

١١ ــ صحيح مسلم .

١٢ ــ القاموس المحيط .

فهرس الكتاب

الموضـــوع	رقم الصفحة
مقدمـة الشـارح	٥
تقديم الرسالة من الشيخ ابن العربي إلى اخيه في الله ابي محمد عبد العزيز ابن ابي بكر القرشي	٩
سبب كتابة الرسالة ومحاسبة الشيخ نفسه	٢٣
حجة النفس على الشيخ في عدم وزن حالها على حال النبي ﷺ ، وكذا القرآن العظيم	٢٧
من عرض الشيخ نفسه على احوالهم	
اهـل الصفـة	٢٨
عمار بن ياسر رضي الله عنه	٢٩
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	
عمر بن الخطاب رضي الله عنه	
ابو عبد الله ثوبان مولى رسول الله ﷺ	٣٠
عثمان بن عفان رضي الله عنه	
علي بن ابي طالب رضي الله عنه	٣٢
ابو بكر الصديق رضي الله عنه	٣٤
سلمان الفارسي رضي الله عنه	٣٨
ابو الدرداء رضي الله عنه	٤٥
عثمان بن مظعون رضي الله عنه	٥٠
اويس بن عامر القرني	٦١

ترجمة من لقيهم الشيخ من اهل طريق الله

ابو جعفر احمد العريبي رضي الله عنه

ابو يعقوب يوسف بن يخلف الكومي رضي الله عنه

صالح العدوي رضي الله عنه

ابو عبد الله محمد الشرفي رضي الله عنه

ابو الحجاج يوسف الشبربلي

ابو عبد الله محمد بن قسوم رضي الله عنه

ابو عمران موسى بن عمران المارتلي رضي الله عنه

ابو عبد الله محمد الخياط الإشبيلي رضي الله عنه

ابو العباس احمد الخياط الإشبيلي رضي الله عنه

ابو عبد الله محمد بن جمهور رضي الله عنه

ابو علي حسن الشكاز رضي الله عنه

ابو محمد عبد الله بن محمد بن العربي الطائي رضي الله عنه

ابو محمد عبد الله ابن الأستاذ المروري رضي الله عنه

ابو محمد عبد الله الباغي الشكاز رضي الله عنه

ابو محمد عبد الله القطان رضي الله عنه

ابن جمدون الحناوي رضي الله عنه

ابو عبد الله محمد بن أشرف الرندي رضي الله عنه

موسى ابو عمران السدراني رضي الله عنه

ابو محمد مخلوف القبايلي رضي الله عنه

صالح الخراز رضي الله عنه

عبد الله الخياط رضي الله عنه

ابو العباس احمد بن همام رضي الله عنه

ابو احمد السلاوي رضي الله عنه

الموضـــوع	رقم الصفحة
ابو إسحق إبراهيم بن احمد بن طريف العبسي رضي الله عنه	١٢٠
ابو محمد عبد الله بن إبراهيم المالقي رضي الله عنه	١٢١
عبد الله بن تاحمست رضي الله عنه	١٢٢
الشحـان رضي الله عنه	١٢٣
ابو يحيى الصنهاجي رضي الله عنه	
أبو العباس بن تاجة رضي الله عنه	
أبو عبد الله بن بسطام الباغي رضي الله عنه	
يوسف بن يعزى رضي الله عنه	
ابو الحسن القنوني رضي الله عنه	
اللهم صل على محمد الحداد رضي الله عنه	١٢٥
ابو إسحق القرطبي رضي الله عنه	
ابو عبد الله المهدوي رضي الله عنه	
علي بن موسى بن البقران رضي الله عنه	
ابو الحسين يحيى بن الصائغ رضي الله عنه	
ابن العاص ابو عبد الله الباجي رضي الله عنه	١٢٦
ابو عبد الله ابن زين اليابري رضي الله عنه	
أبو عبد الله الفران رضي الله عنه	
ابو زكريا يحيى بن حسن الحسني رضي آلله عنه	
عبد السلام الأسود السائح رضي الله عنه	١٢٧
ابو عبد الله القسطيلي رضي الله عنه	
ابو العباس احمد بن منذر رضي الله عنه	
موسى ابي عبد الله المعلم رضي الله عنه	١٢٨
ابو العباس الخراز رضي الله عنه	

الموضــــوع	رقم الصفحة
الحاج ابو محمد عبد الله البرجاني رضي الله عنه	١٢٨
ابو عبد الله محمد البابلي رضي الله عنه	١٢٩
ابو عبد الله المرابط رضي الله عنه	١٣٠
ابو وكيل ميمون بن التونسي رضي الله عنه	
ابو محمد عبد الله بن خميس الكتاني رضي الله عنه	
الأشخاص السبعــة	
شمس أم الفقراء رضي الله عنها	١٣١
فاطمة بنت ابن المثنى رضي الله عنها	١٣٢

بحوث في متن الرسالة

ذم من تزي بزي الصوفية وليس منهم	١٣
	٢٢
	٦٠
	١٠١
من هم الصوفية اهل طريق الله تعالى	١٧
راي الشيخ في السماع والشعر	٢١
	٣٤
راي الشيخ فيمن سمع من الشيوخ	٣٧
ايهما افضل في حق الكمل من ورثة الانبياء مقام السعة في الدنيا ام مقام الفقر	٤٥
	٥٤
	١٣٨
قصة مجيء إبليس إلى الشيخ ابي مدين يشتكي من رجل	٤٩
المقارنة بين اويس القرني والحلاج في مقام الإيثار	٥١

الموضـــوع	رقم الصفحة
من هم الفقهاء الذين يذمهم الشيخ	٩٧
	١٥١
	١٦٦
حجة الشيخ على القاضي عبد الوهاب الازدي	١٠١
هل خلق الله تعالى الإنسان بيديه للتشريف والرفعة أم ابتلاء ؟	١٣٤
نقص الحظ الأخروي لعلماء الرسوم في إنكارهم علوم أهل طريق الله	١٦٢
النعم التي تحض العقل السليم على الاجتهاد في العبادة	
نعمة الإيجاد وإخراجك من العدم إلى الوجود	١٤٥
نعمة ان أوجدك متغذيا ناميا ولم يجعلك جماداً صلداً	١٥٣
نعمة نقلك من أمة النبات والشجر إلى امة الحيوان	١٥٤
نعمة جعلك ناطقاً وفضلك على الحيوان الحساس	١٥٦
سر الألوهية في الإنسان داء عضال	١٥٨
نعمة التوبة والتوكل والتطهر	١٦١
نعمة جعلك موحداً لا مشركا	١٦١
نعمة إيمانك بالرسول ﷺ	١٦٢
نعمة جعلك من امة محمد ﷺ	١٦٣
نعمة جعلك من اهل السنة ــ نعمة جعلك عالما ــ	
نعمة جعلك طائعا ــ نعمة جعلك عارفاً عابداً ــ نعمة جعلك وارثاً	١٦٤
نصيحة الشيخ إلى اخيه في الله الشيخ عبد العزيز القرشي	١٦٤

شرح الرسالة بالهامش

الموضـــوع	رقم الصفحة
رؤيــة الحق في المنـــام	٩
النصيحـــة	١٠
الطريق والطريقة ، والشريعة والحقيقة	١٣
الموتات الأربع عند اهل طريق الله تعالى	١٦
الشيخ يصف أهل زمانه	١٨
خلق جهنـــم	٢٠
إسراء الأولياء	٢١
النفـــس	٢٣
امر الحق الشيخ بالنصيحة	٢٤
مقام العبودة المحضة	٣٢
الصحابـــة	٣٣
السمـــاع	٣٧
القبض المجهول	٤٠
الحجاب على الذات الإلهية لا يرفع ابداً	٤٢
الإيشـــــار	٥٢
قوله ﷺ : ما فضلكم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن فضلكم بسر وقر في صدره	٥٦
عروج أبي بكر الصديق بروحه مع رسول الله ﷺ	٥٨
معنى كون الولي عيسويا او موسويا او محمديا	٦٦
معنى كلمة « مستهتر بالذكر »	٦٧
وصية ابي العباس العريبي للشيخ رضي الله عنهما	٦٧
قول ابي العباس بن العريف « حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل »	٦٩

الموضـــوع	رقم الصفحة
أبو يعقوب الكومي ومجالسة الأرواح المفارقة	٧٢
اللامتيـــــة	٧٣
المار بين يدي المصلي	٧٤
الو صــــال	٧٧
انا سيد ولد آدم ولا فخر ــ الحديث	٧٨
آدم فمن دونه تحت لوائي ــ الحديث	٧٩
اشدكم بلاء الانبياء ثم الأمثل فالأمثل ــ الحديث	٧٩
علم الوحي والتلقي وعلم النظر الفكري	٨١
محاسبة النفس	٨٦
رجال الإمداد الإلهي والكوني	٨٨
مذ حل كاتب حب الله في خلدي ــ شعر	٨٩
الطريق والرفيق	٩١
قول العارف « اقعد على البساط وإياك والانبساط »	٩١
قطب التوكل في زمان الشيخ	٩٩
أهل الحديث واهل الراي	١٠٢
الرجال أربعـــة	١٠٣
الأوتــــاد	١٠٧
الأبــدال ــ آ	١٠٩
ــ ب	١٣٠
تفسير قوله تعالى « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون » الآية	١١٢
جبل قاف والحية المحيطة به	١١٤
حديث المحبة الإلهية	١١٥
السائحــون	١١٨
قوله تعالى « وانه هو أضحك وأبكى »	١١٩

الموضـــوع	رقم الصفحة
الشيخ لا ينسى أهل زمانه	١٢٠
الفتوة والفتيان	١٢٣
إن الله مع الصابرين	١٢٥
مقـــام الحـــيرة	١٢٦
اهــل الــورع	١٢٧
مجالسة الروحانيين (الجن)	١٢٨
الأواهــون	١٣١
محبــة عارفــة	١٣٢
ايهما أفضل الغني الشاكر ام الفقير الصابر ؟	١٣٨
الفقــير	١٤١
الفقــر والغنـــى	١٤٢
وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ـ الآية	١٤٤
قول إبراهيم وهاجر ومريم عليهم السلام	١٤٨
الغيرة على الله تعالى	١٤٩
العبيد والأجراء	١٥١
مقالة أبي يزيد البسطامي	١٥٤
اعتبار من الظل	١٥٥
او لا يذكر الإنسان ـ الآية	١٥٨
التنعم بالحلال في الدنيا	١٦٧

اشرف على التصحيح والتدقيق كل من السادة

محمد ماجد الحناوي ـ سعيد الناشي

للمؤلّف

. الفقه عند الشيخ الأكبر	صدر
. الإنسان الكامل	صدر
. القطب الغوث الفرد	صدر
. الرد على ابن تيمية	صدر
. شرح كلمات الصوفية	صدر
. ترجمة حياة الشيخ الأكبر	صدر
. الحب والمحبة الإلهية	صدر
. الخيال عالم البرزخ والمثال	صدر
. الرؤيا والمبشرات	صدر
ـ شرح فصوص الحكم	صدر
ـ شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس	صدر
ـ الطريق إلى الله تعالى ـ الشيخ والمريد	صدر
ـ رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن ـ تفسير القرآن	صدر
ـ علماء وأمراء	**مخطوط**
ـ الرسائل والمقالات	**مخطوط**
ـ الحديث في شرح الحديث	**مخطوط**

تطلب كتب المؤلف التي صدرت من :

- دار الإيمان ـ دمشق ـ شارع مسلم البارودي ـ سوريا
- المؤلف ـ دمشق ـ ص . ب : ٣٣٣ ـ سوريا

الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي

- ولـد عام ٥٦٠ هـ بمدينة مرسية بشرق الأندلس وتوفي عام ٦٣٨ هـ بمدينة دمشق.
- خرج حاجاً من الأندلس عام ٥٨٩ هـ ثم استقر به المقام في دمشق بعد رحلة مذكورة في ترجمته.
- غرق أهل العلم في شرح وتفسير إشاراته فغابوا عن علو مقام الشيخ الفقهي وانه إمام صاحب مذهب مستقل من مذاهب أهل السنة والجماعة.
- اختلف فيـه أهـل الظاهر بين قادح ومادح واعتبره فلاسفة الغرب والشرق من أكبر فلاسفة الاسلام ولقبه الأولياء وأهل العرفان سلطان العارفين وشيخ المحققين.
- له من المؤلفات ما ينيف عن ستمائة مؤلف بين رسالة وكتاب فقد جلها ولم يبق بخط يده إلا اليسير منها الفتوحات المكية.